الجامع اللطيف

في

فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

تأليف
سيدنا الشيخ العالم الكامل العلامة البحر الزاخر الفهامة
مولانا جمال الدين محمد جار الله
ابن محمد نور الدين بن أبي بكر بن علي بن ظهيرة
القرشي المخزومي تغمده الله برحمته آمين

الطبعة الخامسة

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اسبغ على اهل مكة بمجاورة بيته الأمين مواد الفضل والنعمة . وجعلهم أهله وخاصته فخرا لهم وتنويها بشأنهم لما اقتضته الحكمة . وخص من شاء منهم بباهر العز والجلال ودفع عنه كل بؤس ونقمة . وحباه بمزيد العناية والشرف فصار له جارا وجار الله جدير بوافر الانعام والحرمة . احمده على انتظامي في هذا السلك واشكره على تفضلاته الجمة . واشهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له الذي اكرمنا بخير نبي كنا به خير امه . واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث في هذه البقعة المطهرة لكشف غياهب الشك والظلمة . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه السادة الأئمة . الذين ناصروه وظاهروه على عدوه وقاموا في مصالحه على همه . صلاة وسلاماً دائمين مقرونين بعظيم البركة والرحمة.

اما بعد فيقول الفقير الى عفو الله ولطفه الخفي . محمد جار الله بن ظهيرة القرشي المكي الحنفي : اعلم أنه لا يخفي على كل عاقل من ذوي الألباب السليمة . والأفكار الرائقة الحسنة المستقيمة . ان الكعبة الشريفة هي افضل مساجد الأرض وانها بيت الله الحرام . وقبلة لجميع الأنام . وان مكة المشرفة هي البلد الأمين . ومسقط راس سيد المرسلين . واهلها هم خاصة الله من البشر . الحائزون نهاية الشرف والفخر والظفر . والمسجد الحرام فضله لا ينكر . وما طوي من فضائله لم يزل ينشر . والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى . واعظم من ان تستقصي .وقد تصدى لتاليف فضائل مكة واخبارها جمع كثير من فضلاء المتقدمين اجلهم الامام المتقن ابو الوليد الازرقي تغمده الله برحمته . ومن المتاخرين السيد العلامة المحرر القاضي تقي الدين الفاسي المكي بواه الله دار كرامته وهو المعول عليه فانه رحمه الله قد اغرب وابدع . واتى في مؤلفه شفاء الغرام ومختصراته بما يشفى وينقع واظهر في ذلك جملا من المحاسن والمفاخر. وان كان للمتقدم عليه فضل السبق والتأسيس فكم ترك الأول للآخر . غير ان الجميع رحمهم الله قد اطالوا الكلام وبالغوا في الاسهاب . ونشروا العبارة وبسطوها في جميع الكتاب . بحيث من أراد الاحاطة بذلك يحتاج الى

استيعاب جميع المؤلف مع كبر الحجم ليقف على ما هنالك . وربما قدم بعضهم ما يحسن تأخيره . واخر ما يحسن تقديمه وتقريره . وممن جنح أيضاً الى هذا الفرض وذكره ضمناً ارباب كتب المناسك في أوائل مناسكهم. فمنهم من أوسع العبارة واطال بما يمكن ان يدرك بأدنى اشارة . ومنهم من مال الى الايجاز والاختصار ، ومع ذلك فلم تسلم عبارته من التكرار وبعضهم ضيق العبارة جدا . بحيث أنه ذكر ذلك في نحو ست ورقات عدا ، فأخل حينئذ بما تعين ان يذكر . واضرب صفحاً عن امور وجب أن تثبت وتشهر. فلما وجدتها على ما وصفت ولم اقف على مؤلف متوسط في ذلك يدل على المقصود ، ولا ظفرت بتعليق مفرد يكون جامعاً لما هو في أسفار علماء هذا الفن موجود . احببت ان أجعل بعد الاستخارة تعليقاً لطيفاً غير مختصر مخل ، ولا مطول ممل . يكون عدة للقصاد . سالكا ان شاء الله تعالى سبيل التوسط والاقتصار لقصور الهمم في هذا الزمان عن مطالعة المطولات . ومراجعة المبسوطات اجمع فيه ما تفرق من منثور الكلام . واضم كل لفظ الى مناسبه ليحصل كمال الانتظام . لما ان التأليف في هذا الوقت ليس هو الا كما قال بعضهم : جمع ما تشتت ، ورم ما تفتت مع زيادة فروع فقهية. وأحاديث نبوية . وآثار ضوية . وفوائد كثيرة . ولطائف غزيرة . مع تحرير عبارة وتقرير اشارة . مثبتا ذلك على قدر الفتوح . حسبما هو موجود في الأسفار مشروح . عازيا كل قول غالبا الى قائله . ومبينه لطالعه وسائله. ليكون للواقف عليه عمده . وأخرج بذلك من الدرك والعهدة . وما فتح الله به من كلامي على سبيل البحث ميزته بقولي في اوله بما صورته أقول أو بحث وفي آخره انتهى . أو والله الموفق بالقلم الأحمر (١) وشرطت ان لا يخل الناسخ بذلك ليتميز عن كلام الغير . هذا مع اعترافي بكساد البضاعة وعدم التقدم في هذه الصناعة ، فشرعت مجتهدا في ذلك . طالباً من الله تيسير تلك المسالك وسميته : « الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف» ورتبته على مقدمة وعشرة ابواب وخاتمة المقدمة في فضل العلم .

الباب الأول : في مبدأ امر الكعبة الشريفة وبيان فضلها وشرفها وما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث والآثار ، وما سبب تسميتها كعبة وتسميتها بالبيت العتيق .

الباب الثاني : في زيادة تعظيم هذا البيت الشريف وما جاء في فضله من الآيات الشريفة ، والعجائب الباهرة المنيفة ، وما ورد في فضل المقام

(١) اكتفينا بجعله بين قوسين .

وما سبب تسميته بالمقام وفيه فصلان (الاول) في ذكر الحجر الأسود وما ورد في فضله وشرفه (والثاني) في فضل الملتزم والدعاء فيه وذكر الفيل وخبر تبع .

الباب الثالث : فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة وعدد مرات بنائها وفيه أربعة فصول (الأول) في الكلام على البيت المعمور وذكر شيء من فضل جدة على سبيل الاستطراد (والثاني) في ذكر كنز الكعبة والكلام فيه (والثالث) في الكلام على دخول الكعبة الشريفة وما ورد في ذلك (والرابع) في ثواب دخولها .

الباب الرابع : في الكلام على كسوة الكعبة الشريفة وتطييبها وتحليتها ومعاليقها وفيه فصل في الكلام على سدانة البيت .

الباب الخامس : في فضل الطواف بالبيت والطائفين به وفيه ثلاثة فصول (الأول) في النظر الى البيت (الثاني) في بيان المواضع التي صلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حول الكعبة (الثالث) في بيان وجهة المصلين الى القبلة من سائر الآفاق .

الباب السادس : في فضل مكة شرفها الله تعالى وحكم المجاورة بها وفيه ثلاثة فصول (الأول) في افضليتها على المدينة (الثاني) في افضلية قبر النبي صلى الله عليه وسلم على سائر البقاع (الثالث) في ذكر اسماء مكة المشرفة .

الباب السابع : في فضل الحرم وحرمته وفضل المسجد الحرام وخبر عمارته وفيه خمسة فصول (الأول) في ذكر الآيات المختصة بالحرم (الثاني) في الكلام على تعريف المسجد الحرام وفيه ذكر شيء من خبر الاسراء على سبيل الاستطراد (الثالث) في ذكر عمارة المسجد الحرام (الرابع) في خبر عمارة الزيادتين اللتين به وذرعه وذكر المنابر (الخامس) في كيفية المقامات التي بالمسجد الحرام وبيان مواضعها وحكم الصلاة فيها وما في المسجد من القباب والأبنية وعدد ابواب المسجد الحرام .

الباب الثامن : في فضل اهل مكة وشرفهم وما ورد في ذلك وفيه فصل واحد يتعلق بذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم ونسب أصحابه العشرة وذكر شيء من مناقب قريش .

الباب التاسع : في ذكر مبدا بئر زمزم وفضل مائها وافضليته وخواصه وفيه فصلان (الأول) في ذكر اسمائها (الثاني) في آداب الشرب منها.

الباب العاشر : في عدد امراء مكة من لدن عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا .

الخاتمة في ذكر الأماكن المباركة التي يستحب زيارتها بمكة وحرمها وخارجها من المواليد والدور والمساجد والجبال والمقابر سائلا من كرم الله ولطفه أن يهديني الى الطريق السواء ويجعلني ممن اخلص النية في العمل وانما لكل امرىء ما نوى . مستعينا به فيما اردت . مؤملا من فضله اتمامه حسبما قصدت . وهو الموفق للصواب . واليه المرجع والمآب .

المقدمة

في فضل العلم الشريف واهله وطالبيه

وما ورد فيه من الآيات العظيمة والاخبار الكريمة والآثار الجسيمة

اعلم ان العلم شرف الانسان . وفخر له في جميع الأزمان . وهو العز الذي لا يبلي جديده . والكنز الذي لا يفني خريده . وقدره عظيم . وفضله جسيم . قال الله تعالى « انما يخشى الله من عباده العلماء » برفع العلماء على الفاعلية اي انما يخاف الله من عرفه حق معرفته وهم العلماء . وقرىء في الشواذ برفع الاسم الشريف على الفاعلية ونصب العلماء على المفعولية . وهذا مروى عن جماعة من العلماء منهم امامنا ابو حنيفة رضى الله عنه . كان الأستاذ الكمال ابن الهمام في مجلس تدريسه فاورد عليه سائل قراءة ابي حنيفة المذكورة فاجاب بقول الشاعر :

أهابك اجلالا وما بك قدرة   علي ولكن ملء عين حبيبها

وحينئذ فالمراد بالخشية الاجلال . فيكون المعنى على هذا انما يجل الله من عباده العلماء . وقال تعالى : « شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة واولو العلم » الآية . فقرنهم بالملائكة ثم عطف شهادتهم على شهادته وميزهم من بين سائر الخلق وفضلهم على جميع الناس لقوله تعالى : « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » ومن على سيد البشر بقوله تعالى « وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما » ثم قال تعالى تنويها

بشأن العلماء : « وعلمتهم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم » وقال تعالى : «علم الانسان ما لم يعلم » وقال تعالى في جواب الكفار حين سألوا وما الرحمن « الرحمن علم » القرآن خلق الانسان علمه البيان » وقال تعالى في حق العلماء : « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال تعالى : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » قال بعض المفسرين يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم . قال بعض العلماء : رفعتهم تشمل المعنوية في الدنيا بحسن الصيت وعلو المنزلة والحسية في الآخرة بعلو المنزلة في الجنة . وقال تعالى : « وقل رب زدني علما » وجه الدلالة ان الله تعالى لم يأمر نبيه بطلب الازدياد من شيء الا من العلم ومثل هذا كثير في كتاب الله . وفي بعض الكتب المنزلة (يقول الله انا الذي خلقت الخلق والقلم وعلمت الناس البيان) .

واما ما جاءت به السنة فأكثر من أن يحاط به . فمن ذلك ما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وطالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر) وروى عطية العوفي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من غدا لطلب العلم صلت عليه الملائكة وبورك له في معيشته) وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من سلك طريقا يلتمس فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة) وفي رواية سهل الله له به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضاها بما يصنع . قال بعض العلماء المراد بوضع الاجنحة التواضع على جهة التشريف . وقيل على الحقيقة تضع اجنحتها لهم فيمشون عليها ولا يدركون ذلك للطافة أجسادهم . وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ولكن ورثوا العلم فمن اخذ به فقد اخذ بحظ وافر) وعن ابي اسحق المزني يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (يقال للعابد يوم القيامة ادخل الجنة ويقال للعالم قف فاشفع لمن شئت) وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (العالم والمتعلم كهذه من هذه ــ وجمع بين المسبحة والتي تليها ــ شريكان في الاجر ولا خير في سائر الناس بعد) وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (اغد عالما أو متعلما أو مستمعا او محبا لذلك ولا تكن الخامس فتهلك) وعن ابي أيوب الانصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مسئلة واحدة يتعلمها المؤمن خير له من عبادة سنة وخير له من عتق رقبة من ولد اسمعيل) .

(لطيفة) تخصيص اولاد اسمعيل بالذكر دون غيرهم قيل لكونهم

افضل أصناف الامم فان العـرب افضل الامم ثم افضلهم اولاداسمعيل . وقيل لان اولاد اسمعيل لم يجر عليهم رق قبل الاسلام .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عيله وسلم انه قال (من غدا الى المسجد لايريـد الا ان يتعلم خيرا او يعلمـه كان لـه كأجر حاج تاما حجته) رواه مسلم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قـال (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) وفي الترمذي (فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد) وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال (يشفع الله يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهـداء) قـال بعض الفضلاء اكـرم بمرتبة هي متوسطة بين النبوة والشهادة (اقول في العطف بثم ادل دليل على أفضلية العلماء على الشهداء كما لا يخفى على من عرف الحكم النحوي في ثم انتهى) . وفي الفائق عنه صلى الله عليه وسلم (تعلموا العلم وعلموه الناس) وفيه ايضا (تعلموا العلم واعملوا بـه) وفيـه (تعلموا العلم قبل أن يرفع) وفيه (تعلموا العلم وكونوا من أهله) وفيه (ان أهل الجنة ليحتاجون الى العلماء في الجنة كما يحتاجون اليهم في الدنيا) .

(لطيفة) من الاحتياج الى العلماء في الجنة انه اذا دخل أهل الجنـة اليها يعطيهم الله جميع مايتمنونه ولا يزالون يتمنون باذن ربهم حتى تعجز عقولهم وتدبيراتهم عن الاماني لانهم نالوا كل ما أرادوا من النعيم فيقول الله سبحانه بعد ذلك كله تمنوا فلا يعرفون ما يتمنون فيرجعون الى العلمـاء فيسألونهم ما يتمنون فيستنبطون لهم أشياء من أسرار الله تبارك وتعالـى فيتمنونها كذا في حاوي القلوب الى لقاء المحبوب لابن الميلق الشافعي رحمه الله . والأحاديث في ذلك كثيرة جدا . وهـذا بعض من كل ، وقال بعض الفضلاء : العلم أمان من كيد الشيطان ، وحرز من كيد الحسود ودليـل العقل ، ولقد احسن من قال :

ما أحسن العقل والمحمود من عقلا ... واقبح الجهل والمذموم من جهـلا
فليس يصلح نطق المرء في جـدل ... والجهل يفسده يوما اذا سئـلا
والعلم اشرف شيء ناله رجـل ... من لم يكن فيه علم لم يكن رجـلا
تعلـم العـلم واعمـل يا اخي به ... فالعلم زين لمن بالعلم قد عمـلا

وعن بعض الحكماء انه قال : العلم خليل المؤمن ، والحلم وزيـره ، والعقل دليله ، والعمل قائده ، والرفق والده ، والبر اخوه ، والصبـر امير جنوده وقال بعض الحكماء : لمثقال ذرة من العلم أفضـل من جهاد الجاهل الف عام ، وقال الامام الشافعي رضي الله عنه واعاد علينـا من بركاته : الاشتغال بالعلم افضل من صلاة النافلة ، وقال ليس بعد الفرائض

أفضل من طلب العلم ، وقال بعض العلماء : العلم نور يهتدي به الحائر وفي معناه أنشدوا :

بالعلم تحيا نفوس قط ما عرفت — من قبل ما الفرق بين الصدق والمين
العلم للنفس نور تستدل بـه — على الحقائق مثل النور للعين

وقال آخر :

كفى شرفا بالعلم دعواه جاهل — ويفرح ان امسى الى العلم ينسب
ويكفى خمولا بالجهالة انني — أراع متى انسب اليها واغضب

وقال ابن الزبير : ان ابا بكر كتب الي وانا بالعراق : يابني عليك بالعلم فانك اذا افتقرت اليه كان مالا ، وان استغنيت به كان جمالا ، وانشد في معناه :

ومن الجهالة أن تعظم جاهلا — وصاحب العلم محفوظ من التلف
يا صاحب العلم مهلا لا تدنسه — بالموبقات فما للعلم من خلف
العلم يرفع بيتا لا عماد لـه — والجهل يهدم بيت العز والشرف

وقال بعض الفضلاء : ينبغي لكل عاقل أن يبالغ في تعظيم العلماء ما امكن ولا يعد غيرهم من الأحياء ، وقد أجاد من قال :

ومن الجهلة أن تعظم جاهلا — لصقال ملبسه ورونق نقشه
واعلم بأن التبر في بطن الثرى — خاف الى أن يستبين بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها — من حكه لا من ملاحة نقشه

وقال أبو طالب المكي في قوت القلوب : جاء في الخبر أن الله تعالى لا يعذر على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا يحل للعالم أن يسكت عن علمه ، وقد قال سبحانه : «فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» وقال سيدي الشيخ سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه واعاد علينا من بركاته : ماعصي الله بمعصية اعظم من الجهل وما اطيع الله بمثل العلم . وقال بعضهم رضي الله عنه : قسوة القلب بالجهل اشد من قسوته بالمعاصي . قال الشيخ محمد بن علي المنهاجي رحمه الله قلت والله أعلم ولهذا نجد الجاهل يبغض كل من كان طالبا للعلم ويعد ذلك عيبا ، وقيل في معنى ذلك :

عاب التعلم قوم لا عقول لهم — وما عليه اذا عابوه من ضرر
ماضر شمس الضحى والشمس طالعة — أن لايرى ضوءها من ليس ذا بصر

وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : العلم خير من المال . العلم يحرسك وانت تحرس المال . والعلم حاكم والمال محكوم عليه . والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص بالنفقة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : خير سليمان بن داود صلوات الله عليهما بين العلم والملك والمال فاختار العلم فأعطي الملك والمال معه . وقال الامام مالك بن انس رضي الله عنه : ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم نور يجعله الله في قلب من يشاء وقال بعض الحكماء : ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم . وما احسن ما قيل :

مع العلم فاسلك حيثما سلك العلم ... وعنه فكاشف كل من عنده فهم
ففيه جلاء للقلوب من العمى ... وعون على الدين اللذي امره حتم
فخالط رواة العلم واصحب خيارهم ... فصحبتهم زين وخلطتهم غنم
ولا تعدون عيناك عنهم فانهم ... نجوم هدى ان غاب نجم بدا نجم
فوالله لولا العلم ما اتضح الهدى ... ولا لاح من غيب الامور لنا رسم

وعن ابن المبارك انه قال لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه قد علم فقد جهل . وعن عثمان بن ابي شيبة قال سمعت وكيعا يقول : لا يكون الرجل عالما حتى يسمع ممن هو أسن منه وممن هو مثله وممن هو دونه . وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : منهومان لايشبعان طالب العلم وطالب الدنيا وهما لا يستويان ، اما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن واما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان ثم قرا « انما يخشى الله من عباده العلماء» «ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى» وما احسن قول بعضهم :

ما الفخر الا لأهل العلم انهم ... على الهدى لمن استهدى ادلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم اعداء
ففز بعلم تعش حيا به ابدا ... فالناس موتى وأهل العلم احياء

وقيل للحسين بن الفضيل رضي الله عنه هل تجد في القرآن من جهل شيئا عاداه ؟ فقال نعم في موضعين قوله تعالى : «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه» وقوله تعالى «واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم» وقال يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه : العلماء اراف بامة محمد صلى الله عليه وسلم وأرحم عليهم من آبائهم وامهاتهم وذلك ان آباءهم وامهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وآفاتها والعلماء يحفظونهم من نار الآخرة وشدائدها . وقال سفيان الثوري رضي الله عنه : العجائب عامة وفي آخر الزمان اعم ، والنوائب طامة وفي أمر الدين اطم . والمصائب عظيمة ،

وموت العلماء اعظم . وان العالم حياته رحمة للامة ، وموته في الاسلام ثلمة . وعن معاذ : تعلموا العلم فان تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه من لايعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة ، وما احسن قول الزمخشري :

وكل فضيلة فيها سناء وجدت العلم من هاتيك أسنى
فلا تعتقد غير العلم ذخرا فان العلم كنز ليس يفنى

وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : باب من العلم نتعلمه احب الينا من الف ركعة تطوع ، وعن عمر رضي الله عنه : موت الف عابد قائم الليل صائم النهار اهون من موت العالم البصير بحلال الله وحرامه . والكلام في هذا يطول ولنختم هذا النوع بحديث نبوي ورد في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول (ان الله لايقبض العلم انتزاعا ينزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واضلوا) وهذا التعليق لا يحتمل اكثر من هذا . وفيما ذكرته مقنع .

اللهم اني اسالك ان ترزقني علما نافعا وتختم لي بالخير وتحشرني في زمرة من ذكرتهم بقولك تبارك اسمك « فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا » آمين يا رب العالمين .

الباب الأول

في مبدأ أمر الكعبة الشريفة وبيان فضلها وشرفها وما يدل على ذلك من الآيات والأحاديث والآثار والحكايات والعجائب

اما الآيات فمن ذلك قوله تعالى «ان أول بيت وضع للناس» الآية . قال الكواشي سبب نزول هاتين الآيتين أن اليهود لما قالوا للمسلمين قبلتنا قبل قبلتكم انزل الله تعالى ان أول بيت . واختلف في معني كونه اول بيت وضع للناس فقيل اول بيت وضعه الله للطاعات وجعله متعبدا وقبلة للصلوات وموضعا للطواف ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه انه سئل اهو أول بيت وضع فقال كان قبله بيوت ولكنه اول متعبد . وقيل اول بيت بنته الملائكة فلما حجه آدم قالت له الملائكة بر حجك فانا قد حججنا قبلك بألفي عام . وقيل أول بيت بناه آدم . وقيل اول بيت بناه ابراهيم وقيل أول بيت حج بعد الطوفان وقيل اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض فهذه ستة اقوال ، وبيان القول الاخير انالله تعالى كان ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وليس هو ماء البحر بل هو ماء تحت العرش بكيفية شاءها الله تعالى . فقيل انه خلق السماء دخانا قبل الأرض وفتقها سبعا بعد الأرض . ورده بعضهم بأن خلق الأرض كان أولا مستدلا بقوله تعالى : «أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين» الى قوله طائعين . قال النسفي في تفسيره المسمى بالمدارك :يفهم منه أن خلق السماء كان بعد خلق الأرض ، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه واختاره الشيخ جلال الدين السيوطي من المتأخرين واجاب بذلك عن سؤال رفع اليه صورته :

يا عالم العصر لازالت أناملكم تهمي وجودكم نام مدى الزمن
لقد سمعت خصاماً بين طائفة من الأفاضل اهل العلم واللسن

في الأرض هل خلقت قبل السماء وهل ... بالعكس جا اثر يا نزهة الزمن
فمنهم قال ان الأرض منشأة ... بالخلق قبل السما قد جاء في السنن
ومنهم من اتى بالعكس مستندا ... الى كلام امام ماهر فطن
اوضح لنا ما خفي من مشكل وأبن ... نحاك ربك من زور ومن محن
ثم الصلاة على المختار من مضر ... ماحى الضلالة هادى الخلق للسنن

فاجاب رضي الله عنه بما صورته :

الحمد لله ذي الافضال والمنن ... ثم الصلاة على المبعوث بالسنن
الأرض قد خلقت قبل السماء كما ... قد نصه الله في حاميم فاستبن
ولا ينافيه ما في النازعات اتى ... فدحوها غير ذاك الخلق للفطن
فالحبر اعني ابن عباس اجاب بذا ... لما اتاه به قوم ذوو لسن
وابن السيوطي قد خط الجواب لكي ... ينجو من النار والآثام والفتن

انتهى بنصه . فان قيل هل قول السماء والأرض كان بلسان الحال أم المقال : قيل ان ظهور الطاعة منهما قام مقام قولهما . وقيل ان الله خلق فيهما كلاما فنطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء مابحيالها .

مطلب اصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة

قال الثعلبي خلق الله تعالى جوهرة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء فخلق الله الأرض من زبده والسماء من بخاره . فكان اول ظاهر على وجه الأرض مكة . زاد غيره ثم المدينة ثم بيت المقدس ثم دحا الأرض منها طبقا واحدا ثم فتقها بعد ذلك وكذلك السماء . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال أصل طينة النبي صلى الله عليه وسلم من سرة الأرض بمكة . قال بعض العلماء في هذا ايذان بأنها التي اجابت من الأرض وعن كعب الاحبار رضي الله عنه قال كانت الكعبة غثاء على الأرض. قبل خلق السموات والأرض بأربعين سنة ومنها دحيت الأرض فهو صلى الله عليه وسلم الأصل في التكوين والكائنات تبع له .

مطلب مدفن الانسان بتربته

فان قيل مدفن الانسان بتربته اي مكان طينته التي خلق منها وهو صلى الله عليه وسلم دفن بالمدينة الشريفة ، أجاب بعض العلماء ان الماء لما

تموج عند وقوع الطوفان القي تلك الطينة الى ذلك الموضع من المدينة الشريفة ، وعن ابن عباس رضي الله عنه قال لما كان العرش على الماء قبل ان تخلق السموات والارض بعث الله ريحا هفافة بفاءين فصفقت الماءفابرزت عن خشفة في موضع البيت كانها قبة فدحا الله الأرضين من تحتها فمادت ثم مادت فاوتدها بالجبال .

مطلب اول جبل وضع في الأرض ابو قبيس

وكان اول جبل وضع فيها ابو قبيس فلذلك سميت مكة ام القرى اي أصلها . والخشفة بالخاء والشين المعجمتين والفاء واحدة الخشف وهي حجارة تنبت في الأرض نباتا . وروى عمر بن شبة في اخبار مكة خشعة بالعين المهملة عوضا عن الفاء وهي اكمة لاطية بالارض ، وقيل هو ما غلب عليه السهولة وليس بحجر ولا طين . ويقال لجزيرة التي في البحر لايعلوها الماء خشفة بالفاء وجمعها خشاف ، وقوله في الآية السابقة « للذي ببكة مباركا » اي كثير الخير لما يحصل لمن حجه او اعتمره او عكف عنده او طاف حوله من الثواب ، وانتصاب مباركا على الحال . قال الزجاج وغيره المعنى استقر بمكة في حال بركته وهو حال من وضع ، وقوله «فيه آيات بينات» قال النسفي في تفسيره اي علامات واضحات لانلتبس على احد ومقام ابراهيم عطف بيان لقوله آيات بينات ، وصح بيان الجماعة بالواحد لانه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم عليه السلام من تأثير قدمه في صخر صلد ، اولا لاشتماله على آيات لأن أثر القدم في الصخرة الصماء آية ، وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاءه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة . وقوله : «ومن دخله كان آمنا» عطف بيان لآيات فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن داخله ، والآيتان في معنى الجمع ، ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات ، فكان المعني مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ، ونحوه في طي الذكر قوله صلى الله عليه وسلم «حبب اليّ من دنياكم ثلاث » وقيل ان لفظ ثلاث موضوعة لا اصل لها في الحديث كما صرح به بعض ائمة الحديث «الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» فقرة عيني ليس من الثلاث بل هو ابتداء كلام لأنها ليست من الدنيا ، والثالث مطوي انتهى باختصار .

مطلب اول مسجد وضع بالأرض المسجد الحرام

وعن ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يارسول الله أي مسجد وضع في الارض اولا قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم كان بينهما قال اربعون عاما ، وفي ذلك اشكال أشار اليه جدي أي جد المؤلف قاضي القضاة شيخ الاسلام خطيب المسجد الحرام فخر الدين ابو بكر بن علي بن ظهيرة الشافعي تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته في منسكه المسمى بشفاء الغليل في حج بيت الله الجليل وهو ان مسجد مكة بناه ابراهيم عليه السلام بنص القرآن « واذ يرفع ابراهيم » الآية. والمسجد الاقصى بناه سليمان كما جاء في حديث ابن عمر اخرجه النسائي باسناد صحيح . وبين ابراهيم وسليمان زمان طويل يزيد على ألف سنة كما قاله اهل التواريخ فكيف قال في الحديث بينهما اربعون سنة ، والجواب عن ذلك بأنه يحتمل أن ابراهيم وسليمان انما جددا ما بناه غيرهما كما سيأتي آنفا من ان اول من بني البيت آدم ، فيجوز ان يكون غيره من ولده وضع بيت المقدس بعده بأربعين عاما . ويجوز أن تكون الملائكة ايضا بنته بعد بنائها البيت باذن من الله تبارك وتعالى ، فعلى هذه الأقاويل يكون قوله تعالى إن اول بيت وضع على ظاهره وهو الذي عليه جمهور العلماء وصححه النووي . انتهى بمعناه . ومن ذلك قوله تعالى : «واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا» المراد بالبيت الكعبة لأنه غالب عليها كالنجم للثريا ، ومثابة قال النسفي مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه . وامنا موضع امن فان الجاني يأوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج ، وهو دليل لنا في الملتجىء الى الحرم انتهى . واصل الثوب لغة الرجوع ومن ذلك قوله تعالى عقب هذه الآية «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين» الآية ، المعنى طهراه من الأوثان والأنجاس والخبائث كلها . والمراد بالطائفين الدائرون حوله ، وبالعاكفين قيل المجاورون الذين عكفوا عنده أي أقاموا لايبرحون . وقيل المعتكفون . وقيل الطائفون النزاع اليه من البلاد . والعاكفون المقيمون عنده من اهل مكة .

مطلب قبلته صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك قوله تعالى : «وما جعلنا القبلة التي كنت عليها» ثم قوله « فلنولينك قبلة ترضاها » الآيات . وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة . قال النسفي أي وما جعلنا القبلة التي تحب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد فقد ارتد عن الاسلام عند تحويل القبلة جماعة انتهى . والمراد بقوله شطر المسجد الحرام بمعنى المحرم هو الكعبة . قال الكواشي: وذكر النسفي أن المراد جهته وسمته اي جعل تولية الوجه تلقاء المسجد وشطره نصب على الظرف اي نحوه لأن استقبال عين القبلة متعسر على النائي . وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على أن الواجب مراعاة الجهة دون العين انتهى . وقوله (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق) قال الزمخشري اي أن التحويل الى الكعبة هو الحق لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم انه يصلي الى القبلتين .

مطلب تحويل القبلة

فائدة قال العلامة شهاب الدين ابو الفضل بن العماد الأقفهسي في الدرة الضوئية في هجرة خير البرية . كان تحويل القبلة في السنة الثانية من الهجرة. ثم قال: قال النووي ناقلا عن محمد بن حبيب الهاشمي حولت القبلة في ظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان كان النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه فحانت صلاة الظهر في منازل بني سلمة بكسر اللام فصلى بهم ركعتين من الظهر في مسجد القبلتين الى بيت المقدس ثم أمر وهو في الصلاة باستقبال الكعبة وهو راكع في الثالثة فاستدار واستدارت الصفوف خلفه صلى الله عليه وسلم فأتم الصلاة فسمي مسجد القبلتين . وكان صلى الله عليه وسلم مأمورا بالصلاة الى بيت المقدس مدة مقامه بمكة وبعد الهجرة بستة عشر شهرا أو سبعة عشر . ثم قال أعني ابن العماد : قول النووي انه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا باستقبال بيت المقدس مدة اقامته بمكة قد جزم البغوي بخلافه فقال في تفسير قوله تعالى «قد نرى تقلب وجهك» الآية ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر إلى المدينة امره الله تعالى أن يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون أقرب إلى تصديق اليهود إياه إذا صلى الى قبلتهم بما يجدون من نعته في التوراة ، فصلى اليها ستة عشر شهرا أو سبعة عشر وكان يحب أن يتوجه إلى الكعبة لأنها كانت قبلة ابراهيم . وقال مجاهد كان يحب ذلك من أجل أن اليهود كانوا يقولون يخالفنا ويصلي إلى قبلتنا فقال صلى

الله عليه وسلم لجبريل : وددت لو حولني الله إلى الكعبة ، فقال له سل ربك فجعل صلى الله عليه وسلم يديم النظر . إلى السماء فأنزل الله تعالى «قد نرى تقلب وجهك في السماء» الآيات انتهى بنصه . وما جزم به البغوي من انه عليه السلام كان يصلي بمكه إلى الكعبة هو المعتـد وعليه أكثر المفسرين واصحاب السير .

مطلب المختار انه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبدا يشرع من قبله بعـد البعثة

واختلف العلماء هل كان ذلك باجتهاده أو بأمر من ربه وهذا تفريع على الأصح من انه عليه السلام لم يتعبد بشرع غيره بعد البعثة . ومن ذلك قوله تعالى في سورة المائدة «ولا آمين البيت الحرام» اي لا تحلوا من قصده من الحجاج والعمار ، واحلال هذه الأشياء أن يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها ، قاله النسفي . أقول وتوجيهه أن المتنسكين إنما ارادوا تعظيم هذا البيت المشرف وجزيل الثواب . وفي الاحالة ابطال ذلك والله الموفق . وفي تفسير الكواشي ولا آمين اي ولا قتال قاصدين البيت ، فان قيل هذا عام في المؤمنين والمشركين أم انتسخ الحكم في حق المشركين ؟ فالجـواب انــه منسوخ بقوله تعالى اقتلـوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هـذا وهو المشهور .

مطلب عن الحسن وغيره ليس في المائدة منسوخ

وعن الحسن وغيره ليس في المائدة منسوخ . ومن ذلك قوله تعالى في السورة المذكورة «هدياً بالغ الكعبة» فبالغ الكعبة صفة لهدياً وجـاز الوصف بذلك لأن إضافته غير حقيقية كما صرح به النحاة . ومعنى بلوغ الكعبة ان يذبح بالحرم وهو فناء المسجد الذي هو فناء للبيت كل ذلك تعظيما لهذا البيت ان لا تقام هذه القربة إلا في حرمه ، ولا يجزىء الذبح في غيره (فروع * الاول) الهدي المذكور في الآية هو جزاء الصيد ويجب على المحرم عندنا بقتله الصيد سواء كان ناسيا او عامداً او مبتدئا وهـو الذي قتل الصيد مرة او عائداً وهو الذي قتل مرة بعد أخرى ، بل العائـد عندنـا اشد جناية خلافاً لمن يقول لاجزاء على العائد لان الله تعالى قال « ومن عـاد فينتقم الله منه» جعل كل جزاء العائد الانتقام في الآخرة فلا تجب الكفارة .

والجواب عنه بان وجوب الكفارة في العائد مستفاد من الآية بدلالة النص . والمراد من قوله ومن عاد العود مستحلا . الثاني يجب الجزاء على المحرم عندنا بالدلالة ايضاً خلافاً للشافعي لانه يقول الجزاء متعلق بالقتل في قوله تعالى «ومن قتله منكم متعمداً» الآية والدلالة ليست بقتل ولنا قوله صلى الله عليه وسلم هل اشرتم هل دللتم الحديث مع ان في الدلالة عليه تفويتاً لأمنه وهو قتل معني . الثالث يجوز التصدق بلحوم الهدايا عندنا على مساكين الحرم وغيرهم سواء كان التصدق بالحرم او حيث شاء بعد ان حصلت الاراقة في الحرم . وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز التصدق إلا بالحرم على مساكينه فقط نص عليه ابن خليل في منسكه ، ومن ذلك قوله عقيب الآية المتقدمة آنفا «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس» اي قواماً لهم في امر دينهم ودنياهم فلا يزال في الارض دين ما حجت وعندها المعاش والمكاسب كذا في منسك ابن جماعة . قال الجد تغشاه الله برحمته بعد ذكر هذه الآية . اي ركز في قلوبهم تعظيمها بحيث لا يقع فيها اذى على أحد وصارت وازعا لهم من الأذى وهم في الجاهلية الجهلاء لا يرجون جنة ولا يخافون ناراً إذ لم يكن لهم ملك يمنعهم من اذى بعضهم بعضا فقامت لهم حرمة الكعبة مقام حرمة الملك . هذا مع تنافسهم وتحاسدهم ومعاداتهم واخذهم بالثأر . وبالجملة فهو سبب لقيام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم وآخرتهم . اما في امر الدين فان به يقوم الحج وتتم المناسك . واما في أمر الدنيا فانه تجبى إليه ثمرات كل شيء ويأمنون فيه . واما في الآخرة فلأن المناسك لا تقام إلا عنده وهي سبب لعلو الدرجات وتكفير الخطيآت وزيادة الكرامات والمثوبات انتهى . بحروفه . وروي عن الحسن البصري انه تلا هذه الآية ثم قال : لايزال الناس على دين ما حجوا البيت واستقبلوا القبلة .

مطلب وجه تسمية البيت الحرام كعبة

وفي تسمية البيت كعبة اقوال فقيل لتكعبه اي تربعه . يقال برد مكعب إذا طوي مربعاً . وقيل لعلوه ونتوئه . ومنه سمي الكعب كعباً لنتوئه وخروجه من جانب القدم يقال تكعبت الجارية إذا خرج نهداها وقيل لانفرادها عن البيوت وارتفاعها . وذكر الازرقي رحمه الله في تاريخه ان الناس كانوا يبنون بيوتهم مدورة تعظيما للكعبة .

مطلب اول من بنى بيتا مربعا بمكة حميد بن زهير

واول من بني بيتاً مربعاً حميد بن زهير فقالت قريش : ربع حميد بيتاً إما حياة وإما موتا . وذكر أيضاً أن شيبة بن عثمان كان يشرف فلا يرى بيتاً مشرفاً على الكعبة إلا أمر بهدمه . ونقل عن جده عن يوسف بن ماهك قال كنت جالساً مع عبد الله بن عمرو بن العاص في ناحيةالمسجد الحرام إذ نظر إلى بيت على أبي قبيس مشرف على الكعبة فقال أبيت ذلك قلت نعم ، فقال إذا رأيت بيوت مكة قد عات أخشبيها كذا وفجرتبطونها انهاراً فقد ازف الأمر أي قرب . وذكر أن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لما بنى داره التي بمكة على الصيارفة حيال المسجد الحرامأمر القوام أن لا يرفعوا بناءها فيشرفوا به على الكعبة اعظاماً لها . وان الدور التي كانت تشرف على الكعبة هدمت وخرجت إلا دار العباس هذه فانها على حالها الى اليوم انتهى بمعناه . واخرج ابن شبة البصري في مؤلفه اخبار مكة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم مكة رأي حولالكعبة بناء قد أشرف عليها فأمر بهدمه وقال : ليس لكم ان تبنوا حولها مايشرف عليها انتهى . اقول اذا كانت العلة في عدم العلو والاشراف هي الاعظام فارتفاع البيوت الموجودة الآن المحيطة بالمسجد تؤذن بتركه فلا حول ولا قوة إلا بالله . وبالجملة التطاول في البنيان من علامات الساعة على حد قوله صلى الله عليه وسلم «وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان» لأن المراد من الحديث الاخبار بتغير الاحوال وتبدلها كما قال الاشبيلي . وفيه دليل على كراهة مالا تدعو الحاجة اليه منتطويل البناء وتشيده . ومات صلى الله عليه وسلم ولم يشيد بناء ولا طوله انتهى. وما تقدم عن عبد الله بن عمرو بن العاص آنفا مشعر بذلك حيث قال فقد ازف الأمر .

(وأما تسميته بالبيت الحرام)

فلأن الله تعالى حرمه وعظمه وحرم أن يصاد صيده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره وان يتعرض له بسوء ثم المراد بتحريم البيت سائر الحرم على حد قوله تعالى هدياً بالغ الكعبة فان المراد بها الحرم كما تقدم آنفاً . ومن ذلك قوله تعالى « وطهر بيتي للطائفين والقائمين اي المقيمين بمكة وناهيك بهذه الاضافة المنوهة بذكره المعظمة لشأنه الرافعة لقدره . وكفي ذلك شرفا وفخرا ، وبه علا على سائر البقاع عظمة وقدرا ، وما احسن ما قيل في ذلك المعنى :

كفى شرفا اني مضاف اليكم　　　وانى بكم ادعى وادعى واعرف

وهي من السر في إقبال قلوب العالمين عليه وعكوفهم لديه . وانشد في المعني :

لا يرجع الطرف منه حين يبصره حتى يعود اليه الطرف مشتاقا

ومن ذلك قوله تعالى «وليطوفوا بالبيت العتيق» والمراد به طواف الزيارة الذي هو ركن في الحج باتفاق الأئمة الاربعة ولا يحصل تمام التحلل إلا به وهو آخر فرائض الحج الثلاثة . ثم قال النسفي : وهو مطاف اهل الغبراء كما ان العرش مطاف اهل السماء .

مطلب تسمية الكعبة البيت العتيق

واختلف في تسميته بالعتيق فقيل لأن الله أعتقه من الجبابرة فلم يظهر عليه جبار . وقيل لقدمه لانه أول بيت وضع كما تقدم ؛ والعتيق القديم قاله الحسن . وقيل لأنه كريم على الله لانه لم يجر عليه ملك لأحد من خلق الله فلا يقال بيت فلان وانما يقال بيت الله . وقيل لانه أعتق من الغرق لما انه رفع زمن الطوفان . وقيل لشرفه سمي عتيقا . وقيل لأن الله تعالى يعتق فيه رقاب المؤمنين من العذاب . وقيل لأنه يعتق زائره من النار وهو قريب مما قبله . وقيل غير ذلك . والقول الأول هو المعتمدوفي هذا من التنويه بشأنه مالا يخفي (استطراد) قوله بعد هذه الآية «ذلك ومن يعظم حرمات الله» الآية قال النسفي الحرمة مالا يحل هتكه وجميع ماكلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها . فيحتمل ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل أن يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وقيل حرمات الله خمس : البيت الحرام ، والمشعر الحرام والشهر الحرام ، والبلد الحرام . والمسجد الحرام . اقول فعلى هذا القول يكون التعظيم خاصاً بهذه الخمس والله الموفق . وذكر الزمخشري بدل المشعر المحرم حتى يحل . ومن ذلك قوله تعالى «ثم محلها الى البيت العتيق» اي عنده والمراد الحرم الذي هو حريم البيت كقوله « هدياً بالغ الكعبة » كما تقدم والمعني واحد فلا نطول (نكتة) ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت التراخي في الاحوال آنفاً ، والمعنى إن لكم في الهدايا منافع كثيرة في دينكم ودنياكم واعظمها وابعدها شوطاً في النفع محلها الى البيت العتيق كذا في الكشاف . وهذا بعض ماورد من الآيات بنصها على فضل هذا البيت وشرفه . واما ماذكره الله ضمن الآيات على سبيل الكناية فكثير كما ذكره المفسرون . واما الأحاديث والآثار فأكثر من ان تحصى من

ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «إن هذا البيت دعامة الاسلام ومن خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر زائراً كان مضموناً على الله إن رده رده بأجر وغنيمة وان قبضه ان يدخله الجنة» وقال صلى الله عليه وسلم «من خرج في هذا الوجه لحج أو عمرة فمات لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة» وعنه صلى الله عليه وسلم قال «لاتزال هذه الأمة بخير ماعظموا هذه الحرمة حق تعظيمها» يعني الكعبة والحرم «فاذا ضيعوا ذلك هلكوا» اخرجه ابن ماجه وسنده حسن الى غير ذلك من الأحاديث والآثار كما ستأتي مفرقة في الأبواب الآتية في مظانها ان شاء الله تعالى مع مزيد بيان وايضاح . والله أعلم .

الباب الثاني

فيما ورد من الآيات الشريفة والعجائب الباهرة المنيفة في زيادة تعظيم هذا البيت الشريف وما جاء في فضله وما ورد في فضل المقام وما السبب في تسميته بالمقام وفيه فصلان

الأول : في ذكر الحجر الأسود وما ورد في فضله وما سبب تسميته بالأسود ، والفصل الثاني في فضل الملتزم .

اعلم ان لهذا البيت المعظم زاده الله تشريفا وتعظيما آيات كثيرة وعجائب غزيرة تدل على شرفه وفضله منها مقام ابراهيم صلوات الله عليه، وهو لغة موضع قدم القائم ، ومقام ابراهيم هو الحجر الذي وقف عليه الخليل وفي سبب وقوفه عليه اقوال : الأول انه وقف عليه لبناء البيت قاله سعيد بن جبير . الثاني انه جاء يطلب ابنه اسماعيل عليهما السلام فلم يجده فقالت زوجته انزل فأبى فقالت دعني اغسل راسك فأتته بحجر فوضع رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته وقد غابت رجله فيه فوضعته تحت الشق الآخر وغسلته فغابت رجله الثانية فيه فجعله الله من الشعائر . وهذا القول منسوب الى ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما. الثالث . انه وقف عليه للاذان للحج ، وذكر الأزرقي في تاريخه انه لما فرغ من التاذين جعل المقام قبلة فكان يصلي اليه مستقبل الباب وذكر ايضا ان ذرع المقام ذراع وان القدمين داخلان فيه سبعة أصابع . وذكر القاضي عز الدين بن جماعة في منسكه انه حرر مقدار ارتفاعه من الأرض

فكان نصف ذراع وربع وثمن بذراع القماش المستعمل بمصر في زمنه . وذكر ان أعلى المقام مربع من كل جهة نصف ذراع وربع وموضع غوص القدمين في المقام ملبس بفضة وعمقه من فوق الفضة سبع قراريط ونصف قيراط بالذراع المتقدم . اقول لامناقضة بين ما ذكره الازرقي والقاضي عز الدين في ذرع المقام ، ويمكن الجمع بأن ذرع الازرقي كان باليدوذرع القاضي عز الدين بالذراع الحديد حسبما تقدم وبين ذراع اليد والحديد فرق نحو ثمن أو قريب منه بحسب الاشخاص فتأمل انتهى . وأخرج الأزرقي أيضاً أن السيول كانت تدخل المسجد الحرام فربما رفعت المقام عن موضعه حتى جاء سيل أم نهشل الذي ماتت فيه فاحتمل المقام فذهب به فوجد بأسفل مكة فأتي به فربط الى أستار الكعبة في وجهها وكتب بذلك الى عمر فاقبل فزعاً فدخل معتمراً في رمضان وقد عفا السيل موضع المقام فدعا الناس وسألهم عن موضعه فقال المطلب بن ابي وداعة عندي علم ذلك كنت أخشى عليه هذا فأخذت قدره من موضعه الى الركن والى باب الحجر والى زمزم بميقاط وهو عندي في البيت فقال له عمر اجلس عندي وارسل اليها فأرسل المطلب فأتي بها فوجدها عمر كما قال فشاور الناس عمر واستثبت فقالوا هذا موضعه فأمر باحكام ربطه تحته ثم حوله فهو في مكانه الى هذا اليوم انتهى بمعناه . ومكانه هذا هو مكانه في زمن الخليل عليه السلام كما نقله الامام مالك في المدونة . ثم قال وكانت قريش في الجاهلية ألصقته بالبيت خوفاً عليه من السيول ، واستمر كذلك في عهده صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر رضي الله عنه ، فلما ولي عمر رضي الله عنه رده الى موضعه الآن كما سمعت انتهى ، واخرج الأزرقي عن ابن ابي مليكة انه قال موضع المقام هذا الذي هو فيه اليوم هو موضعه في الجاهلية وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر رضي الله عنهما إلا ان السيل ذهب به في خلافة عمر ثم رد وجعل في وجهة الكعبة حتى قدم عمر فرده وفي هذا مناقضة لما قاله مالك رضي الله عنه في المدونة والله أعلم بالحقائق . وصحح ابن جماعة ما قاله مالك ؛ ويروي أن رجلا يهودياً أو نصرانياً كان بمكة يقال له جريج فأسلم ففقد المقام ذات ليلة فوجد عنده اراد ان يخرجه الى ملك الروم فأخذ منه ثم قتل ، ونقل العلامة ابن خليل في منسكه الكبير ان الحجرين الكبيرين المفروشين خلف المقام اللذين يقف المصلي عليهما قد صلى عليهما بعض الصحابة .

مطلب تقبيل المقام واستلامه ليس بسنة

وقال أيضاً إن مسح المقام ومسه وتقبيله ليس سنة انما امرنا بالصلاة

عنده ، وروي أن ابن الزبير راي قوماً يمسحون المقام فقال لم تؤمروا بالمسح انما أمرتم بالصلاة عنده انتهى .

مطلب مهم

(بحث) كون المسح والتقبيل ليس سنة لايمنع من الاتيان بهما على وجه التبرك فمن فعل ذلك تبركاً فالظاهر انه لا بأس به فتأمل والله الموفق وروي أن عمر رضي الله عنه قال : يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى ؟ فقال عليه السلام : لو أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزل قوله: واتخذوا الآية وهذا أحد المواطن التي وافق فيها عمر ربه .

مطلب في ما يتعلق بالحجر الاسود

(ومنها) الحجر الاسود وحفظه وهو يمين الله في الارض يشهد لمن استلمه بحق وانه من الجنة وسيأتي معنى كونه يمين الله وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال «استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الحجر ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا ثم التفت فاذا هو بعمر بن الخطاب يبكي فقال ياعمر ههنا تسكب العبرات» رواه ابن ماجه والحاكم . وعنه صلى الله عليه وسلم «ما من أحد يدعو عند هذا الركن الأسود إلا استجاب الله له» أخرجه القاضي عياض في الشفاء .

مطلب الحجر الاسود والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : من فاوض الحجر الأسود فانما يفاوض يد الرحمة ، ومعنى فاوض لابس كذا ذكره العلامة ابن جماعة . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو مسند ظهره الى الكعبة «الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا أن الله طمس نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب» وقد فضل الله بعض الاحجار على بعض كما فضل بعض البقاع والايام والبلدان على بعض . وفي رواية ولولا ماسهما من خطايا بني آدم لاضاءا ما بين المشرق والمغرب . وفي رواية لابن أبي شيبة مابين السماء والارض وما مسهما من ذي عاهة ولا سقيم إلا شفي . وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه

صلى الله عليه وسلم «نزل الحجر الاسود من الجنة وهو أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم» حديث حسن صحيح ، وفي رواية خطايا أهل الشرك وفي رواية لابن أبي شيبة من الثلج ، وفي رواية كأنه لؤلؤة بيضاء . وفي رواية كأنه ياقوته ، بيضاء . وفي رواية للازوقي وانه لأشد بياضاً من الفضة . وقال القاضي عز الدين بن جماعة وقد رأيته أول حجاتي سنة ثمان وسبعمائة وبه نقطة بيضاء ظاهرة لكل أحد ثم رأيت البياض بعد ذلك قد نقص نقصاً بيناً انتهى . وقال العلامة ابن خليل في منسكه الكبير : وقد أدركت في الحجر الاسود ثلاث مواضع بيضا نقية في الناحية التي الى باب الكعبة المعظمة احداها وهي أكبرهن قدر حبة الذرة الكبيرة والاخرى الى جنبها وهي اصغر منها . والثالثة الى جنب الثانية وهي أصغر من الثانية تأتي قدر حبة الدخن ثم اني أتلمح تلك النقط فاذا هي كل وقت في نقص انتهى بنصه .

(لطيفة) احسن ما ذكر في تسويده بالخطايا انه للاعتبار ليعلم أن الخطايا اذا اثرت في الحجر فتأثيرها في القلوب أعظم وأوقع فوجبلذلك أن تجتنب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال «الحجر الاسود يمين الله في أرضه فمن لم يدرك بيعة النبي صلى الله عليه وسلم فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله» ومعنى كونه يمين الله في أرضه ان من صافحه كان له عند الله عهد ، وجرت العادة بان العهد الذي يعقده الملك لمن يريدموالاته والاختصاص به انما هو بالمصافحة فخاطبهم بما يعهدونه قاله الخطابي . ونقل عن المحب الطبري . ان كل ملك اذا قدم عليه الوافد قبل يمينه فنزل الحجر منزلة يمين الملك ولله المثل الأعلى . وروى الشيخان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قبل الحجر ثم انه قال : والله لقد علمت انك حجر لاتضر ولا تنفع . قال بعض الفضلاء الا باذن ، ولولا اني رأيترسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ماقبلتك وقرأ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . وروي انه لما قال ذلك قال له أبي بن كعب انه يضروينفع انه يأتي يوم القيامة وله لسان ذلق يشهد لمن قبله واستلمه فهذه منقبة ، وفي رواية أيضاً ان علي بن ابي طالب كرم الله وجه قال لعمر : بلى يا أمير المؤمنين انه يضر وينفع وان الله لما اخذ المواثيق على آدم كتب ذلك في رق والقمه الحجر وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :يؤتي بالحجر الأسود يوم القيامة وله لسان يشهد لمن قبله بالتوحيد ، فقال عمر رضي الله عنه لا خير في عيش قوم لست فيهم يا أبا الحسن . وفي رواية لا احياني الله لمعضلة لايكون فيها ابن أبي طالب حياً ، وفي أخرى للازرقي اعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم ياأبا الحسن .

(فوائد) الأولى : انما قال عمر رضي الله عنه ذلك لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام فخشي ان يظهن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعله في الجاهلية فأراد عمر رضي الله عنه أن يعرف الناس ان استلامه اتباع لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ان الحجر يضر وينفع بذاته كما اعتقدته الجاهلية في الأوثان كذا نقله الجد عن المحب الطبري .

الثانية : أن قول عمر هذا فيه التسليم للشارع في أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهي قاعدة عظيمة في اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما يفعله ولو لم تعلم الحكمة فيه ، قال الشيخ زين الدين العراقي في شرح الترمذي : وفي قول عمر رضي الله عنه دليل على كراهة تقبيل مالم يرد الشرع بتقبيله ، وأما قول الشافعي وايما قبل من البيت فحسن (١) فلم يرد به الاستحباب لأن المباح من جملة الحسن عند الأصوليين انتهى . وأجيب عن الشافعي بأن معنى قوله فحسن ان ذلك غير مكروه ولا مستحب كذا قاله الجد رحمه الله .

الثالثة : قال السهيلي الحكمة في كون خطايا بني آدم سودته (٢) دون غيره من حجارة الكعبة ان العهد الذي فيه هي الفطرة التي فطر الناس عليها في توحيد الله ، فكل مولود يولد على الفطرة وعلى ذلك فلولا ان ابويه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال من العهد فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق فتناسبا فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان ابيض لما ولد عليه من ذلك العهد ، واسود الحجر بعد بياضه وكانت الخطايا سبباً في ذلك حكمة من الله تعالى انتهى .

الرابعة : قد اعترض بعض الملحدين على الحديث المتقدم آنفاً فقال اذا سودته الخطايا ينبغي ان تبيضه الطاعات ، اجاب ابن قتيبة عن ذلك بانه لو شاء الله لكان ، ثم قال أما علمت أيها المعترض أن السواد يصبغ به ولا ينصبغ ، والبياض ينصبغ ولا يصبغ به .

مطلب الحكمة في تغيير الحجر الاسود الى السواد

الخامسة : روي عن ابن عباس انه قال : انما غير بالسواد لئلا ينظر

(١) قف على قول الشافعي وأيما قبل من البيت فحسن .

(٢) قف على الحكمة في تسويد الخطايا للحجر الاسود فقط .

أهل الدنيا الى زينة الجنة . قال المحب الطبري ان ثبت هذا فهوالجواب قال ابن حجر اخرجه الجندي في فضائل مكة باسناد ضعيف ، وقيل ان شدة سواده أن الحريق أصابه مرتين في الجاهلية والاسلام وسيأتي الكلام في سبب الحريق فيما بعد ان شاء الله تعالى .

مطلب هل كان الحجر يسمى اسود قبل اسوداده حال كونه ابيض من اللبن ام لا

السادسة : قال الجد رحمه الله : فان قلت هل كان الحجر يسمى بالاسود قبل اسوداده حال كونه اشد بياضاً من اللبن أولا وانما تجدد له هذا الاسم بعد اسوداده . قلت لم أر فيذلك لأحد نقلا ، ويحتمل أنه كان يسمى بذلك لما فيه من السودد فيكون المراد بقولهم أسود أي ذو سودد ، ويحتمل أنه لم يسم بذلك الا بعد اسوداده والله أعلم انتهى .

مطلب خواص الحجر

السابعة : من خواص الحجر الأسود أنه اذا جعل في الماء لايغرق بل يطفو ويرتفع واذا جعل في النار لايحمى ولا تعمل فيه النار بل يبقي باردا علي حاله كذا نقله الطرسوسي (ومن آيات الحجر) أنه أزيل عن مكانه غير مرة ثم أعاده الله اليه . ووقع ذلك من جرهم واياد والعمالقة وخزاعة والقرامطة . وآخر من ازاله منهم أبو طاهر سليمان بن الحسن القرمطي وذلك انه في موسم سنة سبع عشرة وثلثمائة حصل منه في يوم التروية اذى عام وذلك أنه نهب الحاج وسفك الدماء حتى سال بها الوادي ثم رمي ببعض القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت ، واصعد رجلا على أعلى البيت ليقلع الميزاب فتردى على رأسه ومات ، ثم انصرف ومعه الحجر الأسود فعلقه على الأسطوانة السابعة من جامع الكوفة لاعتقاده الفاسد وزعم أن الحج ينتقل اليها ، فاستمر عنده الى أن اشتراه منه المطيع لله أبوالقاسم وقيل أبو العباس الفضل بن المقتدر بثلاثين الف دينار ، ثم أعيد الى مكانه سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، وكانت مدة مكثه عندهم اثنان وعشرون سنة الا شهرا ، ولما ذهب به هلك تحته اربعون جملا ولما أعيد الى مكة حمل على قعود أعجف فسمن تحته . وعن مجاهد أنه قال : يأتي الحجر والمقام يوم القيامة مثل أبي قبيس كل واحد منهما له عينان وشفتان يناديان

بأعلى أصواتهما يشهدان لمن وافاهما بالوفاء . وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «ان الله يعيد الحجر الى ماخلقه أول مرة» اخرجه الازرقي واخرج ابن شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال يرفع الحجر الأسود يوم الاثنين ، وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحط الخطايا حطاً» وروي انالحجر الأسود كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث .

(فروع) الاول : السنة في تقبيل الحجر الأسود أن يكون بلاتصويت ولا تطنين ولا لحس باللسان ، ثم ان امكنه أن يسجد عليه فعل لأنه جائز عندنا وعند الشافعي وأحمد لأن فيه تقبيلا وزيادة سجود لله تعالى ،وقال مالك ان السجود عليه بدعة ، ثم ذلك مشروط بعدم الايذاء والزحام والمدافعة لأن التقبيل سنة وترك الأذى عن الناس فريضة فلا يجوزالاتيان بالسنة مع ترك الفريضة ولأن له خلفاً وهو الاشارة .

الثاني : اذا كان الحجر مطيباً فقبله المحرم فلزق الطيب بفمه أو بيده أو باكثرهما لزمه الدم وإلا فصدقة وهذا عندنا ، وعند الشافعي لايشرع له التقبيل ولا المس .

الثالث : يستحب لمن اكل بصلا أو ثوما أو ماله رائحة كريهة واراد تقبيل الحجر أن ينظف فاه بسواك ونحوه مما يذهب الرائحة فان كان به بخر لايمكن زواله فهو معذور .

الرابع : لو أزيل الحجر من موضعه والعياذ بالله تعالى استلم ركنه وقبله وسجد عليه كذا نقله القاضي عز الدين بن جماعة الدارمي من الشافعية ، واستشكله بعض علمائهم ووجهه الجد رحمه الله وقال ان الخصوصية التي تثبت للحجر من كونه يمين الله في الارض ويشهد لمن استلمه بحق وتقبيله عليه السلام له غير موجودة في الركن الذي هو فيه انتهى . اقول لم اقف على نقل لاصحابنا في ذلك وما ذكره الجد منالتوجيه في غاية القبول ، وربما يوافق اصولنا لأنه حيث ثبت هذا الحكم لحجر اقتصر عليه واختص به دون الركن فلا ينتقل الحكم الى الركن ولا يقوم بدلا عن الحجر لأن من أصلنا أن نصب البدل بالراي لايجوز أما من أراد الطواف ووقف مستقبل الركن ورفع يديه لاجل النية فينبغي الجواز لانه محل البداءة فتأمل انتهى .

(فائدتان) الأولى : قد تقدم في الفرع الاول ان الزحام المفضي الى الايذاء عند استلام الحجر ممنوع ، وقد ثبت عن عبدالله بن عمر رضي

الله عنه انه كان يزاحم على الحجر حتى يدمي انفه ولا يترك تقبيله فالجواب انه كان مجتهدا وان مذهبه افضلية المزاحمة على الحجر وان افضت الى الاذى .

مطلب اول من استلم الركن من الأئمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير

الثانية : أول من استلم الركن الأسود من الائمة قبل الصلاة وبعدها ابن الزبير فاستحسنت ذلك الولاة بعده فاتبعته اخرجه الأزرقي .

(فصل في فضل الركن اليماني وذكر شيء مما ورد فيه)

روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مامررت بالركن اليماني الا وعنده ملك ينادي آمين آمين فاذا مررتم به فقولوا اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال «على الركن اليماني ملكان يؤمنان على دعاء من مر بهما وان على الحجر الأسود مالا يحصى» اخرجه الارزقي وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال «وكل بالركن اليماني سبعون ملكا من قال اللهم اني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا آمين» . قال العلامة عز الدين بن جماعة رحمه الله ولا تضاد بين الاحاديث على تقدير الصحة اذ يحتمل أن السبعين موكلون به ولم يكلفوا التأمين وانما يؤمنون عند سماع الدعاء والملكان كلفا قول آمين ورواية ملك محمولة على الجنس انتهى بمعناه وروى الازرقي عن عطاء قال قيل يارسول الله انك تكثر من استلام الركن اليماني قال ما أتيت عنده قط الا وجبريل عليه السلام قائم عنده يستغفر لمن يستلمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند «الركن اليماني باب من أبواب الجنة والركن الاسود من ابواب الجنة» واخرج الازرقي عن مجاهد انه قال «ما من انسان يضع يده على الركن اليماني ويدعو الا استجيب له وان بين اليماني والركن الاسود سبعين الف ملك لا يفارقونه هم هنالك منذ خلق الله البيت» وفي رسالة الحسن البصري عن النبي صلى الله عليه وسلم «ما بين الركن اليماني الى الركن الأسود قبور سبعين نبيا » وفي منسك بن جماعة « ما بين الركن والمقام وزمزم قبور نحو من الف نبي» ونقل عن الشعبي انه قال رأيت عجبا : كنا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير واخوه مصعب وعبد الملك بن مروان فقالوا بعد ان فرغوا من حديثهم ليقم رجل رجل

فليأخذ بالركن اليماني وليسأل الله تعالى حاجته فانه يعطى من سعة ثم قالوا لعبد الله بن الزبير قم أولا فانك أول مولود في الهجرة فقام فاخذ بالركن اليماني ثم قال : اللهم انك عظيم ترجى لكل عظيم أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك صلى الله عليه وسلم أن لا تميتني من الدنيا حتى توليني الحجاز ويسلم علي بالخلافة وجاء وجلس . ثم قام اخوه مصعب فاخذ بالركن اليماني فقال : اللهم انك رب كل شيء واليك كل شيء اسألك بقدرتك على كل شيء ان لا تميتني من الدنيا حتى توليني العراق وتزوجني سكينة بنت الحسين . وجاء وجلس . ثم قام عبد الملك بن مروان فاخذ بالركن وقال : اللهم رب السموات السبع والأرض ذات النبات بعد القفر أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك وأسألك بحرمة وجهك وأسألك بحقك على جميع خلقك وبحق الطائفين حول بيتك أن لا تميتني حتى توليني شرق الارض وغربها ولا ينازعني احد الا أتيت برأسه ثم جاء فجلس . ثم قام عبد الله بن عمر حتى أخذ بالركن ثم قال : اللهم يارحمن يارحيم اسألك برحمتك التي سبقت غضبك وأسألك بقدرتك على جميع خلقك ان لا تميتني من الدنيا حتى توجب لي الجنة . قال الشعبي فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيت كل واحد وقد أعطي ما سأل وبشر عبد الله بن عمر بالجنة (اقول) لقائل ان يقول ما الدليل على وجه البشرى ولم ار احدا من المؤلفين في هذا المعنى ذكر شيئا مما يستدل به على ذلك ولا تعرض له فيما وقفت عليه . ويحتمل ان يكون في ذلك وجهان (الأول) ان سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه كان قد كف بصره بعد ذلك وقد وعد النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلى بذلك بالجنة كما في صحيح البخاري (الثاني) ان الثلاثة لما اعطوا ما سألوه كان ذلك ادل دليل على اجابة دعاء الجميع إذ هو اللائق بكرم الله وسعة عطائه ، وكان سيدنا عبد الله رضي الله عنه من الورع والزهد والصلاح بالمكانة التي لا تجهل كما في مناقبه . وفي منهاج التائبين : من توضأ فأحسن الوضوء ثم اتى الركن اليماني ليستلمه خاض في الرحمة فاذا استلمه غمرته الرحمة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال: ما بين الركن اليماني والحجر الاسود روضة من رياض الجنة» .

(فرع) استلام الركن اليماني عندنا حسن وتركه لايضر لانه عليه السلام كان يستلمه مرة ويتركه اخرى وهو الصحيح كذا نقله الكرماني من اصحابنا وعن محمد انه يستلمه ويقبل يده وفي رواية عنه انه يقبله وعند الشافعي رحمه الله يستلم الركن اليماني قولا واحداً .

مطلب في كيفية استلام الركن اليماني هل يقبل يده ثم ينقلها اليه او يضع يده عليه ثم يقبلها

لكن اختلف اصحابه في كيفية استلامه قال بعضهم يقبل يده أولاثم يضعها على الركن لينقل القبلة اليه . وقال بعضهم يضع اليد على الركن اولا ثم يقبلها ليكون ناقلا بركته الى يده ونفسه وهو الاصح عندهم. وعند مالك رحمه الله يستلم الركن اليماني ولا يقبل يده وانما يضعها على فيه . وعند احمد رحمه الله انه يستلمه بيده ولا يقبله . وفي تقبيل يده خلاف عند اصحابه كذا نقله الشيخ عز الدين بن جماعة . ونقل الكرماني من اصحابنا رواية عن احمد انه يقبله وفي الكل ورد النقل عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم .

(واما الركنان الآخران) اللذان يليان الحجر فمذهب اهل العلم لا يستلمان كذا نقل عن كثير من الصحابة منهم عمر وابنه ومعاوية

فصل في فضل الملتزم والدعاء فيه

انما سمي بذلك لان الناس يلتزمونه ويدعون عنده وهو من المواطن التي يستجاب فيها الدعاء . روى القاضي عياض في الشفاء بقراءته على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله عن أبي العباس العذري عن اسامةمحمد الهروي عن الحسن بن رشيق عن ابي الحسن محمد بن الحسن بن راشد عن ابي بكر محمد بن ادريس عن الحميدي عن سفيان ن عينية عن عمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له» قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا منرسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي . وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو بن دينار الا استجيب لي . وقال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي . وقال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذسمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي . وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس

الا استجيب لي . قال ابو اسامة وما اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئاً وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن ابن رشيق الا استجيب لي في امر الدنيا وانا أرجو أن يستجاب لي في امر الآخرة . قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي . قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة فاستجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي بقيتها انتهى (يقول) الحقير مؤلف هذه الفضائل وجامعها قد دعوت الله فيه بأشياء فاستجيب لي بفضل الله وانا مستمر على الدعاء في أمور اخر منها حسن الخاتمة وارجو الله اجابة الدعاء بحصولها . وذكر القاضي عز الدين في منسكه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال من التزم الكعبة ودعا استجيب له ثم قال فيجوز أن يكون على عمومه ويجوز ان يكون محمولا على الملتزم انتهى .

ذكر معرفة الملتزم والمستجاب والمتعوذ والمدعي والحطيم

(اما الملتزم) فهو ما بين الحجر الاسود وباب الكعبة كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه .

(واما المستجاب) فهو ما بين الركن اليماني والباب المسدود في دبر الكعبة والدعاء عنده مستجاب كما رواه ابن أبي الدنيا .

(واما الحطيم) فهو مابين الحجر الأسود ومقام ابراهيم وزمزم وحجر اسماعيل . وسمي بذلك لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان ويستجاب فيها الدعاء للمظلوم على الظالم فقل من حلف هنالك كاذبا الا عجلت له العقوبة وكان ذلك يحجز الناس عن المظالم . وقيل لان الشاذروان هو الحطيم لان البيت رفع بناؤه وترك هو بالأرض محطوما والحطيم عندنا هو الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم وهو الموضع الذي نصب فيه ميزاب البيت وانما سمي بالحطيم لانه حطم من البيت أي كسر كذا في كتبنا .

(واما المتعوذ والمدعي) فروي عن ابن عباس ان الملتزم والمتعوذ والمدعي مابين الحجر الاسود والباب وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان مابين الركن الاسود والباب . هو الملتزم وما بين الركن اليماني والباب المسدود هو المتعوذ كانه جعل الاول موضع رغبة والثاني موضع استعاذة وعن عمرو بن العاص انه طاف بالبيت ثم استلم الحجر وقام بين الركن والباب فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه وبسطهما بسطا ثم قال كذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله .

مطلب دعاء آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام

واخرج الازرقي في تاريخه ان آدم عليه السلام طاف بالبيت سبعاً حين نزل ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين ثم اتي الملتزم فقال اللهم انك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم مافي نفسي وما عندي فاغفر لي ذنوبي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي اللهم اني اسألك ايماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم انه لن يصيبني الا ما كتبت لي والرضى بما قضيت علي فأوحى الله تعالى اليه يا آدم قد دعوتني بدعوات واستجبت لك وان يدعوني بها أحد من ولدك الا كشفت همومه وغمومه وكففت عليه ضيعته ونزعت الفقر من قلبه وجعلت الغنى بين عينيه وتجرت له من وراء تجارة كل تاجر واتته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها ثم قال فمنذ طاف آدم كانت سنة الطواف انتهى . قال العلامة عز الدين بن جماعة ولعله يريد سنة الطواف في العدد والا فقد ورد أن الملائكة طافت به قبل آدم عليه السلام فلعله كان بغير عدد أو بغير ذلك العدد أو اراد سنة لبنيه من بعده والله أعلم انتهى . وروى الأزرقي أن ابن الزبير مر بعبد الله بن العباس وهو بين الباب والركن الأسود فقال له ليس ههنا الملتزم انما هو دبر البيت فقال ابن عباس هنالك ملتزم عجائز قريش . وذكر أيضا أن عائشة رضي الله عنها أرسلت الى أصحاب المصابيح فأطفأوها ثم طافت من وراء ستر وحجاب ثلاثة اسابيع تقف بعد كل أسبوع بين الباب والحجر تدعو .

مطلب الأولى عند الحنفية لمن اراد الملتزم ان يقدمه على ركعتي الطواف ثم ياتي بهما

(فرع) الأولى عندنا لمن انتهى طوافه وأحب أن يلتزم أن يقدمه على ركعتي الطواف ثم يأتي بهما بعد ذلك كذا في منسك الكرماني من أصحابنا. وذكر غيره تقديم الصلاة على الالتزام وهذا فيما عدا طواف الوداع . وأما بعده فانه عقب الصلاة والشرب من ماء زمزم يأتي الملتزم ثم يدعو فيه بما اراد ثم ينصرف القهقري فيكون آخر عهده الالتزام . والله اعلم .

عدنا الى المقصود (ومنها) بقاء بنائه الموجود الآن وثباته ولا يبقى غيره من الابنية هذه المدة الطويلة كما ذكره المهندسون وذلك لأن الأرياح والأمطار قلما تواترت على بناء الاخرب وهذا البيت الشريف لم تزل الأرياح

العاصفة والأمطار العظيمة تتوالى عليه منذ بني والى تاريخه ولم يقع بحمد الله تغير في بنائه ولا خلل .

مطلب ما وقع في الكعبة من الترميم

قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله : ولم أقف في شيء من التواريخ على ان أحدا من الخلفاء ولا من دونهم غير من الكعبة شيئا مما صنعه الحجاج الى الآن الا في الميزاب والباب وعتبته . وكذا وقع الترميم في جدارها غير مرة وفي سقفها وسلم سطحها . ووقع ايضا في جدارها الشامي ترميم في شهور سنة سبعين ومائتين ، ثم في شهور سنة اثنتين واربعين وخمسمائة ثم في شهور سنة تسع عشرة وستمائة ثم في سنة ثمانين وستمائة ثم في سنة اربع عشرة وثمانمائة ، ثم قال وقد ترادفت الأخبار الآن في وقتنا هذا في سنة اثنتين وعشرين ان جهة الميزاب فيها ما يحتاج الى ترميم ، فاهتم لذلك سلطان الاسلام الملك المؤيد ثم حججت سنة أربع وعشرين وتأملت المكان الذي قيل عنه فلم أجده بتلك الشناعة. وقد نقض سقفها في سنة سبع وعشرين على يدي بعض الجند فجدد لها سقفا ورخم السطح فلما كان في سنة ثلاث وأربعين صار المطر اذا نزل ينزل الى داخل الكعبة أشد مما كان اولا فاداه رايه الفاسد الى ان نقض السقف مرة اخرى وسد ما كان في السطح من الطاقات التي كان يدخل منها الضوء الى الكعبة ولزم من ذلك امتهان الكعبة بل صار العمال يصعدون فيها بغير ادب ، فغار بعض المجاورين ، فكتب الى القاهرة يشكو ذلك فبلغ السلطان الظاهر فانكر ان يكون امر بذلك وجهز بعض الجند لكشف ذلك فتعصب للأول من جاور واجتمع الباقون رغبة ورهبة فكتبوا محضرا بانه مافعل شيئاً الا عن ملأ منهم وان كل ما فعله مصلحة فسكن غيظ السلطان وغطي عليه الامر . وقال ايضاً ومما يتعجب منه انه لم يبق الاحتياج في الكعبة الى الاصلاح الا فيما صنعه الحجاج اما من الجدار الذي بناه في الجهة الشامية واما في السلم الذي جدده للسطح والعتبة ، وما عدا ذلك مما وقع فانما هو لزيادة محضة كالرخام أو التحسين كالباب والميزاب . قال الجد نور الله ضريحة : وما ذكره من نقض سقفها سنة سبع وعشرين على يد بعض الجند وانه جدد لها سقفاً سبق قلم وصوابه سنة ثمان وثلاثين والله أعلم انتهى .

مطلب عقوبة من اخذ شيئا من مال الكعبة ويسمى بالابرق

(ومنها) أن فتى من الحجبة حضرته الوفاة واشتد عليه النزع جدا حتى مكث اياما ينزع نزعا شديدا فقال له ابوه لعلك أصبت من الابـرق شيئاً يعني مال الكعبة . فقال اربعمائة دينار ، فأشهد ابوه أن عليه للكعبة اربعمائة دينار فسري عن الفتى ثم لم يلبث ان مات .

مطلب اذا وضع مفتاح البيت في فم الصغير تكلم سريعا

(ومنها) أن مفتاح بابها اذا وضع في فم الصغير الذي ثقل لسانه عن الكلام تكلم سريعا ذكره الفاكهي وقال ان ذلك مجرب .

مطلب دخان البيت يصعد مستويا

(ومنها) ماذكره ابن الحاج ان دخان البيت لايذهب يمينا ولا شمالا ولا امام ولا خلف بل يصعد مستويا الى السماء . قال الفاسي ولعل المراد بالدخان دخان ماتجمر به الكعبة والله أعلم .

مطلب هيبته وتعظيمه في القلوب

(ومنها) هيبته وتعظيمه في قلوب الناس وكف الجبابرة عنه على مر الدهور والأعصار واذعان نفوس العرب لتوقير هذه البقعة بدون ناه ولا زاجر . روي أن الحجاج بن يوسف لما نصب المنجنيق على ابـي قبيس بالحجارة والنيران واشتعلت النار في أستار الكعبة جاءت سحابة من نحو جدة يسمع فيها الرعد ويرى البرق فمطرت فلم يجاوز مطرهـا الكعبـة والمطاف فاطفأت النار وارسل الله عليهم صاعقة فاحرقت منجنيقهم فتداركوه. قال عكرمة واحسب انها احترقت تحته اربعـة رجال فقـال الحجاج : لايهولنكم هذا فانها ارض صواعق فأرسل الله صاعقـة اخـرى فاحرقت المنجنيق واحرقت معه اربعين رجلا ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين في ايام عبد الملك بن مروان . قال الجد هذا والحجاج ماقصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير ففعل ذلك لاخراجه كما اشير اليه قريبا ان شاء الله تعالى . (اقول) وتوجيهه ان فعل الحجاج وان لم يقصد التسلط على

البيت فهو مؤذن بجبروته وعدوانه وانتهاكه لحرمة البيت والمسجد والبلد واستباحته للقتال في هذه البقعة الشريفة فهو جدير بارسال الصواعق على منجنيقه ورجاله بل وعليه ، فسبحان من لا يعجل بالعقوبة على من عصاه . انتهى .

(ومنها) أمن الخائف الثابت ذلك من قديم الدهر وكانت العرب يغير بعضها على بعض ويتخطفون الناس بالقتل واخذ الأموال وانواع المظالم الا في الحرم وينبني على هذا أمن الحيوان فيه وسلامة الشجر وذلك للبركة والهيبة والعظمة التي جعلها الله في هذا البيت وما جاوره وبركة دعوة الخليل صلوات الله عليه في قوله تعالى : «رب اجعل هذا البلد آمناً» الآية والعرب تقول في ضرب المثل : آمن من حمام مكة ، لانها لاتهاج ولا تصاد ، حكي عن بعض العباد انه قال كنت أطوف بالبيت ليلا فقلت يارب انك قلت «ومن دخله كان آمناً» فمن ماذا هو آمن ؟ فسمعت من يكلمني ويقول من النار فنظرت وتأملت فما كان في المكان أحد .

مطلب لا يرى البيت احد لم يكن رآه قبل الا ضحك اوبكى

(ومنها) ما روي عن الجاحظ انه قال : لا يرى البيت الحرام احد ممن لم يكن رآه قبل ذلك الا ضحك أو بكى .

مطلب تعجيل العقوبة لمن قصد البيت بسوء

(ومنها) تعجيل العقوبة لمن قصده بسوء كقصة تبع واصحاب الفيل حين قصدوا تخريبه ، وعند ذكرهما رايت أن أسوق خبرهما باختصار .

(أما قصة تبع) فذكر القرطبي في الاعلام أنه كان من الخمسة الذين دانت لهم الدنيا باسرها ، وكان كثير الوزراء فاختار منهم واحدا وأخرجه لينظر في ملكه ، وكان اذا اتى بلدة يختار من حكمائها عشرة رجال ، وكان معه من العلماء والحكماء مائة الف رجل هم الذين اختارهم من البلدان وام يكونوا محسوبين من الجيش . ثم انه قصد مكة فلما انتهى اليها لم يخضع له اهلها كخضوع غيرهم ولم يعظموه فغضب لذلك ودعا وزيره وشكى اليه فعلهم ، فقال : انهم عرب لا يعرفون شيئاً ولهم بيت يقال له الكعبة وهم معجبون به ، فنزل الملك بعسكره ببطحاء مكة وعزم على هدم البيت وقتل الرجال ونهب النساء وسبيهم ، فأخذه الصداع وتفجر من عينيه واذنيه ومنخريه وفمه ماء منتن فلم يصبر عنده أحد طرفة عين من

شدة النتن (فقال لوزيره) اجمع العلماء والحكماء والأطباء فلم يقدروا على الجلوس عنده ، وعجزوا عن مداواته وقالوا نحن نقدر على مداواة ما يعرض من أمور الأرض . وهذا من السماء لانستطيع له ردا . ثم اشتد امره وتفرق الناس عنه فلما أقبل الليل جاء أحد العلماء (١) لوزيره فقال ان بيني وبينك سرا فان كان الملك يصدقني في حديثه عالجته . فاستبشر الوزير بذلك وجمع بينه وبين الملك فلما خلا به قال له العالم : ايها الملك انت نويت لهذا البيت سوءا قال نعم . فقال له العالم أيها الملك نيتك احدثت لك هذا الداء . ورب هذا البيت عالم بالأسرار فبادر وارجع عما نويت ، فقال الملك قد اخرجت ذلك من قلبي ونويت لهذا البيت واهله كل خير فلم يخرج العالم من عنده الا وقد عافاه الله تعالى من علته فآمن بالله من ساعته وخلع على الكعبة سبعة أثواب وهو أول من كسا الكعبة كما سأذكره بعد ان شاء الله تعالى (ثم خرج) الى يثرب وليس بها يومئذ بيت وانما فيها عين ماء فنزل عند العين ثم ان العلماء والحكماء أخرجوا من بينهم أربعمائة وهم أعلمهم وتبايعوا أن لايخرجوا من يثرب وان قتلهم الملك فلما علم الملك بذلك سألهم عن الحكمة التي اقتضت اقامتهم في هذه البلدة ؟ فقالوا أيها الملك ان ذلك البيت وهذه البقعة يشرفان برجل يبعث في آخر الزمان اسمه محمد ووصفوه ثم قالوا طوبي لمن أدركه وآمن به ، ونحب ان ندركه أو يدركه أولادنا فلما سمع الملك بذلك هم بالمقام معهم فلم يقدر على ذلك فأمر بعمارة أربعمائة دار على عدة العلماء واعطى كل واحد منهم جارية واعتقها وزوجه بها واعطاهم مالا جزيلا (ثم كتب) كتابا وختمه بخاتم من ذهب ودفعه الى عالمهم الكبير الذي ابراه من علته وامره ان يدفعه الى محمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه ، والا يوصي بذلك أولاده ثم أولادهم (وكان الكتاب) أما بعد : فاني آمنت بك وبكتابك الذي ينزل عليك . وانا على دينك وسنتك وآمنت بربك وبكل ما جاء من ربك من شرائع الايمان والاسلام فان ادركتك فيها ونعمت ، والا فاشفع لي ولا تنسني يوم القيامة فاني من أمتك الأولين وقد بايعتك قبل مجيئك وانا على ملتك وملة ابراهيم أبيك عليه السلام (ثم نقش عليه) لله الأمر من قبل ومن بعد وكتب عنوانه الى محمد بن عبد المطلب نبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول حمير ابن وردع ثم سار من يثرب الى بلاد الهند فمات بها وكان من يوم موته الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الف سنة لاتزيد ولا تنقص .

---

(١) اسمه بلنانة .

مطلب آباء الانصار اولئك الاربعمائة حكيم

وكان الأنصار من أولاد أولئك العلماء والحكماء (فلما ظهر خبره)صلى الله عليه وسلم بمكة ارسلوا اليه كتاب تبع مع رجل منهم يقال له ابو ليلى الى مكة فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في قبيلة بني سليم ، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له انت أبو ليلى ، فقال نعم ، قال معك كتاب تبع الأول . قال نعم ، وبقي ابو ليلى متفكرا ثم دفع الكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي بن أبي طالب فقراه عليه فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام تبع قال مرحباً بالاخ الصالح ثلاث مرات ثم أمر ابا ليلى بالرجوع الى المدينة يبشرهم بقدومه عليه السلام .

مطلب ابو ايوب الذي نزل عنده صلى الله عليه وسلم من ولد العالم الذي شفي بـه تبـع

(فلما هاجر) النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ساله اهل القبائل ان ينزل عليهم وصاروا يتعلقون بزمام ناقته وهو يقول خلوها فانها مأمورة حتى جاءت الى دار أبي ايوب الأنصاري وكان من أولاد العالم الذي شفي تبع برايه انتهى بمعناه .

مطلب على وجه تسمية قعيقعان واجياد بذلك

وقيل بل سبب عزمه على هدم البيت ان جماعة من هذيل ممن يحسد قريشاً حسنوا لتبع هدم الكعبة . وأن يبني بيتا عنده ، ويصرف حجاب العرب اليه فلما سار لهـذا القصد حصل له ما حصل . فاقلع عن ذلك كما تقدم . وامر بقتل الهذليين . ثم لما قدم مكة كان سلاحه بالموضع المعروفة بقعيقعان فلذلك سمي بـه . وقيل لغير ذلك وكانت خيله بالمكان المعروف بأجياد ، فقيل سمي بذلك لهذا ، وقيل لغيره وكانت مطابخه في الشعب المعروف بعبد الله بن عامر بن كريز ، فلذلك سمي الشعب بالمطابخ ، واقام بمكة اياما ينحر كل يوم مدة اقامته مائة بدنة لايرزأ هو ولا احد ممن في عسكره منها شيئاً بل يرذها الناس ثم الطير ثم السباع

(واما قصة اصحاب الفيل) اذ قصدوا تخريب البيت فاهلكهم الله

تعالى ، فروي ان الحبشة لما ملكت اليمن وعليهم ابرهة الأشرم بنوا كنيسة بصنعاء كالكعبة وصرفوا حجاج الكعبة اليها فسمع بذلك رجال من قريش فتوجهوا اليها ودخلوها ولطخوها بالعذرة وهربوا فبلغ ذلك أبرهة وعزم على هدم الكعبة وتجهز في جيش عظيم فلما شارف مكة اغار على سرحها فاستاق اموال قريش واصاب ابلا لعبد المطلب ونزل بعرفة فخرج اليه عبد المطلب فلما رآه ابرهة نزل عن سرير ملكه اجلالا له وقال لترجمانه سله عن حاجته . فسأله ، فقال : حاجتي ان يرد علي مائتي بعير اصابها قومه فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتني حين رايتك ولقد زهدت الآن فيك حيث جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لأهدمه فلم تكلمني فيه وكلمتني في ابل اصبتها ، فقال عبد المطلب أنا رب الابل ، وللبيت رب سيمنعه ، وفي رواية يحميه فعظم كلامه عنده ، ورد عليه ابله ثم خرج عبد المطلب وامر قريشا ان يتفرقوا في الشعاب ورؤوس الجبال خوفاً عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا واتي عبد المطلب الى الكعبة واخذ بحلقتها ، وجعل يقول :

لاهم ان المرء يمنع رحله وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

ومعنى محالك اي مكرك ، ومنه وهو شديد المحال ، وقال أيضاً :

يارب لا ارجو لهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت قد عادا كا فامنعهم ان يخربوا قراكا

ثم ان ابرهة اصبح متهيئاً لدخول مكة ووجهوا الفيل اليها فنكص على عقبيه راجعاً وبرك فأدخلوا الحديدة في انفه حتى خرموه فلم يساعدهم على التوجه الى مكة فوجهوه الى اليمن والى غيره من الجهات فهرول فوجهوه الى مكة فأبى فبينما هم كذلك اذ ارسل عليهم طيرا من جهة البحر ابابيل اي جماعات تجيء شيئا بعد شيء يحمل كل طير منهم ثلاثة أحجار صغار حجرين في رجليه وحجرا في منقاره اذا وقع الحجر على راس احدهم خرج من دبرة فأهلكهم الله جميعا ، ويروى ان كل حجر كان مكتوبا عليه اسم الذي يقع عليه ، وبعث الله على ابرهة داء في جسده فتساقطت انامله وانصدع صدره قطعتين فهلك . واختلف في مقدار الحجارة ، فقيل كانت كأمثال الحمص ، وقيل غير ذلك ، ورأى أهل مكة

الطير لما اقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب ان هـذا الطير لغريب ثم بعث ابنه عبد الله ابا النبي صلى الله عليه وسلم على فرس ينظر فرجع وهو يركض ، ويقول هلك القوم جميعاً ثم خرج عبد المطلب وقريش وغنموا اموالهم ، وروي انه لم ينج منهم الا ابو يكسوم فسار راجعـاً وطائر يطير فوقه ولا يشعر به حتى دخل على النجاشي وأخبره بمصاب القوم فمـا استتم كلامه حتى رماه الطير فمات . ومن يومئذ احترمت الناس قريشا وقالوا هم جيران الله يدافع عنهم . وذكر العلامة ابن بحـرق الحضرمي رحمه الله في سيرته النبوية انه صلى الله عليه وسلم كان يومئذ حملا وولد بعد الفيل بخمسين ليلة والله أعلم (ومنها) تعجيل الانتقام لمن تعاطى عنده مالا يليق فمن ذلك ما حكي أن رجلا كان في الطواف فبـرق له ساعد امراة فوضع ساعده عليه متلذذا به فلصق ساعداهما فقال له بعض الصالحين ارجع الى المكان الذي فعلت فيه فعاهد رب البيت أن لاتعود باخلاص وصدق نية ففعل ، فخلي عنه وانفصل ساعده (ومنها) قضية إساف لما فجر بنائلة في البيت مُسخا حجرين وهما الصنمان اللذان كانا على زمزم تنحر لهما قريش في الجاهلية وتعبدهما وقالوا لولا أن الله رضي بهما ان يعبدا معه ما نكسهما . فانزل الله تعالى : ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ولم يزالا يعبدان حتى كان يوم فتح مكة فخرجت من نائلة عجوز شمطاء حبشية تخمش وجهها وتدعو بالويل والثبور فيروي أنـه عليه السلام قال تلك نائلة ايست أن تعبد ببلادكم وكان إساف ونائلة من جرهم (ومنها) قصة المراة التي جاءت الى البيت تعوذ به من ظالم فجاء فمد يده اليها فصار أشل (ومنها) قصة الرجل الذي سـالت عيناه على خده من نظرة نظرها الى شخص في الطواف استحسنه (ومنها) أن البيت الشريف يفتح فيدخله الجم الغفير من الناس متزاحمين فيسعهم بقدرة الله تعالى ولم يعلم أن احدا مات فيه من الزحام الا ما وقع في سنة إحدى وثمانين وخمسمائة كما نقله المؤرخون فانه مات فيه أربعة وثمانون نفـرا . قال العلامة ابن النقاش والكعبة تسع الف انسان واذا فتحت أيام الموسم دخلها آلاف كثيرة قال الجد بواه الله دار كرامته فعلى هذا انها تتسع كما ورد ان منى تتسع كاتساع الرحم (ومنها) ما أخرجه الفاكهي في تاريخ مكة بسنده الى عبدالله بن بكر السهمي عن ابيه أنه قال جاورت بمكة فعابت اسطوانـة من أساطين البيت فأخرجت وأتي بأخرى ليدخلوها مكانهـا فطالت عن الموضع وأدركهم الليل والكعبة لا تفتـح ليلا فتركوهـا ليعودوا من غـد فيصلحوها . فجاءوا في الغد فأصابوها أقوم من قدح . قال العلامة ابن حجر وهذا اسناد قوي رجاله ثقات . وبكر هو ابـن حبيب من كبـار التابعين وكانت هذه القصة في أوائل دولة بني العبـاس والاسطوانة من

خشب والله أعلم . وعابت فيما رواه الفاكهي بالعين المهملة والموحدة ؛ وقدح بكسر القاف وبالحاء المهملة هو السهم (ومنهـا) كما نقل عن الجاحظ أن الفرقة من الطير من حمـام وغيره تقبل حتى اذا كادت أن تبلغ الكعبة انفرقت فرقتين فلم يعل ظهرها شيء منها ونقل عن جمع من العلماء منهم العز بن جماعة ومكي رحمهما الله أن ماعوين من ارتفاع الطير على البيت فللاستشفاء . وانشدوا في معنى ذلك :

والطير لا يعلو على أركانها الا اذا أضحى بها متألما

قال ابن عطية رحمه الله والقول بأن الطير لا يعلو ضعيف فانه يعاين يعلوه وقد علته العقاب التي اخذت الحية المشرفة على جداره وتلك كـانت من آياته انتهى . قال الزركشي ، وليس في هذا ما ينافي كلام مكي انتهى. قال الجد رحمه الله قلت ، وتوجيه عدم منافاته ان ماعوين من ذلك قد يكون للاستشفاء ، واما العقاب فلأخذ الحية المذكورة ثم قال أيضاً والمعروف عند اهل مكة المشرفة قبل وقتنا هذا ما قاله مكي وابن جماعة وغيرهما واما في وقتنا هذا فما قاله ابن عطيه فان الطيور الآن تعلوه كثيراويتكرر منها ذلك في الساعة الواحدة وهذا مشاهد لا ينكر ولعـل حدوث ذلك بسبب ما وقع من نقض السقف والتغيرات الواقعة والله اعلم انتهى بنصه. اقول وتوجيه قول الجد رحمه الله ظاهر اذ يحتمل انه كان في السقف المنقوض وفيما غير منه شيءمن الارصاد يمنعمن ذلك فزال عند النقض والتغيير والله الموفق انتهى (ومنها) ما وقع عن التوربشتي في شرح المصابيح انه قال ولقد شاهدت من كرامة البيت أيام مجاورتي بمكة ان الطير كان لا يمر فوقه وكنت كثيرا أتدبر تحليق الطيور في ذلك الجو فأجدها مجتنبة عن محاذاة البيت وربما انقضت من الجو حتى تدانت فطافت به مرارا ثـم ارتفعت ثم قال أيضا ومن آيات الله البينة في كرامـة البيت ان حمامات الحرم اذا نهضت للطيران طافت حوله مرارا من غير أن تعلوه فاذا وقفت عن الطيران وقعت على شرفات المسجد او على بعض الأسطحة التي حول الكعبة من المسجد ولا تقع على ظهر البيت مع خلوها عمـا ينفرها ، وقد كنا نرى الحمامة اذا مرضت وتساقط ريشها وتناثر ترتفع من الارض حتى اذا دنت من ظهر البيت القت بنفسها على الميزاب او علـى طرف ركن من الأركان فتبقي به زمانا طويلا كهيئة المتخشع لا حراك فيها ثـم تنصرف بعد حين من غير ان تعلو شيئا من سقف البيت (ومنها) ان المطر اذا عمه من جميع جوانبه دل ذلك على حصول الخصب في جميع جهـات الأرض فان كان المطر من جانب اخصب من الأرض ما بازائه من الجهة (ومنها) ان الله تعالى يلحظه في كل عام لحظة في ليلة النصف مـن

شعبان (ومنها) أن خمسة من جرهم تواعدوا ان يسرقوا ما في خزانة الكعبة من الحلي فقام على كل زاوية من البيت رجل منهم واقتحم الخامس فجعل الله تعالى أعلاه اسفله وسقط منكسا فهلك وفر الأربعة وبعث الله تعالى حية سوداء الراس والذنب وباقيها أبيض فحرست البيت خمسمائة سنة وهي التي اختطفها العقاب كما تقدم . ويروى أن هذه الحية هي الدابة التي تخرج عند قيام الساعة تكلم الناس كذا نقله ابن جماعة (ومنها) ما روي عن ابن عباس أن رجلا قرشيا قتل هاشميا في الجاهلية وانكر قتله فقال له ابو طالب اختر إحدى ثلاث اما ان تؤدي مائة من الابل واما ان يحلف خمسون رجلا من عشيرتك أنك لم تقتله والا قتلناك ، فاختار عشيرته الحلف فقبل أبو طالب عن واحد منهم الفداء واطلق آخر بشفاعة امه فيه وحلف ثمانية واربعون عند البيت قال ابن عباسَ فوالذي نفسي بيده ما جاء الحول ومنهم عين تطرف وقال ان ذلك اول قسامة في الجاهلية (ومنها) ايضا ان خمسين رجلا من بني عامر بن لؤي حلفوا في الجاهلية عند البيت على قسامة باطلا ثم خرجوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق نزلوا تحت صخرة فبينما هم قائلون اذ اقبلت الصخرة عليهم فخرجوا من تحتها يسعون فانفلقت خمسين فلقة فأدركت كل فلقة رجلا فقتلته (ومنها) ما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل رجلا من بني سليم عن ذهاب بصره فقال يا أمير المؤمنين كنا بني الضبعاء عشرة وكان لنا ابن عم فظلمناه فكان يذكرنا بالله والرحم ان نكف عنه وكنا اهل جاهلية نرتكب كل الأمور فلما رآنا لا نرد ظلامته انهل حتى اذا دخلت الاشهر الحرم انتهى الى الحرم فجعل يرفع يديه ويقول :

لاهم ادعوك دعاء جاهدا	اقتل بني الضبعاء إلا واحدا
ثم اضرب الرجل فذره قاعدا	اعمي اذا ما قيد يعيي القائدا

فمات اخوة لي تسعة في تسعة اشهر في كل شهر واحد وبقيت انا فعميت وليس يلائمني قائد (ومنها) ما روي عن حويطب بن عبد العزى انه قال كان في الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريبه احد فجاء خائف فأدخل يده في حلقة منها فاجتذبه رجل فشلت يده فلقد رايته في الاسلام وانه لأشل (فائدة) روى ابن عباس رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكر ما كان يعاقب به من حلف على ظلم ثم قال ان الناس اليوم ليركبون ما هو أعظم من هذا ولا تعجل لهم العقوبة مثل ما كانت تعجل لأولئك فما ترون ذلك فقالوا انت اعلم يا أمير المؤمنين قال ان الله عز وجل جعل في الجاهلية اذ لا دين حرمة حرمها وعظمها

وشرفها وعجل العقوبة لمن استحل شيئا منها لينتهوا عن الظلم مخافة تعجيل العقوبة فلما بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم توعدهم فلما انتهكو ما حرم الله وعدهم بالساعة فقال والساعة أدهى وامر فأخر العقاب الى القيامة (ومنها) ما يروى ان عبدالله بن عمرو بن العاص كان جالسا في جماعة من قريش بالمسجد الحرام بعدما ارتفع النهار وقلصت الافياء واذا هم ببريق آيم داخل من جهة باب بني شيبة فاشرابت اعينهم اليه وأبتدروه بأبصارهم فجاء حتى استلم الركن وطاف بالبيت سبعا وهم يحصونه ثم ذهب الى دبر المقام فركع ركعتين وهم ينظرون اليه فقال عبدالله بن عمرو لبعض الجماعة اذهب الى هذا فحذره فاني أخاف عليه ان يقتل او يعبث به فذهب اليه حتى وقف على رأسه وحذره فاصغي اليه برأسه حتى استنفد كلامه ثم ذهب في السماء حتى غاب فما يرى. والآيم هي الحية الذكر وبريقه لمعانه (ومنها) ما روى ان طَيرين اقبلا في الجاهلية كأنهما نعامتان يسيران كل يوم ميلا او بريدا حتى انيا مكة فوقعا على الكعبة وكانت قريش تطعمهما وتسقيهما فاذا خف الطواف من الناس نزلا فدفا حول الكعبة حتى اذا اجتمع الناس طارا فوقعا على الكعبة فمكثا كذلك شهرا أو نحوه ثم ذهبا . ومعنى دفا سارا وسيأتي في فضائل الكعبة يدفون اليك دفيف النسور . قال في الصحاح الدفيف الدبيب وهو السير اللين . ومنها ما أخرجه الازرقي في تاريخه ان طائرا اقبل من ناحية اجياد الصغير اونه لون الحبرة بريشة حمراء وريشة سوداء دقيق الساقين طويلهما طويل العنق دقيق المنقار طويله كأنه من طير البحر وكان ذلك في يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ست وعشرين ومائتين عند طلوع الشمس والناس اذ ذاك في الطواف كثير من الحاج وغيرهم فوقع في المسجد الحرام قريبا من مصباح زمزم فقابل الركن الاسود ساعة طويلة ثم طار حتى صدم الكعبة في نحو من وسطها ما بين الركن الأسود واليماني وهو الى الركن الاسود اقرب ثم وقع على منكب رجل محرم من الحجاج من اهل خراسان في الطواف عند الحجر الأسود فطاف الرجل اسابيع وعيناه تدمعان على خديه ولحيته والطائر على منكبه الايمن والناس يدنون منه وينظرون اليه ويتعجبون منه وهو غير متوحش ، ثم طار حتى وقع يمين المقام ساعة طويلة يمد عنقه ويقبضه الى جناحه فأقبل فتى من الحجبة فأخذه ليريه رجلا منهم كان يركع خلف المقام فصاح اشد صياح لا يشبه صوته صوت الطير ففزع منه فأرسله فطار حتى وقع بين يدي دار الندوة ، ثم خرج من باب المسجد الذي بين دار الندوة ودار العجلة نحو قعيقعان (ومنها) مارواه أبو الطفيل قال كانت امراة من الجن تسكن ذا طوى في الجاهلية وكان

لها ابن ليس لها غيره وكانت تحبه حبا شديدا وكان شريفا في قومه فتزوج فلما كان يوم سابعه قال لأمه اني أحب أن أطوف بالكعبه سبعا نهارا فقالت اراني أني أخاف سفهاء قريش فقال أرجو السلامة فاذنت له فولى في صورة جان فلما أدبر جعلت تعوذه تقول أعيذك بالكعبة المستورة ودعوات ابن أبي محذورة وما تلا محمد من سورة اني الى حبوته فقيرة واني بعيشه مسرورة . ثم مضى فطاف سبعاً وصلى خلف المقام ركعتين ثم أقبل راجعا حتى اذا كان ببعض دور بني سهم عرض له شاب من بني سهم أحمر أزرق أحول أعسر فقتله فثارت بمكة غبرة حتى لم تر الجبال، فقال أبو الطفيل وبلغنا أن الغبرة انما تثور كذلك عند موت عظيم من الجان قال فاصبح كثير من بني سهم موتى على فرشهم من قبل الجان فنهضت بنو سهم وحلفاؤهم ومواليها وعبيدها فركبوا الجبال والشعاب بالثنية فما تركوا حية ولا عقربا ولا شيئاً من الهوام يدب على وجه الأرض الا قتلوه واقاموا على ذلك ثلاثاً فسمعوا في الليلة الثالثة هاتفاً على أبي قبيس يهتف بصوت جهوري يسمعه من بين الجبلين : يا معشر قريش الله الله فان لكم أحلاما وعقولا اعذرونا من بني سهم قد قتلوا منا أضعاف ماقتلنا منهم ادخلوا بيننا وبينهم بصلح نعطيهم ويعطونا العهد والميثاق أن لا يعود بعضنا لبعض بسوء أبدا ففعلت قريش ذلك واستوثق البعض من البعض فسميت بنو سهم العباطلة قتلة الجن لذلك (ومنها) أن الله تبارك وتعالى وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم بالملائكة وأن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة من حجها تعلق بأستارها حتى تدخلهم الجنة وان الملك اذا نزل الى الأرض في بعض امور الله تعالى فأول ما يامره الله بزيارة البيت فينقض من تحت العرش محرما ملبياً حتى يستلم الحجر ثم يطوف بالبيت سبعاً ويركع ركعتين ثم يمضي لما أمر بعد . وعن عمر رضى الله عنه انه قال من أتى هذا البيت لا ينهزه غير صلاة فيه رجع كيوم ولدته أمه . ومعنى لا ينهزه لا يحمله على ذلك ذلك (ومنها) أن هذا البيت منذ خلقه الله تعالى ما خلا عن طائف يطوف به منَ أنس أو جن أو غير ذلك قال بعض السلف خرجت يوما في هاجرة ذات سموم وقلت ان خلا البيت عن طائف ففي هذا الحين ورايت المطاف خاليا فدنوت فرأيت حية عظيمة رافعة راسها وهي تطوف حوله (ومنها) ما يروى ان الكعبة شكت الى الله تعالى مانصب حولها من الأصنام وما يستقسم به من الأزلام . فأوحى الله اليها أني منزل نورا وخالق بشرا يحنون اليك حنين الحمام الى بيضه ، ويدفون اليك دفيف النسور * ويحكى عن بعض السلف أنه دخل الحجر في الليل ، وصلى تحت الميزاب فسمع وهو ساجد كلاما بين أستار الكعبة والحجارة ، وهو : أشكو الى

الله ما يفعل هؤلاء الطائفون حولي من اساءتهم ، قال فأولت أن البيت شكى (ومنها) ما ذكر أن يوم قتل عبدالله بن الزبير بمكة اشتد الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة الا جمل يطوف بها (ومنها) ان من حجه ثلاث مرات حرم الله جسده على النار ولم تؤثر فيه . روى القاضي عياض في الشفاء عن بعض شيوخ المغرب أن قوما أتوه فاعلموه ان كتامة — وهي قبيلة من البربر — قتلوا رجلا واضرموا عليه النار فلم تعمل فيه وبقي أبيض البدن . فقل لهم لعله حج ثلاث حجات فقالوا نعم ، فقال حدثت ان من حج حجة أدى فرضه ، ومن حج ثانية داين ربه ، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار (ومنها) ما يروى عن الأوزاعي انه قال : رايت رجلا متعلقا باستار الكعبة وهو يقول :

يارب اني فقيـر كما ترى	وصبيتي قد عروا كما ترى
وناقتي قد عجفت كما ترى	وبردتي قد بليت كما ترى
فمـا تـرى فيما ترى	يا من يـرى ولا يـرى

فاذا بصوت من خلفه يا عاصم يا عاصم الحق عمك قد هلك بالطائف وخلف ألف نعجة وثلثمائة ناقة واربعمائة دينار واربعة اعبد وثلاثة اسياف يمانية فامض فخذها فليس له وارث غيرك . قال الأوزاعي : فقلت لـه يا عاصم انك دعوت قريباً ، فقال يا هذا اما سمعت قوله : « واذا سألك عبادي عني فاني قريب » (ومنها) ما روى عن علي بن الموفق انه قال : طفت بالبيت ليلة وصليت ركعتين بالحجر واستندت الى جداره ابكـي واقول كم احضر هذا البيت الشريف ، ولا ازداد في نفسي خيرا !! فبينما انا بين النائم واليقظان . اذ هتف بي هاتف ، وهو يقول : يا علي سمعنا مقالتك أو تدعو أنت الى بيتك من لا تحبه (ومنها) ما ذكر عن أبي بـن خلف وعبيد الله بن عثمان انهما كانا في الحجر في شهر رجب فلم يشعرا الا بحية قد اقبلت حتى مرت بهما ، فدخلت تحت استار الكعبة ، وسمعا كلاما من حيث دخلت يقول : يا معشر قريش كفوا عما تأتون من الظلم قبل أن تنزل بكم النقم كفوا سفهاءكم فانكم في بلد عظيم حرمتـه (١) (ومنها) أن امراة عابدة جاءت حاجة فلما دخلت مكة جعلت تقول : اين بيت ربي وتكرر ذلك فقيل لها هذا بيت ربك فاشتدت نحوه تسعى حتى

---

(١) ولقائل ان يقول وجه عد هذه الثلاثة الاشخاص في آيات البيت الشريف لايخلو الحال فيه اما ان المصنف رحمه الله تعالى تبع غيره في ذكرها وما نظر الى ان فيها مناسبة لاياته أم لا واما انه اعتبر الحالة التي حصلت لهم عند رآيته ومشاهدته فعدت من فضائله وكراماته وآياتـه .

الصقت جبينها بحائط البيت فما رفعت منه الا ميتة . (ومنها ان الشبلي رضي الله عنه لما وصل الى مكة ونظر الى البيت عظم عنده قدر ماناله وانشد طربا :

ابطحان مكة هذا الذي اراه عيانا وهذا انا

ثم لم يزل يكررها حتى غشي عليه . (ومنها) ان ابا الفضل الجوهري لما دخل الحرم ورأى الكعبة علاه حال فقال - وقد دخله الطرب - هذه ديار المحبوب فأين المحبوب ؟ وهذه آثار اسرار القلوب فأين المشتاقون، وهذه ساعة الاطلاع على الدموع ، فأين البكاءون ؟ ثم شهق شهقة وانشد:

هذه دراهم وانت محب مابقاء الدموع في الآماق

ثم بادر الى البيت باكيا وهو ينادي : لبيك اللهم لبيك ، وهذا بعض ما ذكر من فضائل هذا البيت ، وهذه الأوراق لا تسع اكثر من ذلك وفيما ذكر مقنع ، ، والله تعالى أعلم .

الباب الثالث

فيما يتعلق ببناء الكعبة الشريفة

وكم مرة بنيت وما ورد في ذلك من اقوال والروايات والاختلاف وبيان أسباب البناء وها انا أذكره مبينا مفصلا مع التنبيه على أشهر الاقوال

(اعلم) ان الكعبة زادها الله تعالى شرفا بنيت مرات . قال في منهاج التائبين : بنيت الكعبة خمس مرات (احداها) بناء الملائكة وقيل آدم . (الثانية) بناء الخليل عليه السلام . (الثالثة) بناء قريش في الجاهلية . (الرابعة) بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنه (الخامسة) بناء الحجاج ، وقد قيل انها بنيت مرتين اخريين : (الأولى) بناء العمالقة بعد ابراهيم عليه السلام ، (والثانية) بناء جرهم بعد العمالقة ثم بنته قريش ، والله أعلم انتهى . وفي شفاء الغرام للقاضي تقي الدين

الفاسي رحمه الله انها بنيت عشر مرات : (الأولى) الملائكة عليهم السلام. ثم آدم صلوات الله عليه . ثم أولاده . ثم الخليل عليه الصلاة والسلام. ثم العمالقة . ثم جرهم . ثم قصي بن كلاب . ثم قريش . ثم عبدالله بن الزبير رضي الله عنه . ثم الحجاج بن يوسف الثقفي . قال القاضي تقيالدين المشار اليه : واطلاق العبارة بانه اي الحجاج بنى الكعبة تجوز لأنه لم يبن الا بعضها كما سيأتي بيانه ، ولولا ان السهيلي والنووي ذكراه لما ذكرته انتهى وفي الروض الأنف للسهيلي ان أول من بني الكعبة شيث ابن آدم عليهما السلام وذكر في موضع آخر ان الملائكة هي التي اسست الكعبة . وذكر القاضي تقيالدين ايضاً انه وجد بخط عبدالله المرجاني ان عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بنى الكعبة بعد قصي ، وقبل بناء قريش ثم قال ولا اعلم له في ذلك سلفاً ولا خلفاً والله اعلم .واختلف هل بناء الملائكة قبل آدم أو بناء آدم قبل الملائكة ، وذكر الأزرقي رحمه الله ما يشهد للقولين ، وفي منسك الجد نور الله ضريحه بنيت الكعبة الشريفة خمس مرات : الأولى بناء الملائكة ، الثانية : بناء آدم عليه السلام ، الثالثة : بناء ابراهيم عليه السلام ، الرابعة : بناء قريش في الجاهلية . الخامسة : بناء ابن الزبير ثم هدم الحجاج بعضه وبناه. قال الجد رحمه الله وهذا هو المشهور المعروف . واخرج الفاكهي عن علي كرم الله وجهه ان اول من بنى البيت الخليل عليه السلام ، وجزم به بن كثير في تفسيره . وقال لم يجيء خبر عن معصوم ان البيت كان مبنيا قبله . وقال في تاريخه عند قوله تعالى : « ان اول بيت وضع للناس » الآية يذكر تعالى عن عبده وخليله انه بنى البيت العتيق الذي هو اول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه ، وبواه مكانه اي ارشده اليه ودله عليه وعن علي وغيره انه أرشده اليه بوحي بن الله ولم يجيء خبر صحيح عن معصوم ، وذكر ما تقدم ثم قال ومن تمسك في هذا بقوله تعالى مكان البيت ، فليس بناهض ولا ظاهر لأن المراد مكانه الكائن في علم الله المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم الى زمن ابراهيم . وقد ذكر ان آدم نصب عليه قبة ، وان الملائكة قالوا له قد طفنا قبلك بهذا البيت وان السفينة طافت به أربعين يوما أو نحو ذلك . وكل هذه اخبار عن بني اسرائيل وهي لا تصدق ولا تكذب فلا يحتج بها انتهى . اقول فعلى هذا يكون بناء البيت ثلاث مرات ، الأولى : الخليل عليه السلام الثانية : بناء قريش الثالثة : بناء ابن الزبير والحجاج لأن بناء الخليل ثابت بنص الكتاب ، وبناء قريش ثابت في صحيح البخاري وغيره ، وبناء ابن الزبير والحجاج ذكره عامة المفسرين واهل التواريخ وغيرهم من العلماء. ويحتمل أن يقال ايضاً ان الكعبة بنيت أربع مرات : الأولى بناء الملائكة

وآدم معاً في آن واحـد ، ويشهد له ما سيأتي قريبا عن ابن عبـاس عنـد ذكر السبب في بناء آدم عليه السلام كما ستقف عليه ، وهو مجرد تأسيس الثانية بناء الخليـل . الثالثة بناء قريش . الرابعة بناء ابن الزبيروالحجاج ويكون البناء الاول والرابع مشتركا ثـم القول بأن ذلـك في آنيـن فهو تأسيس ايضا كما ذكره الفاسي في شفاء الغرام لابناء مرتفع كغيـره من الابنية الآتي وصفها لأنه حينئذ يحتاج الى معرفة السبب في نقض بناء الملائكة على تقـدير اوليته حتى بناه آدم ، وفي نقض بنـاء آدم أن لو كان اولا حتى بنته الملائكـة كما ستعلمـه عنـد ذكر أسباب الابنية الآتيـة ان شاء الله تعالى . ولم ار احدا ذكر ذلك فيما وقفت عليه ولا تعرض لمقدار ارتفاع بناء الملائكة وآدم في السماء كم هو فيحتمل انه كان مرتفعا وحفظ من الهدم والتغير الى ان بنى عليه آدم او الملائكة على الخلاف ايهما كان أولا أو انه انهدم لتناسخ القرون فبنى ثانيا على ما وجـد من الأساس او لم يكن هناك ارتفاع اصلا بل مجرد تأسيس فبنى عليه ، ويحتمل غير ذلك والله أعلم بحقائق الأمور انتهى . وقد آن الشروع في ذكر الأسباب المشار اليها :

(اما سبب بناء الملائكة عليهم الصلاة والسلام) فروي عـن علـي ابن الحسين رضي الله عنهما انه قال لما قال الله للملائكـة اني جاعل في الأرض خليفة قالت اي رب خليفة من غيرنا ممن يفسد فيهـا ويسفـك الدماء فغضب عليهم ، فلاذوا بالعرش ورفعوا رءوسهم واشاروا بالأصابع يتضرعون ويبكون اشفاقا لغضبه ، فطافوا بالعرش ثلاث ساعات ، وفي رواية سبعة أطواف يسترضون ربهم ، فرضي عنهم وقال لهم ابنوا لي في الارض بيتا يعوذ به كل من سخطت عليه من خلقي ، فيطوف حولـه كما فعلتم بعرشي فأغفر له كما غفرت لكم فبنوا البيت الحرام . قال العلامة عماد الدين ابن كثير رحمه الله : قول الملائكة عليهم السلام اتجعل فيهـا الآية سؤال على وجه الاستكشـاف والاستعلام على وجه الحكمة لا علـى وجه الاعتراض والتنقص لبني آدم والحسد لهم كمـا توهمه بعض جهلة المفسرين ، وفي الروض الأنف للسهيلي لما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسـد فيها خافت ان يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم في علمه ، فطافوا بالعرش سبعاً وذكر ما تقدم عن علي بن الحسين رضي الله عنـه كذا حكاه الجد نور الله ضريحه وجعل الرحمة غبوقه وصبوحه في منسكه . ثم قال بعد ذلك : ظاهر قول السهيلي خافت ان يكون الله عاتبا عليهم انه لم يقع من الله غضب عليهم وهو الموافق للحكم بعصمتهم ، وقوله تعـالى « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » وما تقدم عن علي بـن

الحسين يخالف ذلك وقوله لاعتراضهم في علمه يخالف ما تقدم عن ابن كثير من أن ذلك منهم على وجه الاستكشاف لا الاعتراض اللهم الا أن يراد ما صورته صورة الاعتراض فلا مخالفة انتهى . وفي بعض الروايات ان الله تعالى بعث ملائكة فقال لهم ابنوا بيتا على مثال البيت المعمور وقدره ففعلوا وأمر الله تعالى أن يطاف به كما يطاف بالبيت المعمور وان هذا كان قبل خلق آدم عليه السلام وقبل خلق الأرض بألفي عام . وان الأرض دحيت من تحته .

(فصل في الكلام على البيت المعمور)

وشيء من خبره على سبيل الاستطراد

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هذا البيت يعني الكعبة المشرفة خامس خمسة عشر بيتا سبعة منها في السماء الى العرش وسبعة منها الى تخوم الأرض واعلاها الذي يلي العرش البيت المعمور لكل بيت منها حرم كحرم هذا البيت او سقط منها بيت لسقط بعضها على بعض الى تخوم الأرض السفلى ، ولكل بيت من اهل السماء ومن أهل الأرض من يعمره كما يعمر هذا البيت اخرجه الأزرقي .

مطلب في كل من السبع الأرضين بيت يعمره أهلها

(بحث) فان قيل في قوله عليه السلام ولكل بيت الخ اشارة الى تسمية كل بيت منها بالمعمور بهذا المعنى فحصل الاشتراك فأيها البيت المعمور المراد ؟ فالجواب من وجوه : الأول أن البيت المعمور قد غلب عليه هذا الاسم ولزمه وصار علما عليه عند الاطلاق . والثاني انه تميز بكونه في السماء السابعة على الرواية المشهورة كما ستقف عليها قريباً فيكون هو المراد دون غيره . الثالث انه يسمى بالضراح دون بقية البيوت الاخر . والله الموفق . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور الذي في السماء يقال له الضراح وهو على البيت الحرام لو سقط سقط عليه يعمره كل يوم سبعون ألف ملك لم يروه قط . والضراح بالضاد المعجمة بعدها راء فالف فحاء مهملة وقيل بالصاد المهملة والمشهور الأول وعند مجاهد البيت المعمور هو الضريح يعني بالضاد المعجمة . والضريح لغة البعيد .

الخلاف في البيت المعمور وفي مكة

واختلفت في البيت المعمور وفي مقره فقيل انه البيت الذي بناه آدم اول ما نزل الى الأرض كما سأذكره قريبا ثم رفع الى السماء أيام الطوفان وتسميه الملائكة بالضراح لأنه ضرح عن الأرض الى السماء بمعنى ابعد . وقيل ان البيت بمكة معمور بمن يطوف به وهذا منسوب الى ابن عباس والحسن . وعن محمد بن عباد بن جعفر انه كان يستقبل الكعبة الشريفة ويقول واحبذا بيت ربي ما احسنه واجمله هذا والله البيت المعمور ، وظاهر هذين القولين ينافي ما تقدم . واما مقره فللازرقي ثلاث روايات : الأولى انه في السماء السابعة ، الثانية انه في السادسة ،الثالثة انه فوق السموات السبع تحت العرش . وفي رواية لغير الازرقي انه في السماء الرابعة . أقول الرواية الأولى هي المشهورة الصحيحة الموافقة لما رواه مسلم في صحيحه من حديث ثابت البناني عن انس رضي الله عنه من كونه صلى الله عليه وسلم اجتمع بابراهيم عليه السلام في السماء السابعة ورآه مسندا ظهره الى البيت المعمور وهذا الحديث اولى بالاعتماد عليه دون غيره . قال القاضي عياض رحمه الله في الشفاء : جود ثابت هذا الحديث ماشاء ولم يات عنه احد باصوب من هذا . وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطاً كثيرا لا سيما شريك بن ابي نمر انتهى .

(واما سبب بناء آدم صلوات الله عليه) فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى لما اهبط آدم كان راسه في السماء ورجلاه في الأرض وهو مثل الفلك من رعدته فطأطأ الله عز وجل منه الى ستين ذراعا فقال يارب مالي لا اسمع صوت الملائكة فقال له خطيئتك يا آدم ولكن اذهب فابن لي بيتا واذكرني حوله كنحو ما رايت الملائكة تصنع حول عرشي، فأقبل آدم يتخطى فطويت له الأرض ولم يقع قدمه في شيء من الأرض الا صار عمراناً وبركة حتى انتهى الى مكة فبنى البيت الحرام بعد ان ضرب جبريل عليه السلام بجناحه الارض فابرز عن اس ثابت في الأرض السفلى فقذفت فيه الملائكة الصخر مالا يطيق حمل الصخرة منها ثلاثون رجلاً . قال ابن عباس رضي الله عنه فكان اول من اسس البيت وصلى فيه وطاف به آدم عليه السلام ولم يزل كذلك حتى بعث الله الطوفان فدرس موضع البيت . اقول هذا ما يشهد لبناء الملائكة وآم فى آن واحد كما سبقت الاشارة اليه انتهى .

مطلب الاجبل التي بنيت منها الكعبة خمسة

ويروى أن بنـاءه من خمسة أجبل لبنان وطور زيتـا وطورسينا والجودي وحرا حتى استوى مع وجـه الأرض اي لم يرتفع عن وجـه الأرض كما قدمته وسيأتي بيان موضع هذه الجبال عند ذكر بناء الخليل ان شاء الله تعالى . والفلك فيمـا تقدم بضم الفاء هو السفينـة ووجه التشبيه أن آدم عليه السلام حال الهبوط كان فيه اضطراب كاضطراب السفينة في البحر حال هبوب الرياح . وفي بعض الروايات ان آدم عليه السلام لما اهبط بارض الهند اشتد بكاؤه وحزنه فتاب الله عليه وامـره بالمسير الى مكة فلما انتهى اليها عزاه الله بخيمة من خيام الجنة ووضعها له موضع البيت وكانت تلك الخيمة ياقوتة حمراء من يواقيت الجنة فيها ثلاثة قناديل من ذهب من تبر الجنة فيها نور يلتهب من نور الجنة وعن قتادة ان آدم عليه السلام اهبط ومعه بيت فكان يطوف به والمؤمنون من ولده كذلك الى زمن الغرق ثم رفعه الله عز وجل فصار في السماء وهو الذي يدعى البيت المعمور ذكره الحليمي في منهاجه ثم قال : يجوز ان يكون معنى قول قتادة من انه اهبط مع آدم بيت اي مقدار البيت المعمور طولا وعرضاً وسمكا ثم قيل له ابن بقدره وحياله فكان حياله موضـع الكعبة فبناها فيه واما الخيمة فقد يجوز أن يكون انزلت وضربت في موضع الكعبة فلما بنى الكعبة كانت الخيمة حولها طمأنينة لقلب آدم ما عاش ثم رفعت فتتفق هذه الأخبار . كذا في منسك الجد رحمه الله تعالى .

(واما سبب بناء الخليل صلوات الله عليه) فروي عن مجاهد رضي الله عنه ان موضع البيت كان قد خفي ودرس من الغرق أيام الطوفان . فصار موضعه أكمة حمراء مدرة لا تعلوها السيول غير ان الناس يعلمون ان موضع البيت فيما هناك ولا يثبتونه وكان المظلوم يأتيه من اقطـار الأرض ويدعو عنده المكروب فقل من دعى هنالك إلا استجيب له . وعن ابن عمر كانت الانبياء يحجونه ولا يعلمون مكانـه حتى بواه الله لخليلـه وأعلمه مكانه .

مطلب الخلاف في هود وصالح هل حجا ام لا

وروي ان هودا وصالحا ومن آمن بهما حجوا البيت وهو كذلك ونقل العلامة السيوطي في بعض كتبه ان جميع الأنبياء حجوا البيت إلا هودا وصالحا فانهما كانا تشاغلا بأمر قومهما فماتا ولم يحجا .

مطلب سبب معرفة ابراهيم اساس البيت الحرام

وان آدم لما حج حلق جبريل راسه بياقوتة من الجنة فلما بوأ الله تعالى لخليله مكان البيت وامره ببنائه بقوله تعالى « وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت » وقوله تعالى « وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت » الآيتين اقبل من الشام وسنه يومئذ مائة سنة وسن اسماعيل ستة وثلاثون سنة وأرسل الله معه السكينة والصرد والملك دليلا حتى تبوأ البيت الحرام فقال لابنه اسماعيل عليه السلام ان الله قد أمرني أن ابني له بيتاً فقال له اسماعيل وأين هو فأشار الى أكمة مرتفعة عليها رضراض من حصباء فقاما يحفران عن القواعد ويقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ويحمل اسماعيل الحجارة على رقبته وابراهيم يبني فلما ارتفع البناء وشق على الخليل تناول الأحجار قرب له اسماعيل المقام فكان يقوم عليه وقد تقدم الكلام عليه مستوفى . والصرد بضم الصاد وفتح الراء المهملتين طائر ضخم الراس فوق العصفور يصيد العصافير . وقيل انه اول طائر صام لله . والسكينة لها راس كراس الهرة وجناحان وفي رواية كأنها غمامة أو ضبابة تغشى الأرض كالدخان في وسطها كهيئة الراس يتكلم وكانت بمقدار البيت فلما انتهى الخليل صلوات الله عليه الى مكة وقفت في موضع البيت ونادت يا ابراهيم ابن على مقدار ظلي لا تزيد ولا تنقص . وفي رواية أنها تطوقت بالأساس الأول كأنها حية . وفي اخرى انها لم تزل راكدة تظل ابراهيم وتهديه مكان القواعد فلما رفع القواعد قدر قامة انكشفت . قال السهيلي في روضه : والسكينة من شأن الصلاة قال صلى الله عليه وسلم وأتوها وعليكم السكينة انتهى فجعله علما على قبلتها حكمة من الله تعالى . وروي أن السكينة قالت لابراهيم ربض علي البيت فلذلك لا يطوف بالبيت ملك ولا اعرابي نافر ولا جيار الا رأيت عليه السكينة كذا في منسك الجد رحمه الله . وذكر ان الخليل لما حفر القواعد أبرز عن ربض كأمثال خلف الابل لا يحرك الصخرة الا ثلاثون رجلا وكان يبني كل يوم ساقا وهو المدماك في عرفنا الآن . قال ابن عباس رضي الله عنه أما والله ما بنياه بقصة ولا مدر ولا كان معهما ما يسقفانه ولكنهما أعلماه وطافا به . وفي رواية رضماه رضما فوق القامة ولم يسقفا . والرضم ان ترص الحجارة بعضها فوق بعض بغير ملاط . والقصة بفتح القاف هي النورة أو شبهها . قال السهيلي بناه الخليل من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها وهي طور سيناء وطور زيتا اللذان بالشام . والجودي وهو بالجزيرة ولبنان وحرا وهما بالحرم ، ثم قال وانتبه لحكمة الله كيف

جعل بناءها من خمسة اجبل فشاكل ذلك معناها اذ هي قبلة للصلوات الخمس وعمود الاسلام وقد بني على خمس انتهى . قال الجد رحمه الله تعالى : وفي كون لبنان بالحرم نظر اذ لا يعرف ذلك . ويروي أن ذا القرنين قدم مكة والخليل وابنهيبنيان فقال ما هذا فقالا نحن عبدان امرنا بالبناء فطلب منهما البرهان على ذلك فشهد بذلك خمسة اكبش فقال قد رضيت وسلمت ثم مضى .

مطلب الكلام على ذي القرنين صاحب الخضر ولم لقب بذلك وتعريف نبوته وعدمها

(فائدة استطرادية) اعلم أن ذا القرنين اثنان رومي ومقدوني والذي اجتمع بالخليل هو الرومي الذي ذكره الله تعالى في القرآن وهو صاحب الخضر . واختلف في تسميته بذي القرنين وكان نبيا أم عبدا صالحا . فقيل سمي بذي القرنين لأنه بلغ لمغرب الشمس ومطلعها ، وقيل لانه . ملك الروم وفارس أو الروم والترك ، وقيل لأنه انقرض في زمنه قرنان من الناس وهو حي . وقال الواحدي لأنه أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فمات فبعثه الله ثم أمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه الآخر فمات ، فبعثه الله فسمي ذا القرنين ، وقيل كان له قرنان وقيل كان كريم الطرفين اما وابا وهذان القولان في المدارك ، وقيل لانه عاش قرنين وعن علي سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عنده سواء .

(واما انه نبي او ملك) فعن عبدالله بن عمر ومجاهد انه كان نبيا، وعن علي كرم الله وجهه انه كان عبدا صالحا أحب الله وناصحه فأحبه الله وناصحه . وعن وهب انه كان ملكا عادلا ، قال المفسرون ملك الدنيا اربعة مؤمنان وكافران : اما المؤمنان فذو القرنين وسليمان بن داودعليهما السلام . واما الكافران فنمرود وبخت نصر . قال القرطبي وسيملكالدنيا من هذه الأمة خامس وهو المهدي لقوله تعالى : « ليظهره على الدين كله» انتهى . (أقول) ، وسيملكها سادس ايضا ، وهو عيسى صلوات‌الله عليه. كما جاءت به السنة في غير موضع من الصحيحين وغيرهما انتهى .

مطلب سن ذي القرنين

وكان عمر ذي القرنين الفا وستمائة سنة ، واختلف في زمنهواسمه

فقيل كان في زمن نمرود ، ويؤيده اجتماعه بالخليل حال بنائه البيت كما تقدم لأن الخليل والنمرود في زمن واحد ، وعن وهب انه كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ، وقيل كان بعد ثمود ، واما اسمه فقيل عبدالله . وقيل اسكندر ، وقيل مرزبان بن مرزبة .

مطلب الحجر الأسود وهل كان قبل ابراهيم ام لا

عدنا الى المقصود ، فلما انتهى الخليل عليه السلام في البناء الى موضع الحجر بالفتح طلب من اسماعيل حجرا يضعه ليكون علما على بداءة الطواف فجاءه جبريل بالحجر الأسود قيل نزل به من الجنة ، وقيل جاء به من أبي قبيس لأن الله استودع الحجر ابا قبيس لما غرقت الأرض ، وفي رواية ان الحجر نفسه نادى الخليل من ابي قبيس ها أنا ذا فرقا اليه فأخذه فوضعه في موضعه هذا . وجعل الخليل صلوات الله عليه طول البيت في السماء تسعة أذرع ، وعرضه في الأرض اثنين وثلاثين ذراعا من الركن الأسود الى الركن الشامي الذي عنده الحجر بكسر الحاء من وجهه . وجعل عرض ما بين الركن الشامي الغربي الذي فيه الحجر بالكسر اثنين وعشرين ذراعا وجعل طول ظهرها من الركن الغربي الى الركن اليماني أحدا وثلاثين ذراعا وجعل عرض سقفها اليماني من الركن الأسود الى الركن اليماني عشرين ذراعا فلذلك سميت كعبة لأنها على خلقة الكعب ، وكذلك بنيان أساس آدم عليه السلام ، وجعل بابها بالأرض غير مبوب حتى كان تبع أسعد الحميري هو الذي جعل لها بابا وغلقا فارسيا ، وكساها كسوة تامة ، ونحر عندها كما علمته فيما تقدم وسيأتي الكلام على ذلك في محله مستوفى ان شاء الله تعالى . وجعل الخليل الحجر بكسر الحاء الى جنب البيت عريشا من اراك تقتحمه العنز فكان زربا لغنم اسماعيل ، وحفر في بطن الكعبة جبا على يمين الداخل يكون خزانة للبيت يلقى فيه ما يهدى للكعبة وهو الذي نصب عليه عمرو بن لحي هبل صنم قريش الذي كانت تعبده وتستقسم عنده بالأزلام (أقول) ولعله — والله أعلم — هو المراد بقول أبي سفيان بن حرب في يوم أحد اعل هبل انتهى . ثم عدا على ذلك الجب قوم من جرهم فسرقوا ما فيه من أموال الكعبة وحليتها مرة بعد أخرى فبعث الله الحية لحراسته وهي التي اختطفها العقاب كما تقدم والله أعلم .

(واما سبب بناء قريش للبيت) فروي ان امراة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارات من مجمرتها فاحترقت كسوتها وكانت ركاما بعضها فوق

بعض فحصل في الأحجار تصدع ووهن ثم تواترت السيول بعد ذلك أيضا فجاء سيل عظيم فدخل البيت فازداد تصدع الجدران ففزعت لذلك قريش فزعا شديدا وهابوا هدمها وخافوا ان مسوها ينزل عليهم العذاب ، فبينما هم على تلك الحال يتشاورون اذ اقبلت سفينة من الروم حتى اذا كانت بمحل يقال له الشعيبة بضم الشين المعجمة وهو يومئذ ساحل مكة قبل جدة انكسرت .

(استطراد في الكلام على فضل جدة) التي هي الآن ساحل مكة وشيء من خبرها . روى الفاكهي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مكة رباط وجدة جهاد » . وعن ابن جريج قال سمعت عطاء يقول انما جدة خزانة مكة وان ما يؤتى به الى مكة لا يخرج به منها ثم قال اعني ابن جريج اني لارجو أن يكون فضل مرابط جدة على سائر المرابضين كفضل مكة على سائر البلدان ، وعن عباد بن كثير أنه قال الصلاة بجدة سبعة عشر الف الف صلاة والدرهم فيها مائة الف ، واعمالها بقدر ذلك يغفر للناظر فيها مد بصره مما يلي البحر . وعن فرقد السبخي انه قال اني رجل أقرأ هذه الكتب ، واني لأجد فيما أنزل الله من كتبه جدة أو جديدة يكون بها قتلى وشهداء لا شهداء يومئذ على ظهر الارض افضل منهم ، وعن بعض المكيين ان الحبشة جاءت الى جدة في سنة ثلاث وثمانين في صدرها فوقعوا بأهل جدة فخرج الناس من مكة الى جدة غزاة في البحر وعليهم اميرهم عبدالله بن محمد بن ابراهيم المخزومي انتهى . قال الفاسي رحمه الله : عبدالله بن محمد هذا ولي مكة للرشيد العباسي فيكون المراد سنة ثلاث وثمانين ومائة ، وأول من جعل جدة ساحلا لمكة عثمان بن عفان رضي الله عنه في سنة ست وعشرين من الهجرة وكانت الشعيبة ساحل مكة قبل ذلك ، وذكر ابن جبير انه رأى بجدة أثر سور محدق وأن بها مسجدين ينسبان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أحدهما يقال له مسجد الأبنوس ، وهو معروف الى الآن والآخر غير معروف ولعله والله اعلم المسجد الذي يقام فيه الجمعة وهو من عمارة المظفر صاحب اليمن انتهى ، ويروى أن قبر حواء بجدة والله أعلم ، ولنرجع الى المقصود ، فلما انكسرت السفينة بالشعيبة وبلغ قريشاً قصدوها واشتروا خشبها واذنوا لأهلها ان يدخلوا مكة فيبيعوا مامعهم من المتاع وأن لا يعشروهم وكانوا قبل ذلك يعشرون من دخلها من تجار الروم وكان الروم أيضا تعشر قريشاً اذا دخلوا بلادهم وكان في السفينة نجار بناء اسمه باقوم وهو الذي بنى الكعبة لقريش كما روي عن سفيان بن عيينة ، ويروى أن قريشا لما هابوا هدمها قال الوليد ان الله لا يهلك من يريد الصلاح

فارتقى على ظهر البيت ، ومعه الفأس ثم هدم ، فلما رأوه سالما تابعوه وفي بعض الروايات أن قريشاً كانوا كلما أرادوا هدم البيت بدت لهم حية فاتحة فاها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخالبه فيها فالقاها نحو أجياد فهدمتها قريش وبنوها بحجارة الوادي ، ورفعوها ثمانية عشر ذراعا في السماء ، وقيل عشرين وحضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا البناء مع قريش ، وكان يحمل الحجارة ، وسنه اذ ذاك خمس وثلاثون سنة ، وهو الأشهر ، وقيل خمس وعشرون ، وهو مشهور ، وعن الفاكهي كان قد ناهز الحلم ، وفي تاريخ الأزرقي ما يؤيده ، وهو ضعيف جدا فلا يعتبر بمخالفته القولين الأولين ، فبينما هو يحملها وعليه نمرة قد ضاقت فذهب بعضها على عاتقه فبدت عورته فنودي يا محمد خمر عورتك فلم ير بعدها عريانا وكان بين ذلك وبين المبعث خمس سنين ، واختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود حتى رضوا بأول داخل فكان هو أول داخل صلى الله عليه وسلم فوضعه بيده الشريفة ، واخرج الأزرقي في رواية أن طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا ، فاقتصرت قريش على ثمانية عشر ذراعا ، ونقصوا من عرضها أذرعا ادخلوها في الحجر . (أقول) بناء قريش ثابت على القول المشهور بعد بناء الخليل ، وقد علمت فيما سبق أن الخليل صلوات الله عليه جعل طولها في السماء تسعة أذرع كما تضافرت به الأقوال ، وستقف على ذلك من كلام الازرقي أيضاً عند ذكر بناء ابن الزبير آنفا فما نقله من أن طول الكعبة كان سبعة وعشرين ذراعا الخ فيه مناقضة لما سيأتي عنه ولم يثبت من طريق صحيح أن احدا بناها بعد الخليل ، وجعل طولها سبعة وعشرين ذراعا وما تقدم من بناء العمالقة وجرهم وقصي بعد الخليل انما هو مجرد خبر وهو يحتمل ولم يتأيد بدليل ، وعلى تقدير الصحة فلم يذكر أحد مقدار ارتفاع بنائهم مطلقا على أن الأزرقي نفسه ذكر بناء العمالقة، وجرهم ولم يبين مقدار ارتفاعهما. نعم نقل الفاسي رحمه الله عن الزبير بن بكار أن قصيا بني الكعبة بناء محكما على خمس وعشرين ذراعا وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل ثم قال وفيه نظر لأنه ان اريد به أن قصيا جعل ارتفاع الكعبة خمسا وعشرين كان مخالفا لما اشتهر من أن الخليل جعل طولها تسعة أذرع وأن قريشا زادت تسعة أذرع وان اريد أن قصيا جعل عرضها خمسة وعشرين ذراعا فالمعروف أن عرضها من الجهة الشرقية والغربية لا ينقص عن ثلاثين في بناء الخليل ، ومن الجهة الشامية واليمانية لا يبلغ خمسة وعشرين وكل من بنى الكعبة بعد ابراهيم لم يبنها الا على قواعده غير أن قريشا استقصرت عن عرضها في الجهة الشرقية والغربية أذرعا لأمر اقتضاه الحال

هذا معنى كلام الفاسي . ثم على تقدير حمل الخمسة والعشرين ذراعا في بناء قصي على أنه ارتفاع البيت في السماء وان كان يخالف المشهور فليس فيه دلالة لما رواه الأزرقي لنقصه ذراعين فيكون ما نقله الازرقي مجرد رواية لم يعضدها شيء فلا يعول عليه والله الموفق وروي أن ابا وهب المخزومي قال لقريش عند بناء البيت لا تدخلوا فيه من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيه مهر بغي ، ولا بيع ربا ، ولا مظلمة أحدمن الناس، فلهذا قصرت بهم النفقة فنقصوا بناء الكعبة عن قواعد ابراهيم والله اعلم.

(وأما سبب بناء ابن الزبير رضي الله عنهما) فهو أن الحصين ابن نمير لما قدم مكة ومعه الجيش من قبل يزيد بن معاوية لقتال ابن الزبير جمع ابن الزبير أصحابه فتحصن بهم في المسجد الحرام حول الكعبة ونصب خياما يستظلون فيها من الشمس وكان الحصين قد نصب المنجنيق على أخشبي مكة وهما أبو قبيس والأحمر الذي يقابله ، وصار يرمي به على ابن الزبير وأصحابه فتصيب الأحجار الكعبة فوهنت لذلك وتخرقت كسوتها عليها وصارت كأنها جيوب النساء . ثم ان رجلا من اصحاب ابن الزبير اوقد نارا في بعض تلك الخيام مما يلي الصفا بين الركن الأسود واليماني والمسجد يومئذ صغير وكانت في ذلك اليوم رياح شديدة والكعبة اذ ذاك مبنية بناء قريش مدماك من ساج ومدماك من حجارة فطارت الريح بشرارة من تلك النار فتعلقت بكسوة الكعبة فاحترقت واحترق الساج الذي بين البناء فازداد تصدع البيت وضعفت جدرانه وتصدع الحجر الاسود أيضا حتى ربطه ابن الزبير بعد ذلك بالفضة ففزع لذلك اهل مكة وأهل الشام اعني الحصين وجماعته . وعن الفاكهي أن سبب حريق البيت انما كان من بعض اهل الشام احرق على باب بني جمح وفي المسجد يومئذ خيام فمشى الحريق حتى أخذ في البيت فظن الفريقان أنهم هالكون قال الجد رحمه الله قلت وهذا يخالف ما ذكر من أن السبب في ذلك انما هو من بعض اصحاب ابن الزبير ولعل ما ذكره الفاكهي أصوب ، على أنه يمكن الجمع بوقوع كل من ذلك فيكون السبب مركبا . والله اعلم انتهى بمعناه .

(فائدة) اخرج الأزرقي عن محمد بن الحنفية انه قال اول ماتكلم في القدر حين احترقت الكعبة فقال رجل احترقت ثياب الكعبة وهذا من قدر الله . وقال آخر ما قدر الله هذا ثم جاء نعي يزيد بعد ذلك بتسعة وعشرين يوما والحصين مستمر على حصار ابن الزبير فأرسل ابن الزبير الى الحصين جماعة من قريش فكلموه وعظموا عليه ما أصاب الكعبة وقالوا له ان هذا من رميكم لها فأنكر ذلك ثم ولى راجعا الى الشام فدعا

ابن الزبير حينئذ وجوه الناس واستشارهم في هدم الكعبة فأشار عليه القليل من الناس بذلك وابى الكثير ، وكان اشدهم اباء عبدالله ابن‌عباس، وقال دعها على ما اقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني أخشى ان‌يأتي بعدك من يهدمها فلا تزال تهدم وتبنى فيتهاون الناس بحرمتها ولكن‌ارقعها، فقال ابن الزبير والله ما يرضي احدكم ان يرقع بيت أبيه وامه فكيف ارقع بيت الله واستقر رايه على هدمها رجاء ان يكون هو الذي يردها على قواعد الخليل صلوات الله عليه لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لولا قومك حديثو عهد بكفر لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين . وفي رواية حديث عهدهم بكفر .

(نكتة) اعلم أن للمبتدأ الواقع بعد لولا ثلاثة احوال مخبر عنه بكون غير مقيد ومخبر عنه بكون مقيد لا يدرك معناه عند حذفه ومخبر عنه بكون يدرك معناه عنه حذفه . فمن الثاني قوله صلى الله عليه وسلم لولا قومك حديثو عهد الحديث ولولا زيد غائب لم ازرك . فالخبر في هذا النوع واجب الثبوت بعد لولا لأنه لو اقتصرت في هذا الحديث على المبتدأ لصار المراد لولا قومك على كل حال من احوالهم لنقضت الكعبة وهو خلاف المقصود إذ من‌احوالهم بعد عهدهم بالكفر فيما يستقبل وفي هذا الحال لا مانع من نقض الكعبة‌وبنائها على‌الوجه المذكور وقد ذكره بن مالك في شواهده على صحيح البخاري بأسط من هذا فراجعه ان اردته ثم ان ابن الزبير رضي الله‌عنه أمر بهدم‌الكعبة‌وكان ذلك سنة اربع‌وستين من الهجرة‌في يوم‌السبت النصف من جمادي‌الآخرة اخرجه‌الأزرقي . وقيل سنة‌خمس‌وستين فلم يجترىء على ذلك أحد وخرج اهل مكة الى منى واقاموا بها ثلاثا خوفا أن ينزل عليهم عذاب بسبب ذلك وخرج عبدالله بن عباس الى الطائف فلما رأى ذلك ابن الزبير علاها بنفسه واخذ المعول وجعل يهدمها فلما راوا انه لم يصبه شيء صعدوا معه وهدموا وأرقى ابن الزبير عبيدا من الحبشة يهدمونها رجاء أن يكون فيهم صِفة الحبشي الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة .

(لطيفة) قال بعض العلماء انما صغر ذو السويقتين لأن في سيقان الحبشة دقة وحموشة اي بالحاء المهملة والشين المعجمة قال في الصحاح: رجل احمش الساقين‌دقيقهما (اقول) فعلى هذا يكون‌العطف‌تفسيريا انتهى.
قال الجد رحمه الله فان قلت هذا الحديث ظاهره معارض لقوله تعالى أو لم يروا انا جعلنا حرماً آمناً ولأن الله تعالى حبس عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة ولم تكن إذ ذاك قبلة فكيف يسلط عليها الحبشة

بعد ان صارت قبلة للمسلمين قلت (الجواب) أن ذلك محمول على وقوعه في آخر الزمان قريب من قيام الساعة حيث لا يبقى في الأرض قرآن ولا ايمان انتهى بمعناه (اقول) ويؤيده ماروي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال : قال الله تعالى إذا اردت ان أخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره انتهى قال شيخ الاسلام في فتح الباري وما وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو اهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية ثم من بعده وفي وقائع كثيرة من اعظمها وقعة القرامطة كل ذلك لا يعارض الآية أعني قوله أو لم يروا لأن ذلك انما وقع بأيد المسلمين فهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم ولن يستحل هذا البيت إلا اهله وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها انتهى وقال الزركشي والحق في الجواب انه لا يلزم من قوله حرماً آمناً وجود ذلك في كل الأوقات فلا يعارضه ارتفاع هذا المعنى في وقت آخر فان قيل قد قال صلى الله عليه وسلم اني احلت لي مكة ساعة من نهار ثم عادت حرمتها الى يوم القيامة قلنا اما الحكم بالحرمة والامن فلم يرتفع الى يوم القيامة وإما وقوع الخوف فيها وترك حرمتها فقد وجد ذلك في ايام يزيد وغيرها انتهى . وعن الحليمي من الشافعية ان تخريب الحبشة للبيت يكون في زمن عيسى عليه السلام والصحيح ان ذلك بعد موته ولما انتهى ابن الزبير رضي الله عنه من هدم البيت حفر عن الأساس من نحو الحجر بكسر الحاء ليقف على قواعد ابراهيم فلم يصب شيئاً فشق عليه ذلك فبالغ في الحفر ونزل بنفسه فكشفوا له عن قواعد ابراهيم فاذا هي صخر أمثال الخلف من الابل بالخاء المعجمةواللام. وعن عطاء أنه قال كنت من الامناء الذين جمعوا على حفره فحفروا قامة ونصفاً فهجموا على حجارة لها عروق تتصل بزرد عروق المروة فحركوها بالعتل فتحركت قواعد البيت وارتجت مكة بأسرها وراوه بنياناً مربوطاً بعضه ببعض فحمد الله ابن الزبير وكبر ثم احضر الناس وامرهم بالاشراف فنزلوا وشاهدوا ذلك فشرع حينئذ في أمر البناء واراد أن يبنيها بالورس فقيل له ان الورس يذهب ولكن ابنها بالقصة واخبر ان قصة صفا اجود فأرسل بأربعمائة دينار يشتري بها ذلك . وفي الزهر الباسم انه بناها بالرصاص المذاب بالورس ثم انه سأل رجالا من اهل العلم بمكة من أين أخذت قريش حجارتها ، فأخبروه بمقلعها ، فنقل ما احتاج اليه وعزل من حجارة البيت ما يصلح ان يعاد فيه ثم بنى على تلك القواعد بعد ان جعل أعمدة من الخشب وستر عليها الستور ليطوف الناس من ورائها ويصلون اليها حتى ارتفع البناء ، واخرج الأزرقي أن البناء لما صار ثمانية عشر ذراعا في السماء وكان هذا طولها يوم هدمها قصرت حينئذ لأجل الزيادة التي زادها من الحجر ، فلم يعجب ابن الزبير ذلك اذ صارت عريضة لاطول لها ، فقال قدما كانت قبل قريش تسعة أذرع ، وزادت قريش تسعة

اذرع وانا ازيد تسعة اخرى فبناها سبعة وعشرين ذراعا وعرض الجدار ذراعان وجعل فيها ثلاث دعائم في صف واحد وكانت قريش جعلت فيها ست دعائم في صفين ، وأرسل الى صنعاء فاتي برخام منها يقال له البلق فجعله في الروزان الذي في سقفها للضوء انتهى . (اقول) هذا يخالف ماتقدم عن الأزرقي من أن طول البيت كان سبعة وعشرين ذراعا فاقتصرت قريش الخ كما سبق الكلام فيه انتهى . وجعل ابن الزبير للبيت بابين متقابلين احدهما يدخل منه والآخر يخرج منه ، وفي شفاء الغرام انهما لاصقان بالأرض . قال الحافظ بن حجر جميع الروايات التي جمعتها في هذه القصة متفقة على ان ابن الزبير جعل الباب بالأرض ومقتضاه أن يكون الباب الذي زاده على سمته ، وقد ذكر الأزرقي ان جملة ما غيره الحجاج الجدار الذي من جهة الحجر والباب المسدود الذي في الجانب الغربي عن يمين الركن اليماني وما تحت عتبة الباب الاصلي وهو اربعة أذرع وشبر ، وهذا موافق لما في الرواية المذكورة لكن المشاهد الآن في ظهر الكعبة باب مسدود يقابل الباب الأصلي ، وهو في الارتفاع مثله ومقتضاه ان يكون الباب الذي في عهد ابن الزبير لم يكن لاصقاً بالأرض فيحتمل ان يكون لاصقاً كما صرحت به الروايات لكن الحجاج لما غيره رفعه ورفع الباب الذي يقابله ايضاً ثم بدا له فسد الباب المجدد . لكن لم ار النقل بذلك صريحا ثم قال ، وذكر الفاكهي انه شاهد هذا الباب المسدود من داخل الكعبة في سنة ثلاث وستين ومائتين فاذا هو مقابل باب الكعبة . وهو بقدره في الطول والعرض وفي اعلاه كلاليب ثلاثة كما في الباب الموجود سواء ، والله أعلم انتهى . قال الجد رحمه الله قوله ويحتمل أن يكون لاصقاً كما صرحت به الرواة فيه بعد اذ مشاهدة البناء من اسفل الباب وارتباط بعضه ببعض يقضي بخلاف ذلك ، والله اعلم انتهى . (اقول) وكان باب الكعبة قبل بناء ابن الزبير مصراعا واحدا فجعله مصراعين ولما انتهى الى موضع الحجر الأسود تحرى غفلة الناس نصف النهار في يوم صائف . وجاء بالحجر هو وولده وجبير ابن شيبة ووضعوه بأيديهم كذا في الزهر الباسم وقيل بل الحجبة تواعدوا لوضع الركن فلما دخل ابن الزبير في صلاة الظهر خرجوا به فوضعوه فأدركهم حمزة بن عبد الله بن الزبير فأخذ بطرف الثوب فرفعه معهم وقيل بل وضعه ابن الزبير بنفسه وشده بالفضة . وقيل وضعه عباد بن عبدالله بن الزبير وجبير بن شيبة امرهما عبد الله بن الزبير ان يجعلا الركن في ثوب ويخرجا به ، وهو يصلي بالناس الظهر على غفلة من الناس لئلا يعلموا بذلك فيتنافسوا في وضعه . أخرجه الأزرقي . وقيل وضعه حمزة ابنه وحده بأمر أبيه نقله السهيلي بالصواب . وكان الحجر قد تصدع من الحريق وانفرق ثلاث

فرق ، وانشظت منه شظية كانت عند بعض آل شيبة بعد الحريق بدهر طويل فشده ابن الزبير بالفضة الا تلك الشظية ، وموضعها بين في أعلى الركن . ثم تزلزلت تلك الفضة بعد ذلك وتقلقلت حتى خيف على الحجر فلما اعتمر هارون الرشيد في سنة تسع وثمانين ومائة أمر بنقب الاحجار التي فوق الحجر والتي تحته فنقبت بالماس من فوقها ومن تحتها ثم افرغ فيها الفضة . ولما فرغ ابن الزبير رضي الله عنه من بناء الكعبة وذلك في سابع وعشرين من رجب من سنة خمس وستين خلق جوفها بالعنبر والمسك ولطخ جدرانها من خارج بذلك من أعلاها الى أسفلها وسترها بالديباج ، وقيل بالقباطي وما فضل من الحجارة فرشها حول البيت ، وقال من كانت لي عليه طاعة فليعتمر من التنعيم شكرا لله عز وجل ومن قدر ان ينحر بدنة فليفعل ، ومن لم يقدر على بدنة فليذبح شاة ، ومن لم يقدر فليتصدق بقدر طوله . ثم خرج ماشيا حافيا وخرج معه رجال من قريش مشاة حفاة عبد الله بن صفوان وعبيد ابن عمير فأحرم من أكمة امام مسجد عائشة رضي الله عنها بمقدار غلوة تقارب المسجد المنسوب لعلي ، وجعل طريقه على ثنية الحجون ، ودخل من أعلى مكة وطاف بالبيت ، واستلم الاركان الاربعة ، وقال انما كان ترك استلام الركنين يعني الشامي والغربي لأن البيت لم يكن تاماً يعني على قواعد ابراهيم ، وصارت هذه العمرة سنة عند اهل مكة في هذا اليوم يعتمرونها في كل سنة الى يومنا هذا واهدى ابن الزبير في تلك العمرة مائة بدنة نحرها من جهة التنعيم ، وبعض طرق الحل ولم يبق من اشراف مكة وذوي الاستطاعة بها الا من اهدى واقاموا اياما يتطاعمون ويتهادون شكرا لله تعالى على الإعانة والتيسير على بناء بيته الحرام بالصفة التي كان عليها مدة الخليل عليه السلام ، والله أعلم .

(واما سبب بناء الحجاج وتغييره) بعض ماصنعه ابن الزبير فهو ان ابن الزبير رضي الله عنه لما قتل كتب الحجاج الى عبد الملك بن مروان يخبره أن ابن الزبير قد زاد في الكعبة ماليس منه وأحدث فيها بابا آخر واستأذنه في رد ذلك على ما كان عليه من بناء قريش . فكتب اليه عبد الملك : لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء اما مازاد في طوله فأخره وأما ما زاد فيه من الحجر بكسر الحاء فرده الى بنائه وسد بابه الذي فتحه يعني الغربي فبادر الحجاج عند ذلك ونقض الشق الذي يلي الحجر بالكسر ايضا وبناه ورفع بابها وسد الباب الغربي . وقد روى غير واحد من أهل العلم أن عبد الملك ندم على اذنه للحجاج في ذلك ولعن الحجاج لما اخبره الحارث ان عبد الله بن ابي ربيعة سمع الحديث من عائشة رضي الله عنها الذي اعتمده ابن الزبير فيما فعله في الكعبة ، وهو قوله صلى

الله عليه وسلم لولا قومك الخ وكل شيء فيها الآن بناء ابن الزبير ما عدا الجدار الذي في الحجر وسد الباب الغربي وتغيير ما تحت عتبة الباب الشرقي والدرجة التي في باطنها ، وروي أن هارون الرشيد أو أباه المهدي أو جده المنصور سأل مالك بن أنس رضي الله عنه في هدمها وردها الى بناء ابن الزبير للحديث المذكور ، فقال مالك نشدتك الله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك لايشاء احد الا نقضه وبناه فتذهب هيبته من صدور الناس . قال الفاسي وكان مالكا لحظ في ذلك كون درء المفاسد أولى من جلب المصالح وهي قاعدة مشهورة معتمدة انتهى والله أعلم .

فصل في ذكر كنز الكعبة والحكم فيه

روى البخاري عن أبي وائل قال جلست مع شيبة يعني ابن عثمان على الكرسي في الكعبة فقل لقد جلس هذا المجلس عمر ثم قال لقد هممت ان لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمته . قلت : ان صاحبيك لم يفعلا قال يعني عمرهما المرآن اقتدي بهما . (أقول) جلوس شيبه على الكرسي في الكعبة قال المحب الطبري لما أخبر شيبة أن النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر لم يتعرضا للمال رأي عمر أن ذلك هو الصواب وكأنه راى حينئذ أن ماجعل في الكعبة يجري مجرى الوقف عليها فلا يجوز تغييره او راى ترك ذلك تورعا حين أخبر انه تركه صاحباه مع رؤيته جواز انفاقه في سبيل الله لأن صاحبيه انما تركاه للعذر الذي تضمنه حديث عائشة رضي الله عنها انتهى . وقال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله يحتمل ان يكون تركه صلى الله عليه وسلم ، لذلك رعاية لقلوب قريش كما ترك بناء الكعبة على قواعد بناء ابراهيم ، ويؤيده ما وقع عند مسلم في بعض طرق الحديث ولانفقت كنز الكعبة في سبيل الله ولجعلت بابها بالأرض وهذا التعليل هو المعتمد عليه فانفاقه جائز كما جاز لابن الزبير بناؤها على قواعد ابراهيم لزوال سبب الامتناع انتهى .

(فائدة) اخرج الازرقي في تاريخه أن النبي صلى الله عليه وسلم وجد في الجب الذي في الكعبة سبعين الف اوقية من ذهب مما كان يهدى لبيت ، وان علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال يا رسول الله لو استعنت بهذا المال على حربك فلم يحركه ثم ذكر لابي بكر فلم يحركه ، واخرج أيضا ان الحسين بن الحسين العلوي عمد الى خزانة الكعبة في سنة مائتين من الفتنة حين أخذ مكة فأخذ مما فيها مالا عظيما وقال ما تصنع الكعبة بهذا

المال نحن احق به نستعين به على حربنا ؛ ويروى أن مال الكعبة كان يدعي الأبرق ولم يخالط مالا قط الا محق وادني مايصيب آخذه أن يشدد عليه عند الموت .

(فروع الأول) تختص الكعبة الشريفة بما يهدي اليها وما ينذر لها من الأموال وامتناع صرف شيء منها الى الفقراء والمصالح الا أن يعرض لها نفسها عمارة فيصرف فيه والا فلا يفير شيء عن وجهه نبه عليه الزركشي من الشافعية (الثاني) اذا نذر شمعا يشعله فيها أو زيتاً ونحوه وضعه في مصابيحها وان كان لا يستعمل فيها بيع وصرف الثمن في مصالحها صرح به الماوردي . (الثالث) نقل الجدفي منسكة مسألة تعم بها البلوي ، فقال شخص نذر أن يوقد شمعاً على باب الكعبة فأرسل به مع غيره ليوقده فجاء المرسل به واوقده على الباب قليلا ، فجاء الحجبة فاخذوه ومنعوا استمرار وقوده ، وقالوا هذه عادتنا مع كل أحد وربما سرقه نوابهم على غفلة بعد ايقاده قليلا فهل تبرأ ذمة الناذر والمرسل معه أو ذمة الناذر دون المرسل معه أم كيف الحال (الجواب) الناذر خلص عن عهده المنذور لبلوغه محله وكون الحجبة يأخذونه أمر آخر لا يتعلق ببقاء النذر في ذمة الناذر ولا المرسل معه وان كان على الحجبة ابقاؤه موقودا الى نفاده ولاخفاء أن الناذر نفسه لو حضر بالشمع فكان ما تقدم كان الحكم كذلك . ومحل صحة هذا المنذر من أصله أن ينتفع بهذا الموقود ولو على ندور مصل هناك أو غيره والا فان كان المقصد بالنذر وهو الغالب تعظيم البقعة ففيه وقفة ومقتضي كلام النووي عدم الصحة وصرح به الأذرعي وتبعه الزركشي انتهى (أقول) مقتضي مذهبنا ان المرسل بالشمع لا يخلص عن العهدة بمجرد ايصال الشمع الى المحل بل ولا بوقوده قليلا ما لم يوقد ثلثاه فأكثر . وأما الحجبة فلهم اخذه بغير إذن المرسل اذ جرى العرف بذلك بعد أن وقد معظمه نص عليه في القنية من كتب المذهب انتهى (الرابع) تصح صلاة الفرض والنفل عندنا في الكعبة من غير كراهة بجماعة وغيرها وتجوز فوق سطحها من غير ساتر مع الكراهة ومذهب الامام الشافعي رحمه الله كمذهبنا في جواز الفرض والنفل في باطن الكعبة بل هو الأفضل عنده لكن يشترط في الفريضة ان لا يرجو المصلي جماعة خارج الكعبة . قال الشافعي رحمه الله ما تفوتني فريضة في جماعة فأصليها في موضع احب الي من بطن البيت لان البقاع اذا فضلت بقربها منه فبطنها افضل منها ، وأما صحة الصلاة على سطحها فيشترط ان يكون أمام المصلي شاخص قدر ثلثي ذراع تقريبا من جدار الكعبة وهو الصحيح من مذهبه ومذهب الامام مالك رضي الله عنه عدم جواز الفريضة

في جوف البيت وكذلك السنن المؤكـدة كالعيدين والوتر ركعتي الفجر وما أشبهها على مشهور مذهبه واما النفل فيجوز واما الصلاة على سطحها فالمشهور عنده المنع ومذهب الامام احمد رضي الله عنه ان صلاة الفريضة في الكعبة لا تصح وفي النافلة خلاف بين اصحابه والأصح الصحة وكذا الحكم في السطح عندهم في الفريضة والنافلة .

(فصل في الكلام على دخوله صلى الله عليه وسلم)
الكعبة الشريفة بعد الهجرة وصلاته فيهـا
وبيان مصلاه منها وعدم دخوله

روى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة يوم الفتح نزل بفناء الكعبة وبعث إلى عثمان بن طلحة فجـاء بالمفتاح وفتح له الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة فاغلقها عليهم ومكث فيها ما شاء ثم خرج ، قال ابن عمر رضي الله عنهما فسالت بلالا حين خرج ما ذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثةاعمدة وراءه وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى ركعتين . وفي البخاري عن ابن عمر أيضاً انه كان إذا دخل الكعبة مشى قبل الوجه حين يدخل ويجعل الباب قبل ظهره حتى يكون بينه وبين الجدار الذي قبل وجهه قريب من ثلاثة اذرع فيصلي توخى المكان الذي اخبره بلال ان رسول صلى الله عليه وسلم صلى فيه . وقد اوضح عمر رضي الله عنه موضع مصلاة صلى الله عليه وسلم في الحديث ايضاحا شافيا واخرج الأزرقي انمعاوية لمـا دخل الكعبة استدعى ابن عمر وهو فيها فقال له يا ابا عبد الرحمن اين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قال بين العمودين المقدميناجعل بينك وبين الجدار ذراعين او ثلاثة (فوائد الاولى) قال الحافظ ابو الفضل العراقي وينبغي للمصلي ان لا يجعل بينه وبين الجدار اقل من ثلاثة اذرع فان كان الواقع أنه ثلاثة فقد صادف مصلى رسول الله صلى الله عليهوسلم وان كان ذراعين فقد وقع وجه المصلي وذراعاه في مكان قدمي النبي صلى الله عليه وسلم فهذا أولى من التقدم عنه والله اعلم انتهى (الثانية) ادخال النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الثلاثة معه لمعان تخص كل واحد منهم .

(اما دخول عثمان بن طلحة) فلئلا يتوهم الناس انه عزله او لانه كان يقوم بفتح الباب واغلاقه .

(واما بلال) فلكونه مؤذنه وخادم أمر صلاته .

(واما أسامة) فلأنه كان يتولى خدمة ما يحتاج اليه (الثالثة) ان الحكمة في غلق عثمان الباب عليهم لأمرين لئلا يزدحم الناس عليه صلى الله عليه وسلم ولئلا يظنوا ان الصلاة فيه سنة قاله الكرماني . وهذا الدخول الذي وقع في يوم الفتح هو اول دخوله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ولاخلاف فيه بين العلماء كما ثبت ذلك عن ابن عمر في الصحيحين وغيرهما . وقيل انه دخل البيت بعد ذلك ثلاث مرات اخر : الاولى في ثاني الفتح لحديث اخرجه الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه في منسده عن اسامة رضي الله عنه وفيه انه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين ولم يصل يوم الفتح. الثانية في عمرة القضية لما رواه المحب الطبري في الفرد عن عروة بن الزبير . الثالثة في حجة الوداع لما أخرجه ابو داود في سننه عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها وقد ضعفها العلماء وبين الفاسي رحمه الله ما فيها من الوهن والضعف . ونقل الأزرقي ايضا انه صلى الله عليه وسلم انما دخل الكعبة مرة واحدة عام الفتح ثم حج ولم يدخلها انتهى . والله أعلم . وهذا يدل على عدم دخوله في المرات الثلاثة .

(استطراد مفيد) اجمع العلماء وأصحاب السير والمحدثون ان حجة الوداع كانت وقفتها الجمعة بلا ريب ونقل النووي في الروضة أن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كانت ضحوة يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول كذا نقله ابن سيد الناس وغيره من أصحاب السير وهومذهب الجمهور الراجح ، واعترضه بعض العلماء بأنه لا يستقيم ان تكون وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول حيث كانت الوقفة في عام حجة الوداع (١) سواء تمت الشهور الثلاثة التي بقيت من عمره صلى الله عليه وسلم أم نقصت أم تم بعضها لأنها ان تمت كان الثاني عشر من ربيع الاحد لأنه يكون اول ذي الحجة الخميس وآخره الجمعة واول المحرم السبت وآخره الأحد واول صفر الاثنين وآخره الثلاثاء واول ربيع الأربعاء وحينئذ يكون ثاني عشره الاحد وان نقص شهر واحد كان اول ربيع الثلاثاء فيكون ثاني عشره السبت وإن نقص شهران كان اول ربيع الاثنين وثاني عشره الجمعة وان نقصت الثلاثة كان أول ربيع الأحد وثاني عشره

---

(١) الظاهر الجمعة .

الجمعة . قال العلامة ابن العماد وهذا الاعتراض ساقط من اصله والصواب ماقاله الجمهور وصاحب الروضة وذلك أن التاريخ انما يقع برؤية الهلال والاهلة تختلف بحسب اختلاف المطالع وكل قطر يؤرخون ويصومون برؤيتهم ولا يعتبرون رؤية من بعد عنهم كما قاله الأصحاب واتفقوا عليه في كتاب الصيام ، فحينئذ فاهل مكة رأوا هلال الحجة ليلة الخميس ووقفوا الجمعة وأهل المدينة يجوز أنهم راوه ليلة الجمعه لأن مطلعهم مختلف مع اهل مكة فاذا تمت الشهور تان أول ذي الحجة الجمعة وآخره السبت وكان أول ربيع الأول الخميس فيكون ثاني عشره الاثنين وهذا الجواب صحيح ، ويتصور ايضاً بغير هذا . والعجب ممن يقدم على تغليط جمهور العلماء ويغفل عن قاعدة التاريخ واقوال العلماء في اختلاف المطالع ورؤية الاهلة. انتهى ما قاله ابن العماد ملخصا من سيرته وهو قول عظيم وبحث مستقيم فلهذا اثبته والله أعلم .

(وقد استحب الائمة الأربعة رضي الله عنهم) دخول الكعبة واستحسن مالك كثرة دخولها ونقل عن بعض العلماء عدم استحباب ذلك مستدلا بما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندي وهو قرير العين وطيب النفس ثم رجع الي وهو حزين فسألته فقال اني دخلت الكعبة ووددت اني لم اكن فعلت اني اخاف ان أكون أتعبت امتي من بعدي اخرجه أحمد والترمذي . ولا دلالة فيه على ذلك بل دخوله صلى الله عليه وسلم دليل الاستحباب وتمنيه عدم الدخول قد علله عليه السلام بالشفقة على أمته ولا يرفع ذلك حكم الاستحباب قاله المحب الطبري (اعلم) أن لدخول الكعبة آدابا كثيرة (منها) الاغتسال كما روي عن بعض العلماء (ومنها) نزع الخف والنعل لما في سنن سعيد بن منصور عن عطاء ومجاهد وكرهه مالك رضي الله عنه وهو مذهب احمد رضي الله عنه (اقول) مقتضى مذهبنا عدم كراهة ذلك قياساً على الصلاة في الخف والنعل قال في النصاب من كتب المذهب المختار ان الصلاة في الخفاف والنعل اقرب الى حسن الأدب انتهى . والله الموفق .

(فائدة) أخرج الأزرقي ان قريشاً لما فرغت من بناء الكعبة كان اول من خلع الخف والنعل ولم يدخل بهما الكعبة اعظاما لها الوليد ابن المغيرة فجري ذلك سنة . والوليد هذا هو جدنا لأن نسب بني ظهيرة متصل به وكان إسلامه (١) (ومنها) أن لا يرفع بصره الى السقف لحديث عائشة رضي

---

(١) بياض بالأصل .

الله عنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة ما خلف بصره موضع سجوده حتى خرج منها أخرجه البيهقي في سننه والحاكم في المستدرك قال المحب الطبري وانما كره ذلك لأنه يولد الغفلة واللهو عن القصد (ومنها) ان لايزاحم زحمة شديدة يتأذى بها أو يؤذي نص عليه النووي وغيره (ومنها) أن لا يكلم أحدا إلا لضرورة أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر (ومنها) أن يلزم قبله الخشوع والخضوع وعينيه الدموع ان استطاع ذلك (ومنها) ان لا يسأل مخلوقاً لما روي عن سفيان بن عيينة انه قال لما دخل هشام بن عبد الملك الكعبة وجد سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال سلني حاجتك فقال اني استحي منْ الله أن اسأل في بيته غيره . وذكر الفاكهي أن التارك لسؤال هشام انما هو منصور الحجبي والله أعلم .

فصل في ثواب دخول الكعبة الشريفة

وفيما يطلب من الأمور التي فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما ثواب دخولها فروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من دخل البيت فصلى فيه دخل في حسنة وخرج من سيئة مغفورا له» ومثله عن ابن عمر رضي الله عنهما وفي رسالة الحسن البصري عنه صلى الله عليه وسلم «من دخل الكعبة دخل في رحمة الله عز وجل وفي حمى الله عز وجل وفي أمن الله عز وجل ومن خرج خرج مغفورا له» وفي رواية عن مجاهد أنه زاد يخرج معصوما فيما بقي نقله ابن جماعة ثم قال يحتمل أنه يريد بذلك العصمة من الكفر فتكون فيه البشارة لمن دخله بالموت على الاسلام وعن عطاء رضي الله عنه قال لأن أصلي ركعتين في الكعبة احب الي من أن أصلي أربعا في المسجد الحرام . وعن الحسن انه قال : الصلاة في الكعبة تعدل مائة الف صلاة أخرجهما الفاكهي . واخرج الأزرقي عن موسى بن عقبة قال طفت مع سالم بن عبد الله بن عمر خمسة اسابيع كما طفنا سبعاً دخل الكعبة فصلى فيها ركعتين وما احسن ما انشده الحافظ أبو طاهر السلفي لنفسه بعد أن دخل الكعبة .

أبعد دخول البيت والله ضامن ـ يبقى قبيح والخطايا الكوامن
فحاشا وكلا بل تسامح كلها ـ ويرجع كل وهو جذلان آمن

(واما ما يطلب في الكعبة من الأمور التي فعلها رسول الله) صلى الله عليه وسلم فالتكبير والتسبيح والتهليل والتحميد والثناء على الله تعالى

والدعاء والاستغفار للاحاديث الدالة على ذلك في الصحيحين وغيرهما وفيهما أيضاً عن أسامة أنه صلى الله عليه وسلم حين خرج من البيت ركع قبل البيت ركعتين وقال هذه القبلة وقبل بضم القاف والباء الموحدة ويجوز اسكان الموحدة وهو ما استقبلك منها . وفي معنى قوله صلى الله عليه وسلم هذه القبلة ثلاث احتمالات (الأول) ان امر القبلة قد استقر على استقبال هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم وصلوا اليه ابدا (والثاني) ان معنى ذلك انه صلى الله عليه وسلم علمهم سنة موقف الامام وانه يقف في وجه الكعبة دون أركانها وجوانبها وان كانت الصلاة في جميع جهاتها مجزئة قالهما أبو سليمان الخطابي رحمه الله (الثالث) قاله النووي رحمه الله في شرح مسلم بعد ذكره للاحتمالين الأولين وهو ان معناه هذه الكعبة هي المسجد الحرام الذي أمرتم باستقباله لا كل الحرم ولا مكة ولا كل المسجد الذي حول الكعبة بل هي الكعبة نفسها فقط . والله اعلم (أقول) قد ظهر لي احتمال آخر لم أر أحداذكره وهو انه يحتمل أن يكون المراد بقوله هذه القبلة التعظيم والتشريف والتأكيد لأمرها والاشادة بذكرها على حد قوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه عند الحجر الأسود ههنا تسكب العبرات والله الموفق . وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت وقف عند كل ركن واستقبله بالتكبير والثناء والاستغفار . واخرج الفاكهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا بماء فصبه على جسده، قال الفاسي رحمه الله وهذا غريب جدا والله أعلم بصحته ولا اعلم احدا من اهل العلم قال باستحبابه انتهى (ومن الأمور) التي صنعها النبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة على ما قيل انه الصق بطنه وظهره بها واستحب ذلك الحافظ العراقي ونقل الطبري الكراهة في ذلك . والله تعالى أعلم .

(فائدة) ذكر ابن الصلاح رحمه الله في منسكة ان مما احدثه بعض الفجرة في جوف الكعبة بعد الستمائة بدعتين : احداهما العروة الوثقى، وذلك انهم عمدوا الى موضع عال داخل الكعبة مقابل الداخل من بابها فسموه بالعروة الوثقي واوقعوا في العقول الضعيفة ان من ناله بيده فقد استمسك بالعروة الوثقى فألجاهم ذلك الى ان يقاسوا في الوصول الى ذلك المحل عناء وشدة بحيث يركب بعضهم بعضا وربما صعدت الأنثى فوق الذكر ولامست الرجال ولامسوها فيلحقهم بذلك انواع الضرر دنيا ودينا. الثانية ان في وسط البيت مسمارا سموه سرة الدنيا وحملوا العامة على ان يكشف احدهم سرته وينبطح على ذلك المسمار فلا قوة الا بالله انتهى . قال السيد الفاسي رحمه الله وهذان الأمران لا أثر لهما الآن في الكعبة ، وكان زوال البدعة المسماة بالعروة الوثقى في سنة إحدى وسبعمائة بأمر

بعض العلماء الواردين في السنة المذكورة انتهى ، ولم يذكروا زوال البدعة الأخرى متى كان (اقول) قول ابن الصلاح رحمه الله فيما تقدم وربما صعدت الأنثى فوق الذكر فيه دلالة على دخول النساء والرجال اذ ذاك جميعا وإنما اختص النساء بانفرادهن في الدخول بعد ذلك انتهى .

الباب الرابع

في الكلام على كسوة الكعبة الشريفة

زادها الله شرفا وتطييبها وتحليتها ومعاليقها

روى الأزرقي رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن سب أسعد الحميري وهو تبع لأنه أول من كسا الكعبة في الجاهلية كما تقدم فكساها المسوح ثم الأنطاع ثم الحبر ثم الوصائل وجعل لها بابا يغلق وفي ذلك يقول :

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء مقصبا وبرودا
واقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه إقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا

ويروى أنه لما كساها المسوح والانطاع انتفضت فأزال ذلك عنها وكساها الخصف فانتفضت أيضا فلما كساها الملاء والوصائل قبلتها (اقول) مقتضى ما رواه الأزرقي من النهي عن سب تبع كونه كسا البيت . وقد علمت فيما سبق من خبره أنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وانه كتب بذلك كتابا وأودعه للعالم الذي أبراه من علته وأوصاه ان يوصله الى النبي صلى الله عليه وسلم ان أدركه هو أو واحد من ولده وكان الأمر كذلك وان الكتاب وصل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقرىء عليه فقال مرحبا بالأخ الصالح فينبغي أن لا يسب تبع مطلقا لأنه من جملة المؤمنين والمؤمن لا يباح سبه . وأيضا قد تقدم ان تبعا لما كسا البيت وخرج من مكة قصد المدينة المشرفة . وقوله هنا في ثالث الأبيات المنسوبة اليه وخرجنا منه نؤم سهيلا يدل على خلاف ذلك والله أعلم بالحقائق انتهى وقيل ان اسماعيل عليه السلام أول من كسا الكعبة وكانت في الجاهلية تكسى اكسية شتى ما بين وصائل وانطاع وكرار وخز ونمارق عراقية واذا خلق منها شيء أخلف مكانه ثوب آخر ولا ينزع مما عليها شيء من ذلك وكساها في الاسلام سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم الثياب اليمنية ثم كساها ابو بكر وعمر وعثمان ثم معاوية وابن الزبير ومن بعدهما ويقال ان أول من كسا البيت الديباج الحجاج . وقيل يزيد بن معاوية وقيل ابن الزبير ، وقيل عبد الملك بن مروان ; وكانت الكعبة فيما مضى انما تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحجاج حتى كانت دولة بني هاشم فكانوا يعلقون عليها القميص من الديباج يوم التروية لكي يرى الناس ذلك عليها بهاء وجمالا ، فاذا كان يوم عاشوراء علقوا الازار . وكان عمر رضي الله عنه يكسوها من بيت المال وكساها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ما كان يجلل به بدنه من القباطي والحبرات والانماط وكان المأمون يكسوها ثلاث مرات فيكسوها الديباج الأحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب ، والديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من رمضان لأجل العيد ، والقباطي بفتح القاف جمع قبطية بضم القاف وهو ثوب رقيق ابيض من ثياب مصر كأنه منسوب الى القبط والضم فيه من تغيير النسب والضم خاص بالثياب ، واما في الناس فقبطي بكسر القاف لاغير ، والوصائل ثياب حمر مخططة يمانية . والحبرات جمع حبرة وهو ما كان من البرود مخططا أيضا وهو من ثياب اليمن ويقال له برد حبرة وبرد حبرة على الوصف وعلى الاضافة . والعصب برود يمانية يعصب غزلها ويشد ثم يصبغ وهو على الوصف والاضافة أيضا . والانماط ضرب من البسط واحدها نمط . وممن كسا البيت الصليحي صاحب اليمن ومكة وذلك في زمن الحاكم العبيدي والمستنصر العبيدي وكانت من الديباج الأبيض وكساه أيضا من ملوك العجم السلطان شاه رخ صاحب شيزار بعد مراسلته واستئذانه لملوك مصر وارسال الكسوة الى مصر ثم وصلت الى مكة صحبة الحاج وذلك سنة خمس وخمسين وثمانمائة . وكساه أيضا السلطان محمود بن سبكتكين الديباج الأصفر ، وذلك في سنة ست وستين وأربعمائة .

(فوائد الأولى) كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينزع ثياب الكعبة في كل سنة فيقسمها على الحاج (الثانية) ذكر بعض العلماء حكمة حسنة في سواد كسوة الكعبة ، فقال كان البيت يشير الى أنه فقد اناسا كانوا حوله فلبس السواد حزنا عليهم (الثالثة) ممن كسا الكعبة من غير الملوك أم العباس بن عبد المطلب كستها الحرير . وسبب ذلك أنها أضلت العباس وهو صغير فنذرت ان وجدته أن تكسو الكعبة فوفت بذلك ، وهي أول عربية كستها الحرير ، ومنهم الشيخ أبو القاسم رامشت صاحب الرباط بمكة كساها الحبرات وغيرها . وكانت كسوته بثمانية عشر الف دينار وقيل بأربعة آلاف دينار وذلك في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة . ورباطه

المذكور يعرف الآن برباط ناظر الخاص على يمين الخارج من باب الخزورة أحد ابواب المسجد الحرام ، ويقال ان عدنان كساها ايضاً كذلك وخالد بن جعفر بن كلاب . (الرابعة) نقل القاضي تقي الدين رحمه الله ان كسوة البيت فيما مضى كان يطلع بها أمير الحاج معه الى الموقف بعرفة فاذا كان يوم النحر يأتي بها من منى الى مكة لأجل اللبس ثم صار امراء الحاج بعد ذلك يضعونها في الكعبة قبل الصعود الى الحج وموجبه أن بعضها كان سرق في بعض السنين من محلة أمير الحاج بمنى ثم عاد اليه بمال بذله انتهى بمعناه (الخامسة) أول من كسا الكعبة الديباج الأسود الناصر العباسي. فاستمر ذلك الى يومنا هذا . ولم تزل الملوك يتداولون كسوتها الى ان وقف عليها الصالح اسماعيل بن الناصر بن قلاوون قرية من قرى نواحي القاهرة يقال لها بيسوس ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة .وكان الناصر العباسي كسا البيت ديباجا اخضر قبل الأسود . (السادسة) نقل الفاسي رحمه الله أن أمراء مكة كانوا يأخذون من السدنة ستارة باب الكعبة في كل سنة مع جانب كبير من كسوتها او ستة آلاف درهم كاملية عوضاً عن ذلك الى أن رفع ذلك عنهم السيد عفان بن مغات لما ولي أمر مكة في آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وتبعه امراء مكة في الغالب . ثم ان السيد حسن بن عجلان بعد سنين من ولايته صار يأخذ منهم الستارة وكسوه المقام ويهديهما لمن يريد من الملوك وغيرهم انتهى . وقد استمر الأمر كذلك من أمراء مكة بعد السيد حسن مع الحجبة الى يومنا هذا ، واخرج الازرقي رحمه الله عن شيبة بن عثمان انه دخل على عائشة رضي الله عنها ، فقال يا أم المؤمنين ان الكعبة تجتمع عليها الثياب فتكثر . فنعمد الى بئر فنحفرها وندفن فيها ثياب الكعبة لئلا يلبسها الجنب والحائض ، فقالت عائشة رضي الله عنها : ما أصبت وبئس ماصنعت ان ثياب الكعبة اذا نزعت عنها لا يضرها من لبسها من حائض أو جنب ولكن بعها وتصدق بثمنها ،ونقل جواز البيع عن ابن عباس أيضا .

(فروع الاول) يجوز بيع ثياب الكعبة عندنا اذا استغنت عنه وقال به جماعة من فقهاء الشافعية وغيرهم ، ويجوز الشراء من بني شيبة لأن الأمر مفوض اليهم من قبل الامام نص عليه الطرسوسي من أصحابنا في شرح منظومته . ووافقه السبكي من الشافعية . ثم قال وعليه عمل الناس ، والمنقول عن ابن الصلاح ان الأمر فيها الى الامام يصرفها في بعض مصارف بيت المال بيعاً واعطاء ، واستدل بما تقدم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وفي قواعد صلاح الدين خليل بن كليكلندي انه لايتردد في جواز ذلك الآن لأجل وقف الامام ضيعة معينة على أن يصرف ريعها في كسوة الكعبة

والوقف بعد استقرار هذه العادة والعلم بها فينزل لفظ الواقف عليها . واستحسن النووي الجواز ايضا . قال الجد رحمه الله هذا في الستور الظاهرة وأما الستور الداخلة فلا تزال بل تبقى على ماهي عليه لأن الكلام انما هو في الستور التي جرت العادة أن تغير في كل عام فلو قدر جريان العادة بمثل ذلك في الستور الباطنة سلك بها مسلك الظاهرة انتهى (الثاني) لو نذر شخص ان يكسو البيت صح نذره وستره بالحرير او بغيره لأن ذلك من القربات ذكره النووي رحمه الله (الثالث) لو سرق انسان شيئا من ستر الكعبة أو من فضة بابها لايقطع عندنا لعدم الجواز والله اعلم .

ذكر تطييب الكعبة المشرفة

روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت طيبوا البيت فان ذلك من تطهيره ولأن اطيب الكعبة أحب الي من ان اهدى لها ذهبا وفضة اخرجه الأزرقي . وقد تقدم ان ابن الزبير لما فرغ من بناء الكعبة خلق باطنها وظاهرها بالعنبر والمسك من اعلاها الى أسفلها ثم كساها وكان يجمرها في كل يوم برطل من الطيب . وفي يوم الجمعة برطلين واجرى لها معاوية الطيب لكل صلاة فكان يبعث به في الموسم وفي رجب وأخدمها عبيدا بعث بهم اليها ثم تبعه الولاة بعد ذلك ، وهو اول من اجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال . ولما حج المهدي امير المؤمنين سنة ستين ومائة رفع اليه انه قد اجتمع على الكعبة ثياب كثيرة حتى انها قد اثقلها ؛ ويخشى على الجدران من ذلك فأمر بتجريدها ثم ضمخها من خارجها وداخلها بالغالية والمسك والعنبر ثم كساها ثلاثة ثياب قباطي وخز وديباج وهو جالس في المسجد مما يلي دار الندوة ينظر اليها وهي تطلى ، وقيل ان مافي أحجارها من السمرة انما حصل من آثار تلك الغالية (فرع) قال النووي رحمه الله لايجوز أخذ شيء من طيب الكعبة لا للتبرك ولا لغيره ومن أخذ شيئا من ذلك لزمه رده فان أراد التبرك اتي بطيب من عنده فمسحها به ثم اخذه .

ذكر تحلية الكعبة شرفها الله تعالى

أخرج الأزرقي رحمه الله ان اول من حلى الكعبة في الجاهلية عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بالغزالين الذهب اللذين وجدهما في زمزم حين حفرها وسيأتي الكلام عن سبب حفر زمزم في محله انشاء

الله تعالى . واما في الاسلام فالوليد بن عبد الملك بعث الى واليه على مكة خالد بن عبد الله القسري بستة وثلاثين الف دينار فضرب منها على باب الكعبة صفائح الذهب ، وعلى ميزاب الكعبة وعلى الأساطين التي في داخلها والأركان ثم لما ولي الأمين بن الرشيد ارسل ايضا الى عامله بمكة سالم بن الجراح بثمانية عشر الف دينار ليحلي بها باب الكعبة فقلع ما كان علىَّ الباب من الصفائح وزاد عليها مابعثه الأمين وضربه صفائح ومسامير وحلى به الباب ، وجعل له حلقتين ذهبا ، وقيل أول من حلى البيت عبد الملك أبو الوليد ، وقيل ابن الزبير ثم حلاه الملوك وغيرهم بعد ذلك (فرع) قال النووي والرافعي تحرم تحلية الكعبة بالذهب والفضة وكذا سائر المساجد وخالفهما السبكي وافتي بالحل وقال ان المنع لاسيما في الكعبة بعيد وغريب في المذاهب كلها قل من ذكره فلا وجه له ولا دليل يعضده ، وهذا في التحلية بصفائح النقدين واما التمويه فلا امنع من جريان خلاف فيه لأن في ذلك افساد مالية انتهى . ونقل الامام أبو الليث السمرقندي من ائمتنا اباحة ذلك عن ابي حنيفة رضي الله عنه ثم قال وعندي انه لا بأس به اذا لم يكن من غلة المسجد .

ذكر معاليق البيت الشريف

وما اهدي بعد مضي الجاهلية

اخرج الأزرقي رحمه الله في اخبار مكة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح مدائن كسرى كان مما بعث اليه هلالان من الذهب فبعثهما عمر الى الكعبة وعلقهما في جوفها ، وبعث عبد الملك بن مروان بشمستين وقدحين من قوارير ، وبعث ابنه الوليد بقدحين ايضا ، وبعث الوليد بن يزيد بن عبد الملك بهلالين أيضاً وبالسرير الرسي ، وبعث السفاح بصحفة خضراء ، وبعث المنصور بالقارورة الفرعونية ، وبعث المأمون بياقوتة فاخرة، وبعث الخليفة المتوكل العباسي بشمسة من ذهب مكللة بالدر الفاخر والياقوت والزبرجد ، وسلسلة من ذهب . وبعث بعض الملوك لما أسلم بصنم من ذهب كان يعبده على صورة انسان وبالتاج الذي كان على رأس الصنم وبالسرير الذي كان يوضع عليه ، هذا ملخص ماذكره الأزرقي ، واهدي الى الكعبة بعد ذلك اشياء اخر ذكرها الفاسي تقي الدين وغيره ، ومن ذلك قفل فيه الف دينار بعثه المعتصم العباسي في سنة تسع عشرة ومائتين ، ومن ذلك طوق من ذهب مكلل بأنواع الجواهر الفاخرة مع ياقوتة خضراء

كبيرة وزنها كما قيل اربعة وعشرون مثقالا بعث بذلك بعض ملوك السند لما أسلم ، ومن ذلك عدة قناديل كلها فضة ماعدا واحدا منها كان ذهباً زنته ستمائة مثقال بعث بها المطيع العباسي في سنة تسع وخمسين وثلثمائة ومن ذلك قناديل محكمة الصناعة ومحاريب مبنية زنة كل محراب ازيد من قنطار بعثها عثمان صاحب عمان بعد العشرين والاربعمائة . ومن ذلك قناديل ذهب وفضة بعثها الملك المنصور عمر بن علي بن رسول صاحب اليمن في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . ومن ذلك قفل ومفتاح بعثبهما الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر وركب القفل على باب الكعبة . ومن ذلك حلقتان من ذهب مرصعتان باللؤلؤ والبلخش كل حلقة وزنها الف مثقال ، وفي كل حلقة ست لؤلؤات فاخرات . وبينها ست قطع بلخش فاخرات أيضا بعث بذلك الوزير علي شاه وزير السلطان أبي سعيد بن خربندا ملك التتار في سنة ثمان عشرة وسبعمائة فأراد الرسول تعليقهما على باب الكعبة كما أمر فمنعه امير الركب المصري في السنة المذكورة وقال لايمكن ذلك الا باذن السلطان يريد صاحب مصر وهو اذ ذاك الناصر محمد بن قلاوون فلوطف الأمير وعرفه الرسول بأن الوزير نذر ان يعلقهما على باب الكعبة فأذن له في ذلك . فعلقتا زمنا قليلا ثم اخذهما امير مكة اذ ذاك وهو رميثة بن أبي نمي ، ومن ذلك اربعة قناديل كبار كل قنديل منها على ماقيل قدر الدورق من دوارق مكة اثنان ذهبا . واثنان فضة . بعث بذلك السلطان شيخ بن أوس صاحب بغداد في اثني عشر لسبعين وسبعمائة . فعلقذلك في الكعبة يسيرا ثم اخذه امير مكة عجلان بن رميثة هذا ملخص ماذكره الفاسي . ثم قال وليس في الكعبة الآن يعني في زمنه شيء من المعاليق التي ذكرها الأزرقي والتي ذكرناها سوى ستة عشر قنديلا منها ثلاثة فضة وواحد ذهب وواحد بلور ، وواثنان نحاس . والتسعة الباقية زجاج ، وسبب ذلك توالي الايدي عليه من الولاة وغيرهم ، فمن ذلك ما وقع لأبي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي حين خرج عن طاعة الحاكم ودعا لنفسه بالأمانة انه اخذ من حلية الكعبة وضربها دنانير ودراهم ، وسميت بالفتحية. واخذ المحاريب التي اهداها صاحب عمان . ومن ذلك ماوقع لمحمد بن جعفر المعروف بابن ابي هاشم الحسني انه في سنة اثنتين وستين واربعمائة اخذ قناديل الكعبة وستورها وصفائح الباب لكون صاحب مصر المستنصر العبيدي لم يرسل له شيء لاشتغاله بالقحط الذي كادت مصر ان تخرب بسببه ومما اهدي للكعبة بعد الفاسي .

فصل في الكلام على سدانة البيت

وهي خدمته وتوالي أمره وفتح بابه واغلاقه

وكانت السدانة قبل قريش لطسم قبيلة من عاد فاستخفوا بحقه ايضا فأهلكهم الله . ثم وليته خزاعة بعد جرهم دهرا طويلا حتى صار الأمر الى ابي غبشان فباع مفتاح البيت من قصي بن كلاب بزق من خمر ، فقيل في ذلك أخسر من صفقة ابي غبشان فذهبت مثلا وصارت حجابة الكعبة من بعد خزاعه لقصي . وانتهى اليه أمر مكة بعد ذلك فأعطى ولده عبد الدار السدانة . وهي الحجابة وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة ثم جعل عبد الدار الحجابة الى ولده عثمان . ولم تزل تنتقل في أولاده الى أن انتهت الى عثمان بن طلحة ثم الى ابن عمه شيبة بن عثمان ابن ابي طلحة وهي في ولده الى الآن . ويرى ان عثمان بن طلحة قال فتحنا البيت يوما في الجاهلية فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخل مع الناس فتكلمت بشيء فحلم عني . ثم قال ياعثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت . فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال بل عزت ، ودخل الكعبة . ووقعت كلمته مني موقعا ظننت ان الامر سيصير الي ماقال فاردت السلام فخشيت من قومي فقدمت المدينة فبايعته وأقمت معه حتى خرج في غزوة الفتح فلما دخل مكة قال ياعثمان ائت بالمفتاح فأتيت به فأخذه مني ثم دفعه الي وقال خذوها يابني طلحة خالدة تالدة الى يوم القيامة لاينزعها منكم الا ظالم وفي ذلك نزل قوله تعالى «ان الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها » وفي سنن سعيد بن منصور انه صلى الله عليه وسلم لما اخذ المفتاح من بني شيبه اشفقوا أن ينزعه منهم ثم قال يابني شيبة هاكم المفتاح وكلوا بالمعروف قال العلماء ان هذه ولاية من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لأحد ان ينزعها منهم ، واعظم من ذلك ان يشرك معهم غيرهم . قال الشيخ محب الدين الطبري في القرى لايبعد ان يقال هذا اذا حافظوا على حرمته ولازموا الأدب في خدمته اما اذا لم يحفظوا حرمته فلا يبعد أن يجعل عليهم مشرف يمنعهم من هتك حرمته . ثم قال أيضا : وربما تعلق الجاهل المعكوس الفهم بقوله صلى الله عليه وسلم وكلوا بالمعروف فاستباح اخذ الاجرة على دخول البيت ولا خلاف بين الأمة في تحريم ذلك وانه من أشنع البدع واقبح الفواحش ، وهذه اللفظة ان صحت فيستدل بها على اقامة الحرمة لأن أخذ الأجرة ليس من المعروف وانما الاشارة والله أعلم الى مايتصدق به من البر والصلة على وجه التبرر فلهم أخذه وذلك اكل بالمعروف لامحالة أو الى مايأخذونه من بيت المال على ما

يتولونه من خدمته والقيام بمصالحه فلا يحل لهم الا قدر مايستحقونه والله تعالى اعلم انتهى كلام المحب .

(وأما الرفادة) فأصلها خرج من قريش كانت تخرجه من اموالها الى قصي يصنع به طعاما للحاج يأكله من ليس له سعة وكان قصي ينحر على كل طريق من طرق مكة جزرا كثيرة ، ويطعم الناس وكان يحمل راجل الحاج ويكسو عاريهم ، ثم صارت بعد عبد مناف بن قصي الى ابنه هاشم فكان يطعم الناس في كل موسم الى أن توفي ، فقام بذلك بعده عبد المطلب ثم بعده أبو طالب واستمر الى أن جاء الاسلام ، فقام بـه النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل بمال يعمل بـه الطعام مع أبي بكر رضي الله عنه حين حج بالناس سنة تسع ثم عمل سنة عشر في حجة الوداع ثم اقامه أبو بكر في خلافته ثم عمر ثم الخلفاء بعده ثم لما ولي معاوية رضي الله عنه اشترى دارا بمكة وسماها دار المراحل وجعل فيها قدورا فكانت الجزر والغنم تطبخ فيها أيام الحج في الموسم ثم يفعل ذلك في شهر رمضان ، ويروى ان أول من أطعم الحاج الفالوذج بمكة عبد الله بن جدعان وفد على كسرى فأكل عنده الفالوذج فسأل عنه فقالوا لباب البر مع العسل ، فقال ابغوني غلاما يصنعه فأتوه بغلام فاشتراه وقدم به مكة فصنع الفالوذج للحاج ، ووضع الموائد من الأبطح الى باب المسجد ثم نادى مناديه الا من اراد الفالوذج فليحضر فحضر الناس وما زال ذلك اطعامه للحاج في الجاهلية .

(وأما السقاية) فكان اصلها حياضاً من ادم توضع على عهد قصي بفناء الكعبة ، وتملأ ماء للحاج ، وكان قصي يسقي اللبن المخيض ويسقي الماء المنبوذ بالزبيب ايضاً وما زال ذلك فعله حتى هلك فقام بـه هاشم بعده ، ثم اخوه المطلب بعده ، ثم عبد المطلب ، وكان يسقي لبنا وعسلا في حوض من ادم عند زمزم ثم قام به العباس رضي الله عنه بتولية النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم تزل في ولده من بعده (اقول) الى يومنا هذا .

(تتميم بذكر شيء من خبر قصي) روى الأزرقي رحمه الله ان قصيا لما انتهت اليه رياسة مكة وقرب أجله قسم رياسته ومكارمه بين ولده فأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة ، واعطي عبد الدار السدانة وهي حجابة البيت ودار الندوة واللواء ، وقد تقدم ذكر السدانة والسقاية والرفادة وتفسيرها مستوفى .

(وأما الندوة) فهي دار بناها قصي حين صار أمر مكة اليه ليحكم

فيها بين قريش ، وكانت أول دار بنيت بمكة ولم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي الا ابن أربعين سنة للمشورة ، وأما ولد قصي فيدخلونها كلهم وحلفاؤهم ، ولم تزل دار الندوة بيد عبد الدار ثم جعلها بعده لولده عبد مناف بن عبد الدار ، ثم صارت لبنيه من بعده دون ولد عبد الدار ، وانما سميت دار الندوة لاجتماع الندي فيها لأنهم كانوا يندونها فيجلسون فيها لتشاورهم وابرام أمرهم وعقد الالوية لحروبهم وهذه الدار فيالرواق الشامي من المسجد الحرام بالزيادة ، وهي معروفة مشهورة .

(وأما اللواء) فكان في أيدي بني عبد الدار يليه منهم ذو السن في الجاهلية حتى كان يوم أحد فقتل عليه من قتل منهم .

(واما القيادة) فوليها من بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف ، ثم وليها بعده ابنه امية ، ثم من بعده ابنه حرب ، فقاد الناس يوم عكاظ وغيره من حروب قريش ، ثم قاد الناس بعده أبو سفيان ابنه الا يوم بدر. قاد الناس عتبة بن ربيعة ، فلما كان يوم أحد والأحزاب قادهم ابو سفيان ، وكانت الأحزاب آخر وقعة لقريش ثم ايد الله الاسلام ومن بفتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم هذا ملخص ماروواه الأزرقي من خبر قصي وذكر غيره في قسمة قصي غير هذا والله أعلم .

(فائدتان الأولى) روى الفاكهي رحمه الله ان الكعبة شرفها الله تعالى كانت تفتح في الجاهلية يوم الاثنين ويوم الجمعة وفي تاريخ الأزرقي أنها كانت يوم الاثنين ويوم الخميس يعني في الجاهلية . قال الفاسي رحمهالله وفتحها يوم الجمعة مستمر إلى الآن يعني في زمنه وفتحها يوم الاثنين متروك (أقول) قد اعيد فتحها يوم الأثنين بعد ذلك وصارت تفتح يوم الاثنين ويوم الجمعة إلى يومنا هذا وفي هذا دلالة لصحة ما رواه الفاكهي ومما يؤيده أيضا ما ذكره ابن جبير في خبر رحلته وكانت في سنة تسع وسبعين وخمسمائة من أن الكعبة تفتح يوم الاثنين ويوم الجمعة إلا في رجب تفتح كل يوم . وما يروى عن عثمان بن طلحة انه قال كنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين ويوم الجمعة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل مع الناس فتكلمت بشيء إلى آخر ما قدمته آنفاً فيه تأييد لما ذكره الأزرقي ايضاً على ان الجمع بين روايتي الأزرقي والفاكهي ممكن بانه يحتمل ان كلا الأمرين وقع وانها كانت تفتح يوم الخميس أولا ومكث ذلك مدة ثم تغير وصارت تفتح يوم الجمعة أو العكس انتهى (الثانية) روي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة يوم الفتح أمر بلالا فرقي على ظهر الكعبة فاذن بالصلاة وقام المسلمون وتجردوا في الازر واخذوا الدلاء وارتجزوا على زمزم فغسلوا

الكعبة ظهرها وبطنها فلم يدعوا اثرا من آثار المشركين الا محوه وغسلوه . وهذا الخبر في الجملة يصلح أن يكون شاهدا لما بفعله الحجبة من غسل باطن الكعبة في كل عام والله أعلم .

الباب الخامس

في فضل الطواف بالبيت المشرف والطائفين به

وفضل النظر اليه وبيان المواضع التي فيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم حول البيت وبيان جهة المصلين اليه من سائر الآفاق وذكر وليطوفوا بالبيت العتيق

وقال جل اسمه لخليله عليه السلام وطهر بيتي للطائفين . وقال تعالى وتقدس وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين الآيات واختلف في معنى التطهير . فقيل طهره من الآفات والريب . وقيل من الأوثان فلا ينصب حوله وثن . وقال السدي معنى طهرا بيتي أمنا بيتي وقيل غير ذلك وقد سبق بعض الكلام على ذلك في أول الكتاب .

(واما الأحاديث) فأكثر من أن تحصي (فمن ذلك) ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه وفي رواية يحصية كان كعتق رقبة ومعنى أحصاه أو يحصيه : قال بعض العلماء يتحفظ فيه أن لا يغلط وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت . أخرجه الواحدي في تفسيره وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال إذا خرج المرء يريد الطواف بالبيت أقبل يخوض في الرحمة فاذا دخل غمرته ثم لا يرفع قدما ولا يضعها إلا كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة وحط عنه خمسمائة سيئة ورفعت له خمسمائة درجة فاذا فرغ من الطواف فصلى ركعتين دبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وكتب له أجر عشر رقاب من ولد اسماعيل واستقبله ملك على الركن وقال له استأنف العمل فيما تستقبل فقد كفيت ما مضى وشفع في سبعين من أهل بيته : أخرجه الأزرقي وغيره . وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال الكعبة محفوفة بسبعين ألفا من الملائكة يستغفرون الله تعالى لمن طاف بها (اقول) وعن أنس

رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل في الركعتين قبل. الطواف ثواب عتق رقبة . وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى خلف المقام ركعتين غفر لـه ماتقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة من الآمنين ذكره القاضي عياض في الشفاء . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الطواف بالبيت خوض في رحمة الله تعالى ذكره الحسن فيرسالته وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طاف بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه رواه الترمذي وقال حديث غريب . قال القاضي عز الدين بن جماعة رحمه الله والمراد بخمسين مرة والله أعلم خمسون أسبوعا لأن الشوط الواحد لا يتعبد به. ويدل لذلك أن جماعة رووه فقالوا من طاف خمسيناسبوعا كان كما ولدته أمه . فهذه الرواية مفسرة للأولى . وليس المراد بأن يأتي بالخمسين في آن واحد بل أن توجد في صحيفة حسناته انتهى ملخصاً . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى يباهي بالطائفين ملائكته . وقال صلى الله عليه وسلم استكثروا من الطواف بالبيت فانه أقل شيء تجدونه في صحفكم وأغبط عمل تجدونه . وعن ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال طوافان لا يوافقهما عبد مسلم إلا خرج من ذنوبه كما ولدته امه وغفرت لـه ذنوبه بالغة ما بلغت طواف بعد الصبح يكون فراغه عند طلوع الشمس وطواف بعد العصر يكون فراغه عند غروب الشمس فقال رجل يارسول الله لم يستحب هاتان الساعتان قال انهما ساعتان لاتعدوهما الملائكة . قال المحب يحتمل أن يريد بالبعدية ما قبل الطلوع والغروب ولو بلحظة تسع اسبوعا . ويحتمل أن يريد استيعاب الزمنين بالعبادة ولعله الأظهر والاقال طواف قبل الطلوع وقبل الغروب وعلى هذا فيكون حجة على من كرهه في الوقتين انتهى . وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اكرم سكان أهل السماء على الله الذيـن يطوفون حول عرشه وأكرم سكان أهل الأرض على الله الذين يطوفون حول بيته . وعن أبيهريرة أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من طاف بالبيت سبعاً ولا يتكلم الا سبحان الله والحمـد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله محيت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات ورفع له عشر درجاتومن طاف فتكلم في الحال خاض في الرحمة برجلية كخائض الماء برجليه وعنه صلى الله عليه وسلم قال لو أن الملائكة صافحت أحدا لصافحت الغازي في سبيل الله والبار والديه والطائف ببيت الله الحرام . والأحاديث الواردة في هذا المعنى كثيرة جدا وفيما ذكرته كفاية . واذا كان الطائف بهذهالمزية وثبت له هذا الفضل العظيم فينبغي له الاخلاص وليحذر من أن يكـون كما قال بعض العلماء العارفين .

يامن يطوف ببيت الله بالجسد والجسم في بلد والروح في بلد
ماذا فعلت وماذا انت فاعلــه مبهرجا في التقى للواحد الصمد
ان الطواف بلا قلب ولا بصر على الحقيقة لا يشفي من الكمد

(واما الآثار) فروي عن ابن عمر انه قال كان أحب الأعمال الى النبي صلى الله عليه وسلم اذا قدم مكه الطواف . وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه انه قال من حج البيت فطاف خمسين اسبوعا قبل أن يرجع كان كما ولدته أمه . وعن ابن عمر ايضاً انه قال من طاف وصلى ركعتين فهاتان يكفران ما امامهما . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه طاف بالبيت وهو متكيء على غلام له يسمى طهمان وهو يقول والله لأن أطوف بهذا البيت اسبوعا لا اقول فيه هجرا واصلي ركعتين احب الي من ان اعتق طهمــان والهجر بضم الهاء هو الافحاش في المنطق ، قالــه في الصحاح ، وفي الاحياء للغزالي لا تغرب الشمس من يوم الا ويطوف بهذا البيت رجل من الابدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة الا وطاف واحد من الاوتاد ، واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض ، وروى الأزرقي رحمه الله ان ابن عمــر . كان يطوف سبعة اسابيع بالليل وخمسة بالنهار وان آدم عليه السلام كان يطوف كذلك وذكر غير الأزرقي أن آدم كان يقول في طوافه اللهم اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي ، وعن محمد بــن فضيل أنــه قال رايت ابن طارق في الطواف ، وقد انفرج الطائفون له وفي رجليه نعلان فحزروا طوافه في ذلك الزمان فاذا هــو يطوف في اليــوم والليلة عشرة فراسخ ، والحزر هو التقدير والخرص . يقــال حزرت الشــيء أحزره وأحزره بالضم والكسر كذا في الصحاح . وذكر ابن الجوزي في الصفوة أن محمد بن طارق كان يطوف كل يوم وليلة سبعين سبعا .

(فائدة) اعداد الطواف لها سبع مراتب ذكرها الامام ابو عبدالله بــن ابي الصيف اليمني رحمه الله (الأولى) ان من طاف خمسين اسبوعا في اليوم والليلة يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه للحديث الذي قدمتــه آنفا (الثانية) أحدا وعشرين اسبوعا كل يوم فيكون بحجة وقد قيل سبع أسابيع بعمرة وقيل في الحديث ثلاث عمر بحجة (الثالثة) اربعة عشر اسبوعا فيكون بحجة ايضا لأنه ورد في حديث آخر عمرتان بحجة ، وهذا في غير عمرة رمضان لأن العمرة فيه كحجة مطلقة كما جاء في الحديث ، وفي حديث آخر كحجة معه صلى الله عليه وسلم (الرابعة) اثني عشر اسبوعا خمسة بالنهار وسبعة بالليل لمــا سبق قريبا من فعل آدم وابن عمر ويستحب ان يكون ثلاثة أسابيع من الخمسة التي في النهار قبيل طلوع الشمس بحيث تطلع وهو في الطواف للحديث الذي رواه ابن عمر قاله الجد (الخامسة)

سبعة اسابيع فيكون بعمرة لما تقدم في المرتبة الثانية (السادسة) ثلاثة أسابيع قال الجد ياتي في الأول بأذكار الطواف ودعواته الخاصة ، وفي الثانية بالباقيات الصالحات ، ففي ذلك حديث . وفي الثالثة بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (السابعة) أسبوعا واحدا كل يوم فقد جاء في الحديث أن الأسبوع بعتق رقبة ، ويدخل بهذا الأسبوع في جملة الطائفين الذين لهم ستون رحمة من المائة والعشرين كما سيأتي قريبا ان شاء الله تعالى ، والباقيات الصالحات هي قولك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

(فائدة) المراد بحسنة الدنيا فيما تقدم العلم والعبادة قاله الحسن وقيل العافية ، وقيل المال ، وقيل المراة الحسنة ، وقيل العفة ، وقيل الرزق الواسع ، وبحسنة الآخرة الجنة بالاجماع كذا قاله الدميري ،وقيل الحور العين أو الجنة أو العفو والمعافاة . (واعلم) انه ينفي المثابرة على الطواف في أوقات . (منها) ما تقدم من الطواف بعد الصبح والعصر للحديث السابق ، (ومنها) في وقت المطر لما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من طاف بالكعبة في يوم مطر كتب الله له بكل قطرة تصيبه حسنة ومحا عنه بالأخرى سيئة ، وعن ابي عقال قال طفت مع انس بن مالك رضي الله عنه في مطر فلما قضينا الطواف اتينا المقام فصلينا ركعتين فقال لنا انس ائتنفوا العمل فقد غفر لكم هكذا قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وطفنا معه في مطر ، وعن مجاهد قال كان كل شيء لايطيقه الناس من العبادة يتكلفه ابن الزبير فجاء سيل فطبق البيت فامتنع الناس من الطواف فجعل ابن الزبير يطوف سباحة ، وذكر القاضي عز الدين بن جماعة عن جده انه طاف بالبيت سباحة وكان كلما حاذى الحجر غطس لتقبيله ، وذكر ان بعض المكيين اخبره انه اتفق له مثل ذلك ، (ومنها) في شدة الحر . فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال من طاف حول البيت اسبوعا في يوم صائف شديد الحر واستلم الحجر في كل طواف من غير أن يؤذي احدا واقل كلامه الا بذكر الله تعالى كان له بكل قدم يرفعها ويضعها سبعون الف حسنة ، ويمحى عنه سبعون الف سيئة ويرفع له سبعون الف درجة، وفي رواية عن ابن عباس بعد شديد الحر وحسر عن راسه ، وقارب خطاه ، وأقل التفاته ، وغض بصره ثم ذكر بقية الحديث وزاد يعتق عنه سبعين رقبة ثمن كل رقبة عشرة آلاف درهم ويعطيه الله سبعين شفاعة ان شاء في أهل بيته من المسلمين ، وان شاء في العامة ، وان شاء عجلت

له في الدنيا ، وان شاء اخرت له في الآخرة (أقول) فان قيل هل يستوي الطائف في شدة الحر بغير خف او نحوه بمن طاف لابساً لذلك ام غير اللابس افضل واكثر ثوابا لانه حينئذ اكثر مشقة . (الجواب) ان اطلاق الحديث يقتضي التسوية بين اللابس وغيره لكن سياق الحديث يفهم منه ان غير اللابس اكثر ثواباً حيث علل بشدة الحر لان المراد تجشم المشقة . ولا شك ان غير اللابس اكثر مشقة . ويؤيده قوله في رواية ابن عباس حاسرا عن راسه اذ المراد المصابرة على ذلك . وينبغي في رواية حسر الراس ان يحمل على الاستطاعة وعدم الضرر . واما من تضرر بكشف الراس او خشي الضرر فالأفضل له تغطية راسه فان الحرج مدفوع شرعا ، والله الموفق .

(ومنها) عند خلو المطاف لانه حينئذ يكون قائما بهذه العبادة العظيمة من غير مشارك له في سائر اقطار الأرض ، وكذلك قال العلماء لو حلف ليعبدن الله بعبادة لايشركه احد فيها . فالخلاص أن يخلى له المطاف فيطوف به وحده .

(فوائد) الأولى ان قيل ما العلة في جعل الكعبه على يسار المطاف دون يمينه ، وما الحكمة في ذلك (اعلم) ان العلة في ذلك اجتماع القلبين في جهة واحدة لأن القلب بيت الرب والقلب في الجانب الأيسر قال الجد رحمه الله قلت وقد يقال أيضاً في وجه المناسبة ان المستحب في ابتداء الطواف استقبال الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض وحينئذ فشقه الايمن الى جهة باب البيت . وشقه الأيسر الى جهة الركن اليماني. والانفتال الى جهة اليمين اولى من الانفتال الى جهة اليسار ويستانس لذلك بأن داخل المسجد يستحب له ان يبدأ برجله اليمنى والبداءة بجهة الشق الأيمن يبتدأ فيها بالرجل اليمنى حيث مشى على الأسلوب المعتاد. وأيضاً لاخفاء ان جهة الباب افضل الجهات فجهة الركن اليماني بالنسبة اليها مفضولة والمسارعة الى الافضل افضل من المسارعة الى المفضول انتهى . (الثانية) قال بعض العلماء انما يجعل الطائف البيت على يساره، ويبتدىء بالحجر الأسود لأن الحجر اذا استقبلت البيت من ثنية كذا من باب بني شيبة يبقى في ركن البيت على يسارك وهو يمين البيت لانك اذا قابلت شخصا فيمينه يسارك ويسارك يمينه والذي يلاقيك من البيت هو وجهه لأن فيه بابه وباب البيت وجهه اى بيت كان والادب ان لا يؤتى الافاضل الا من قبل وجوههم ولأجل ذلك كان الابتدائية كذا ، والاصل في كل قربة يصح فعلها باليمين واليسار ان لا تفعل الا باليمين كالوضوءوغيره فاذا ابتدأ بالحجر وجعل البيت على يساره كان قد ابتدأ باليمين والوجه

معا فيجمع بين الفاضلين ، ولو عكس ذلك فاته الجمع المذكور ، ويمين البيت جميع الحائط الذي بين الركنين الأسود واليماني ويسار البيت الحائط الذي عند الحجر بكسر الحاء ، ودبر البيت الحائط الذي فيه الباب المسدود وانما سمي الشام لانه على شمال البيت واليمن لأنه على يمين البيت وسميت ريح الدبور لأنها تاتي من دبر البيت وريح الشمال لانها تأتي من شمال البيت (الثالثة) كان النساء والرجال يطوفون معا مختلطين حتى ولي مكة خالد بن عبد الله القسري لعبد الملك بن مروان ففرق بين الرجال والنساء وأجلس عند كل ركن حرسا معهم السياط ، وسببه أنه بلغه قول بعض الشعراء .

يا حبذا الموسم من موفد وحبذا الكعبة من مشهد
وحبذا اللاتي تزاحمننا عند استلام الحجر الاسود

فقال أما انهن لايزاحمنك بعد فامر بالتفريق (الرابعة) أول من استصبح لأهل الطواف في المسجد عقبة بن الازرق بن عمرو وكانت داره لاصقة بالمسجد من ناحية وجه الكعبة فكان يضع في جدار داره مصباحا كبيرا يضيء على وجه الكعبة أخرجهما الأزرقي .

(فروع الأول) قال الجد الآتي باسبوع بسكينة ووقار وتؤدة بحيث يطوف غيره اسابيع في زمن طوافه الأسبوع مع تساوي أوصافهما في الحضور والخشوع هل يستويان . قال المحب الطبري هذا ينبي على أن طول القيام في الصلاة أفضل ام تكثير الركعات وهو يقتضي أفضلية الأسبوع قال النسائي ونص عليه الشافعي (أقول) وهو مقتضى مذهب محمد ابن الحسن من اصحابنا حيث قال طول القنوت أحب الي من كثرة الركوع والسجود ، وهو محمول على المنفرد لقوله صلى الله عليه وسلم من ام قوما فليخفف فان وراءه الكبير والضعيف وذا الحاجة واذا صلى منفردا فليطول ماشاء انتهى ؟ واعتبر بعض المتأخرين الخطأ فوجد كل طوفة مائة وعشر خطوات اذا كان بينه وبين البيت ذراع او فوقه قليلا فتكون للطوافات السبع سبعمائة وسبعون خطوة انتهى ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أسعد الناس بهذا الطواف قريش واهل مكة وذلك انهم ألين الناس فيه مناكب وانهم يمشون فيه التؤدة اخرجه الأزرقي . (الثاني) : الترتيب في الطواف ليس بشرط عندنا حتى لو طاف منكوسا صح مع الكراهة ، وكذا او طاف عاريا أو بغير طهر فان أمكن اعادته في طوافي الحج والعمرة أعاد والا جبر بالدم خلافا للثلاثة (الثالث) اختلف العلماء هل الطواف بمكة أفضل أم الصلاة ، وهل الاعتمار افضل ام الطواف ، فمذهب

الجمهور ان الصلاة افضل فرضها ونفلها لأنها افضل عبادات البدن ، وذكر جماعة من علمائنا ان الطواف أفضل في حق الآفاقي ، والصلاة في حق المكي افضل وهو مذهب المالكية ومتأخري الشافعية ، وذهب الماوردي الى أن الطواف افضل ورجحه ابن عبد السلام واحتج بما سيأتي قريبا عن ابن عباس فيما ينزل من الرحمات حيث جعل لطائفين أكثر .

(واما المفاضلة) بين الطواف والعمرة عن انس بن مالك انه سأل عن الطواف للغرباء افضل أم العمرة فقال بل الطواف أخرجه الأزرقي . قال المحب الطبري مراد انس والله اعلم ان تكرار الطواف افضل من العمرة ولا يريد طواف أسبوع واحد فانه موجود في العمرة انتهى . وله في هذا المعنى تاليف لطيف سماه عواطف النصرة في تفضيل الطواف على العمرة ذهب فيه الى ان الاشتغال بتكرار الطواف في مثل مدة العمرة افضل من الاشتغال بالعمرة واستدل رحمه الله على ذلك بجملة ادلة . وذهب جماعهم من الشافعية منهم السبكي والبلقيني الى تفضيل الاعتمار مطلقاً على الطواف (الرابع) لا بأس عندنا للطائف ان يقرأ القرآن في نفسه لأنه ذكر مشرف في مكان مشرف . ويكره أن يرفع صوته بالقراءة فيه كي لا يقع في الرياء والسمعة ولفظة لا بأس تدل على ان الأولى الاشتغال بالدعاء دون القراءة فانه صلى الله عليه وسلم اشتغل بالدعاء دون القراءة لكون الطواف محلا لاجابة الدعاء وعند مالك لا يقرأ الا قوله ربنا آتنا الى قوله وقنا عذاب النار . كذا نقله الكرماني من اصحابنا والصحيح من مذهب الشافعي ان الدعاء المأثور في الطواف افضل من القراءة للاتباع واستدل أصحابه بأنه قد نهى عن القراءة في الركوع والسجود لتعلق الدعاء الخاص بهما قال الزركشي وقد ينازع في عبارتهم في هذه المسألة اذ لاشيء من الذكر افضل من القرآن فكيف يكون الاشتغال بالمأثور افضل من الاشتغال بالقرآن ؟ واجيب بأن القراءة فعل القادر وهي حادثة والقرآن قديم . والتفضيل بين القراءة والذكر ، والصواب ان القرآن من حيث حقيقته افضل وقد الف ابو بكر الآجري تأليفاً يتضمن الانكار على الجاهر في الطواف بذكر أو تلاوة وغلظ في ذلك وشدد وينبغي ايضاً لمن كان في المسجد قريبا من الطواف ان لا يرفع صوته بتلاوة او ذكر لئلا يشوش على الطائفين او المصلين (الخامس) من سنن الطواف للرجل القرب من البيت لينال الشرف والبركة ليكون أيسر في الاستلام والتقبيل . وهذا إذا لم يؤذ او يتأذ بزحمة أو غيرها واذا لم يفته الرمل أيضاً بسبب الزحمة فان خشي فوات الرمل فالبعد أولى للاتيان به لأن الرمل عندنا لا بدل له ولهذا اذا اشتدت الزحمة يقف وايضاً في قرب الرجل من البيت

بعده عن النساء فان طوافهن غالبا من جهة حاشية المطاف لا سيما عند من يقول بنقضهن والمستحب للمراة البعد عن البيت لئلا تخالط الرجال الا في وقت خلو المطاف فالقرب اولى والخنثى كالمراة (السادس)التطوع بشوط واحد في الطواف هل يسوغ ويؤجر عليه ام لا فمذهب الشافعي ان من تطوع ابتداء بطوفة واحدة لا يجوز ولا يثاب على ذلك لما فيه من التلاعب بالعبادة اما لو نوى ان يطوف اسبوعا ثم بدا له بعد ان طاف طوفة واحدة مثلا انه لم يوف فله أجر الطوفة ولا يحبط ذلك ترك ما بقي من السبع (اقول) مقتضى مذهبنا ايضاً عدم جواز التطوع بالشوط الواحد قياساً على الركعة الواحدة في حق عدم المشروعية عندنا لا في حق الحنث فان حلف لا يصلي يحنث باداء ركعة واحدة انتهى (السابع) يجوز الطواف عندنا على الشاذروان لانه ليس من البيت نص على ذلك الاصحاب . ومذهب الشافعية والحنابلة وبعض متأخري المالكية انه يجب ان يكون الطائف بجميع بدنه خارجا عن البيت والحجر والشاذروان وينبغي الاحتراز عند الشافعي لمن قبل واستلم من أن يمر وشيء من بدنه في الشاذروان بل يقر قدميه الى ان يعتدل بعد التقبيل او الاستلام فان لم يقرهما فليرجع الى مكانه قبل الاستلام لئلا يقع بعض طوافه فيالبيت لا بالبيت لأن الشاذروان عندهم جزء نقصته قريش من عرض جدار اساس الكعبة حين ظهر على الأرض . قال الجد رحمه الله لم ينقل وقوع هذا التحرز عن أحد من السلف الصالح ولو وقع لنقل ولكن القواعد المقررة اقتضت ذلك مع انه لا يلزم من عدم الاطلاع على النقل انلايكون منقولا اذ لا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود . وعند الحنابلة انالطائف لو كان يمس الجدار بيده في موازاة الشاذروان صح طوافه لأن معظمه خارج البيت . وافاد الشيخ القدوة ابو عبدالله خليل امام مقام المالكية بالمسجد الحرام بانه لم يشترط احد من متقدمي المالكية فيما علمهالطواف خارج الشاذروان وان الشيخ ابا الطيب القابسي المالكي كان ينكر ذلك ولا يثبته في مذهب مالك قال الفاسي رحمه الله ينبغي الاحتراز منه لأنه ان كان من البيت كما قيل فالاحتراز منه واجب والا فلا محذور في ذلك كيف والخروج من الخلاف مطلوب وهو هنا قوي والله اعلم .

(نكتة) اعلم ان منشأ الخلاف بين الائمة في ذلك حديث عائشة المتقدم المصرح بأن قريشاً اقتصروا على قواعد ابراهيم ، وقد صح ان ابن الزبير رضي الله عنه لما بلغه هذا الحديث قال انا اليوم اجد ما انفق ولست أخاف الناس فهدم الكعبة كما قدمته وبناها على قواعد ابراهيم وادخل فيها الحجر وجعل لها بابين على ما كان في زمن قريش الى آخر

ما تقدم . فاذا علمت هدا ظهر أن ما ذكره الشافعية من أنه ينبغيالاحتراز عن الشاذروان عند التقبيل ليس بناهض . فينبغي حينئذ صحة الطواف على الشاذروان كما قال ابن الميلق من الشافعية وفيه تأييد لمذهبنا ولو وقع ما قاله الشافعية لنبه النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على ذلك لكونه مما تمس الحاجة اليه بقول أو فعل ولنقل ذلك ، هذا مع توفر الدواعي على النقل . ونازع الفاسي في ذلك فقال وبعض الناس يعارض القول بأن الشاذروان من البيت بكون ابن الزبير بنى البيت على أساس ابراهيم عليه السلام كما في خبر بنائه وهذا المعارض لا يخلو من حالين أحدهما ان يدعي أن ابن الزبير استوفى البناء على جميع اساس جدران البيت بعد ارتفاعها عن الأرض . والآخر أن يدعي ان البناء إذا نقص من عرض اساسه . بعد ارتفاعه عن الأرض لا يكون مبنياً على اساسه . والأول لا يقوم عليه دليل لأن ما ذكر من صفة بناء ابن الزبير للبيت لا يقتضي أن يكون بناؤه مستوفى على جميع أساس جدرانه بعد ارتفاعها من الأرض ولا ناقصاً عن أساسها ووقوع هذا في بنائه أقرب من الأول لأن العادة جرت بتقصير عرض أساس الجدار بعد ارتفاعه لمصلحة البناء . واذا كان هذا مصلحة فلا مانع من فعله في البيت لما بني في زمن ابن الزبير . نعم في بناء ابن الزبير على أساس ابراهيم دليل واضح على أنه أدخل في البيت ما أخرجته منه قريش من الحجر فانه بنى ذلك على أساس ابراهيم لا أساس قريش . والثاني غير مسلم لأن الجدار اذا اقتصر عن عرضه بعد ارتفاعه من الأرض لا يخرجه ذلك عن كونه مبنياً على اساسه وهذا مما لا ريب فيه وانكاره مكابرة والله اعلم انتهى (الثامن) يجب على الطائف عندنا ان يكون طوافه من وراء الحجر فلو طاف الطواف الواجب في جوف الحجر بأن يدخل من إحدى الفتحتين ويخرج من الأخرى عليه الاعادة وتجزىء على الحجر خاصة والأفضل الاعادة على البيت كله وذكر قاضي خان في شرح الجامع الصغير في صفة الاعادة على الحجر صورتين . الأولى أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهي الى آخره ثم يدخل الحجر من الفرجة ويخرج من الجانب الآخر يفعل ذلك سبعاً . الثانية أن يأخذ عن يمينه خارج الحجر حتى ينتهي الى آخره ثم يرجع ولا يدخل الحجر ، ويبتدىء من أول الحجر من المكان الذي ابتدأ منه أولا ولا يعد رجوعه الى ذلك شوطاً يفعل ذلك سبعاً ، فان رجع الى أهله ولم يعد لزمه دم كما قاله صاحب الهداية ، وحكى ابن عبد البر اجماع العلماء على أن من طاف بالبيت يلزمه أن يطوف من وراء الحجر ولو لم يطف من ورائه لم يجزه (التاسع) لو طافت المراة متنقبة في غير حالة الاحرام

فمقتضى مذهب الشافعي الكراهة كما تكره صلاتها متنقبة قاله النووي وهو مذهب مالك . قال الجد رحمه الله : محل هذا حيث أمنت من رؤية الرجال لوجهها اما حيث لم تأمن كما هو الغالب من حال الطواف فلا كراهة بل تنقبها حينئذ متعين ، وعندنا لا يكره لها ذلك في الطواف نص عليه السروجي في غايته . (العاشر) قال ابن جماعة في منسكه ومن البدع ما يفعله كثير من الجهلة من ملازمة البيت وتقبيله عند ارادة الطواف قبل استلام الحجر الأسود وتقبيله ، والذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو الابتداء بالحجر لأنه يمين الله فلا يناسب البداءة بغيره والله أعلم .

فصل في ثواب النظر الى البيت زاده الله شرفا وبيان مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حول البيت وذكر ذرع ارض المطاف

روى الحسن البصري رحمه الله في رسالته انه صلى الله عليه وسلم قال من جلس مستقبل القبلة ساعة واحدة محتسباً لله عز وجل ولرسوله تعظيما للبيت كان له كأجر الحاج والمعتمر والمرابط القائم ، واول ما ينظر الله الى اهل الحرم ، فمن رآه مصلياً غفر له ، ومن رآه قائما غفر له ، ومن رآه جالساً مستقبل القبلة غفر له وروى ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ينزل في كل يوم وليلة مائة وعشرين رحمة على هذا البيت ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين . (أقول) هذا الحديث وان كان ضعيفاً فقد نص النووي وغيره من الحفاظ على جواز رواية الضعيف في الفضائل انتهى ، وفي رواية أخرى ينزل الله على اهل المسجد مسجد مكة كل يوم عشرين ومائة رحمة الحديث . قال المحب الطبري : ولا تضاد بين الروايتين بل يجوز أن يريد بمسجد مكة البيت ، ويطلق عليه مسجد بدليل قوله تعالى « فول وجهك شطر المسجد الحرام » ويجوز ان يريد مسجد الجماعة وهو الأظهر ، ويكون هو المراد بالتنزيل على اهل المسجد ولهذا انسحبت على أنواع العبادات الكائنة في المسجد انتهى . ثم قال أيضاً عند كلامه على هذا الحديث يحتمل في تأويل القسم بين كل فريق وجهان : الاول قسمة الرحمات بينهم على المسمى بالسوية لا على العمل بالنظر الى قلته وكثرته وصفته وما زاد على المسمى فله ثواب من غير هذا الوجه ونظير هذا اعط

الداخلين بيتي مائة دينار ، فدخل واحد مرة وآخر مرارا فلا خلاف في تساويهما في القسم . الوجه الثاني : وهو الأظهر قسمتها بينهم على قدر العمل لأن الحديث ورد في سياق الحث والتحضيض وما هذا سبيله لا يستوى فيه الآتي بالأقل والأكثر ، ثم قال بعد أن استوفى الكلام في كيفية قسمة الرحمات اذا تقرر ذلك فالتفصيل في الرحمات بين المتعبدين بأنواع العبادات الثلاثة ادل دليل على افضلية الطواف على الصلاة والصلاة على النظر اذا تساووا في الوصف ، هذا هو المتبادر الى الفهم عند سماع ذلك فيخص به وبما ورد من الأحاديث المتقدمة في فضل الطواف عموم قوله صلى الله عليه وسلم واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ، أو نقول الطواف نوع من الصلاة فيكون داخلا في عموم حديث تفضيل الصلاة على سائر أعمال البدن ، ولا ينكر أن بعض الصلاة افضل من بعض . ثم قال بعد كلام آخر ووجه تفضيل هذا النوع من الصلاة وهو الطواف على غيره من الأنواع الاخصية له بمتعلق الثلاثة وهو البيت الحرام ، ولا خفاء بذلك . ولذلك بدا به في الذكر هنا وفي قوله تعالى « وطهر بيتي للطائفين » الآيتين ولما كانت الصلاة على تنوعها لم تشرع الا عبادة والنظر قد يكون عبادة اذا قصد التعبد به وقد لا يكون ، وذلك اذا لم يقصد به التعبد تأخر في الرتبة ، وقولنا اذا تساووا في الوصف نحترز مما اذا اختلف وصف المتعبدين فكان الطائف ساهيا غافلا والمصلي والناظر خاشعا يعبد الله كأنه يراه كان المتصف بذلك افضل اذ ذلك الوصف لا يعد له عمل جارحة خاليا عنه ، وهو المشار اليه والله أعلم في قوله تعالى : « انا لانضيع أجر من احسن عملا » انتهى باختصار وهو كلام عظيم كاف شاف حر أن يكتب بماء الذهب في بياض الحدق ، وقد ذكره في كتابه القرى بأبسط من هذا ، واستدل بأمور معنوية قوية ظاهرة لا يحتمله هذا التعليق فليراجعه مريده في محله فرحمه الله ولله دره من عالم محقق . وفي رسالة الحسن ايضاً انه صلى الله عليه وسلم قال : من نظر الى البيت ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة في الآمنين ، وفيها عنه صلى الله عليه وسلم من نظر الى البيت نظرة من غير طواف ولا صلاة كان عند الله عز وجل افضل من عبادة سنة يعني صائما وقائما وراكعا وساجدا ، وعن ابن عباس انه قال النظر الى الكعبة محض الايمان اخرجه الجندي ، وعن سعيد بن المسيب من نظر الى الكعبة ايماناً وتصديقاً خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ، وعن عطاء النظر الى البيت الحرام عبادة ، والناظر له بمنزلة الصائم القائم الدائم المخبت المجاهد في سبيل الله عز وجل ، وعن أبي السائب المديني من نظر الى الكعبة ايمانا وتصديقا تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق من

الشجر ، وعن زهير بن محمد قال الجالس في المسجد ينظر الى البيت. لا يطوف به ولا يصلي افضل من المصلي في ببته لا ينظر الى البيتأخرجها الأزرقي .

فصل في ذكر المواضع التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم حول الكعبة وبيانها ملخصة كما نقله القاسي عن القرى للمحب الطبري مع زيادة ادلة

(الأول) خلف مقام الخليل عليه السلام لما رواه جابر في صفة حجه صلى الله عليه وسلم من قوله ثم نفر الى مقام ابراهيم فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ، وجعل المقام بينه وبين البيت ثم صلى الركعتين (الثاني) تلقاء الحجر الأسود عند حاشية المطاف كما في النسائي من حديث المطلب بن ابي وداعة (الثالث) قريبا من الركن الشامي مما يلي الحجر بسكون الجيم كما في سنن ابي داود من حديث عبدالله بن السائب (الرابع) عند باب الكعبة كما في تاريخ الأزرقي من حديث ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم امني جبريل عند باب الكعبة مرتين قال الفاسي ، ويحتمل ثلاثة وجوه . الأول : ان يكون صلى وجاه الباب الثاني ان يكون في الحفرة المرخمة التي عند باب الكعبة على يمينه. الثالث ان يكون في الملتزم وهو بعيد ، والوجه الأول اقرب لأنه عند البابحقيقة، وانما نبهنا على ذلك لأن الشيخ عزالدين بن عبد السلام والشيخ أحمد بن موسى بن العجيل ذكرا ان مصلى جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم في الحفرة المرخمة ، ولم اقف على كلام ابن عجيل ، ولكن بلغني أن الطبري امام المقام سأله عن ذلك فحققه له بطريق الكشف . واما كلام ابن عبد السلام فنقله ابن جماعة انتهى . قال ابن جماعة بعد ذلك عن ابن عبد السلام ، ولم ار ذلك لغيره وفيه بعد لأنه لو كان صحيحا لنبهوا عليه بالكتابة في الحفرة ، ولما اقتصروا على من امر بعمل المطاف والله أعلم انتهى . (الخامس) تلقاء الركن الذي يلي الحجر من جهة المغرب جانحا الى جهة الغرب قليلا بحيث يكون باب المسجد المعروف اليوم بباب العمرة خلف ظهره كما في مسند أحمد وسنن ابي داود وغيرهما من حديث المطلب بن ابي وداعة انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي مما يلي باب بني سهم ، والناس يمرون بين يديه ، وباب بني سهم هو باب العمرة المذكور . (والسادس) في وجه الكعبة كما في الصحيحين من حديث

أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من البيت صلى قبل البيت ركعتين ، وقال هذه القبلة كما تقدم قال المحب الطبري وجه الكعبة يطلق على بابها ولهذا قيل للمحاذي له خلفها دبر الكعبة ، ويطلق على جميع الجانب الذي فيه الباب وهو المتعارف والظاهر أن هذا الموضع تلقاء المقام في فناء الكعبة بحيث يكون المقام خلف ظهر المصلي فيه . ثم قال ويحتمل على بعد أن يكون الموضع الرابع يعني المتقدم عند باب الكعبة ، قال ابن جماعة وقد ورد تفضيل وجه الكعبة على غيره من الجهات ، فعن ابن عمر البيت كله قبلة وقبلته وجهه فان فاتك ذلك فعليك بقبلة النبي صلى الله عليه وسلم تحت الميزاب ومثله عن عمرو بن العاص ، والمراد بقبلة النبي صلى الله عليه وسلم قبلته بالمدينة الشريفة انتهى (السابع) بين الركنين اليمانيين ذكره ابن اسحاق في سيرته في قصة طويلة قال الفاسي ولم يبينه المحب . ويحتمل ان يكون عليه السلام صلى الى وسط الجدار كما نقله ابن سراقة ويكون عند الرخامة التي في الشاذروان المكتوب فيها اسم الملك لاجين انه عمل المطاف ويحتمل أن يكون مائلا عن الوسط الى جهة الحجر الأسود أو الى جهة الركن اليماني (الثامن) في الحجر للحديث الصحيح بينما النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة اذ أقبل عقبة بن ابي معيط فوضع ثوبه في عنقه صلى الله عليه وسلم فخنقه خنقاً شديداً فأقبل ابو بكر واخذ بمنكبه ودفعه عنه عليه السلام وقال اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله الآية ، قال المحب الطبري: ولا يبعد أن تكون صلاته صلى الله عليه وسلم تحت الميزاب ، فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال صلوا في مصلى الأخيار واشربوا من شراب الأبرار ، فقيل له ما مصلى الأخيار وما شراب الأبرار فقال تحت الميزاب وماء زمزم ، وهو صلى الله عليه وسلم سيد الأخيار ، ولا يبعد أن تكون الاشارة اليه صلى الله عليه وسلم .

ذكر شيء من فضائل الحجر

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أحب أن ادخل البيت فأصلي فيه ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأدخلني الحجر وقال صلي فيه ان أردت دخول البيت فانما هو قطعة من البيت وفي هذا دلالة على أن جميع الحجر من البيت ، وكذلك ما ورد أن عائشة رضي الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجر هل هو من البيت فقال نعم . والصحيح أن القدر الذي فيه من البيت ستة أذرع أو مايقارب

لسبعة كما جاء مصرحا به في الحديث الآخر عن عائشه رضي الله عنها وهو لو لا قومك الى ان قالت ولزدت فيه ستة اذرع من الحجر تركتها قريش لقصر النفقة ، وفي رواية فهلمي لأريك ما تركوه قومك فأراها قريباً من سبعة أذرع ، فحينئذ يحمل المطلق فيما تقدم على المقيدواطلاق اسم الكل على البعض جائز على سبيل المجاز المستحسن اشار اليه المحب الطبري ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي هريرة رضي الله عنه ان على باب الحجر ملكا يقول لمن دخله وصلى فيه ركعتين مغفورا لك ما مضى فاستأنف العمل ، وعلى بابه الآخر ملك منذ خلق الله الدنيا الى يوم يرفع البيت يقول لمن صلى وخرج مرحوما ان كنت من امة محمد تقياً ، وفي رسالة الحسن ان اسماعيل عليه السلام شكا الى ربه حر مكة فأوحى اليه اني أفتح لك بابا من الجنة في الحجر يخرج عليك الروح منه الى يوم القيامة ، والروح بفتح الراء نسيم الريح . وفيها عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه اقبل ذات يوم فقال لاصحابه الا تسألوني من أين جئت فسألوه فقال كنت قائما على باب الجنة وكان قائما تحت الميزاب يدعو الله عنده . ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن احد يدعو تحت الميزاب إلا استجيب له . ونقل ابن جماعة عن بعض السلف ان من صلى تحت الميزاب ركعتين ثم دعا بشيء مائة مرة وهو ساجد استجيب له . وعن عطاء بن أبي رباح انه قال من قام تحت مثعب الكعبة ودعا استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه اخرجه الأزرقي . والمثعب مجرى الماء ومسيله . ومنه : يجيء الشهيد يوم القيامة وجرحه يثعب دما كذا في النهاية . ويروى عن أبي هريرة وسعيد بن جبير وزين العابدين انهم كانوا يلتزمون ما تحت الميزاب من الكعبة .

(ومن فضائل الحجر) ان فيه قبر اسماعيل وامه هاجر ، وكان عمره مائة وثلاثين سنة يوم مات وقيل مائة وسبعة وثلاثين . ونقل القاضي ابو البقاء بن الضياء في منسكه البحر العميق عن الفقيه اسماعيل الحضرمي نفع الله به انه لما حج سأل المحب الطبري عن ثلاث مسائل: عن الحفرة الملاصقة للكعبة . وعن البلاطة الخضراء التي في الحجر ، وعن القبرين اللذين يرجمان بأسفل مكة عند جبل البكاء ، فأجاب بأن الحفرة مصلى جبريل عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وسلم . والبلاطة الخضراء قبر اسماعيل ويشبر من رأسها الى ناحية الركن الغربي مما يلي باب بني سهم ستة أشبار فعند انتهائها يكون راس اسماعيل عليه السلام والقبران المرجومان فهو ان البيت الشريف أصبح يوما في دولة بني

العباس وقد لطخه رجلان بالعذرة فقبض عليهما أمير مكة واسأذن الخليفة في امرهما فأمر بصلبهما فرسم في هذا الموضع وصارا يرجمان الى الآن انتهى . وينبغي توقي النوم فيه والاحتراز مما احدثه العوام من وقوفهم في فتحتي الحجر بقصد السلام كما يزعمون على النبي صلى الله عليه وسلم ومن استدبارهما الكعبة فيهما للدعاء ايضاً والمعروف في آداب الدعاء استقبال البيت قاله ابن جماعة .

ذكر ذرع الحجر من داخله وصفته وخبر شيء من عمارته

اما ذرعه فمن جدر الكعبة الذي فيه الميزاب الى جدر الحجر المقابل له خمسة عشر ذراعا . وسعة ما بين الفتحتين سبعة عشر ذراعا وقيراطان وعرض جداره (1) .

واما صفته فهو عرصة مرخمة عليها جدار مقوس صورته نصف دائرة واول من رخمه المنصور العباسي في سنة اربعين ومائة لما حج . وذلك انه رأى حجارته بادية فدعا بعامله على مكة زياد بن عبدالله وأمره بأنه لا يأتي الصباح الا وقد ستر بالرخام فدعا زياد الصناع فعملوه على السرج قبل ان يصبح ثم جدد بعد ذلك مراراً كثيرة . وآخر من عمره على ما هو عليه الآن في زمن هذا التأليف من ملوك الشراكسة قانصوه الفوري على يد مباشر عمائره الأمير خاير بك العلائي المعروف عند اهل مكة بالمعمار وذلك في سنة سبع عشرة وتسعمائة . وكانت عمارته في هذه السنة مرتين الأولى بحجارة منحوتة من جبل الشبيكة ، والثانية بهذا الرخام الموجود كما ترى .

(فرع) حكم الصلاة في مقدار ما في الحجر من البيت حكم الصلاة في الكعبة يجري فيه الخلاف المتقدم بين الأئمة الأربعة وقد علمته فلا نطول باعادته لما فيه من تحصيل الحاصل والله أعلم .

(تتميم) اخرج الفاسي رحمه الله عن بعض مشايخ مكة المتقدمين ان للنبي صلى الله عليه وسلم مصلى بين الحفرة المرخمة وبين الحجر بسكون الجيم عند الحجر ألمشوبر الذي يقال له المقام المحمدي وان من دعا عنده بهذا الدعاء . يا واحد يا واحد ياماجد ياماجد يابر يارحيم ياغني يا كريم اتمم على نعمتك والبسني عافيتك استجيب له . ثم قال والحجر المشوبر الذي هو علامة لهذا المصلى لا يعرف الآن ، والحفرة قد سبق

(1) بياض بالاصل .

ذكرها ، وهذا المصلي هو الموضع الثالث الذي ذكره المحب لانه ليس بين الحفرة المشار اليها والركن الشامي مصلى للنبي صلى الله عليه وسلم غيره والله أعلم انتهى بمعناه .

(استطراد) في بيان مصلى آدم عليه السلام عند البيت حين نزل قد تقدم في الباب الاول في فضل الملتزم عن الأزرقي رحمه الله ان آدم طاف بالبيت سبعاً ، ثم صلى تجاه الكعبة ركعتين ثم أتى الملتزم الى آخر ما قدمته عنه ، واخرج الأزرقي أيضا في رواية أخرى أن آدم عليه السلام حين نزل طاف بالبيت سبعاً ثم صلى تجاه باب الكعبة ركعتين ، ونقل الفاسي رحمه الله في شفائه من كلام ابن سراقة ما يقتضي زيادة بيان في مصلى آدم عليه السلام فقال ومن باب الكعبة الى مصلي آدم حين فرغ من طوافه ، وانزلت عليه التوبة وهو موضع الخلوق من ازار الكعبة ارجح من تسعة اذرع ، وهناك كان موضع مقام ابراهيم عليه السلام وصلى النبي صلى الله عليه وسلم عنده ركعتي طوافة وبين مصلى آدم والركن الشامي ثمانية اذرع انتهى . قال الفاسي وقد تحرر لي مما ذكره ابن سراقة في ذرع ما بين الركن الشامي ومصلى آدم أن يكون مصلى آدم ظنا بقرب الحفرة المرخمة التي في وجه الكعبة بحيث يكون منه الى الحفرة ثلاثة اذرع ــ الا ثلث بالحديد انتهى ، وفي رواية لابن أبي الدنيا أن صلاة آدم الى جانب الركن اليماني ، وفي أخرى عن الفاكهي ان الموضع الذي يثبت فيه على آدم دبر الكعبة عند الباب الذي فتحه ابن الزبير جانب الركن اليماني ، والله أعلم .

فصل في بيان جهات المصلين الى القبلة من سائر الآفاق
ملخصاً مما ذكره الشيخ عزالدين بن جماعة في دائرته
بحذف الكواكب اذ ليس كل احد يعرف الاستدلال بها

(فجهة) مصر وصعيدها الأعلى وسواحلها السفلى أسوان واسنا وقوص والفسطاط والاسكندرية والاكيدم والمحلة ودمياط وبلبيس وبرقة وطرابلس وصفد ، ساحل المغرب ، والأندلس ، وما كان على سمت ما بين الغربي والميزاب .

(وجهة) جانب الشام الغربي ووسط غزة والرملة وبيت المقدس والمدينة الشريفة ، ودمشق ، وفلسطين وعكا وصيدا وما والى ذلك من

السواحل على سمته وهي من قبيل ميزاب الكعبة الى دون الركن الغربي .

(وجهة) الشام كلها غير ما ذكر وهي حمص وحماه وسلمية وحلب ومنبج وحران وميافارقين وما والاها من البلاد وسواحل الروم ما بين الميزاب والركن الشامي موقفهم موقف اهل المدينة ودمشق لكنهم يتياسرون شيئاً يسيرا والجهة شاملة للجميع ان شاء الله تعالى .

(وجهة) الرها والموصل وملطية وسميشاط وسنجار والجزيرة وديار بكر وما كان على سمت ذلك الى القبلة من الركن الشامي الى مصلى آدم عليه السلام .

(وجهة) الكوفة وبغداد وحلوان والقادسية وهمذان والري ونيسابور وخراسان ومرو وخوارزم وبخارى ونسا وفرغانة والشاش وما كان على سمت ذلك ما بين مصلي آدم عليه السلام الى قرب باب الكعبة .

(وجهة) البصرة والاهواز وفارس وكرمان واصبهان وسجستان وشمال بلاد الصين وما على سمت ذلك من باب الكعبة الى الحجر الأسود .

(وجهة) وسط بلاد الصين والهند والمهرجان وكابل والمهديان والتتار والمغل والخدهار وما والاها وما كان على سمتها من الركن الأسود الى دون مصلي النبي صلى الله عليه وسلم .

(وجهة) بلاد الهند وجنوب بلاد الصين واهل التهايم والسد والبحرين وما والاها وكان على سمتها من دون مصلى النبي صلى الله عليه وسلم الى ثلثي هذا الجدار .

(وجهة) اليمن باسره ظفار وحضرموت وصنعاء وعمان وصعدة والشحر وسبا وما والاها وكان على سمتها من دون الركن اليماني بسبعة اذرع الى الركن اليماني .

(وجهة) الحبشة والزنج وزيلع واكثر بلاد السودان وجزائر فرسان وما والاها من البلاد وكان على سمتها من الركن اليماني الى ثلثي الجدار وهو آخر الباب المسدود .

(وجهة) جنوب بلاد البجاة ودهلك وسواكن وبلاد البلين والنوبة الى بلاد التكرور وما وراء ذلك وما على سمته من بلاد السودان وغيرهم الى البحر المحيط من دون الباب المسدود الى ثلثي الجدار .

(وجهة) شمال بلاد البجاة والنوبة واوسط المغرب من جنوب الواحات الى بلاد افريقية واوسط بلاد بربر وبلاد الجريد الى البحر المحيط وهي

جهة جدة وعيذاب وجنوب اسوان من دون الركن الغربي بثلث الجدار الى الركن الغربي . انتهى ما لخص من الدائرة وهذه الجهات المذكورة هي من حيث الجملة ، ومن أراد التحرير في الاستقبال كما ينبغي فليراجع كتب الميقات وما وضع لذلك من الآلات يقف على المراد والله أعلم .

الباب السادس

في فضل مكة زادها الله شرفا وتعظيما وحكم المجاورة بها وذكر شيء مما ورد في ذلك

قال الله تعالى « رب اجعل هذا البلد آمناً » يعني مكة قال النسفي أي اجعل هذا البلد او المكان بلداً آمناً اي ذا امن او آمناً من فيه فهذا مفعول اول وبلدا مفعول ثان وآمناً صفة له . وقال تعالى في سورة ابراهيم أيضاً « رب اجعل هذا البلد آمناً » بصيغة التعريف والمراد مكة والفرق بين هذه وبين مافي البقرة انه سأل في الآية الأولى ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها وفي هذه الآية أن يخرجه من صفة الخوف الى الأمن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمناً كذا في المدارك . وفي تفسير الكواشي انما عرف هنا ونكر في البقرة لأن النكرة اذا عينت تعرفت وقيل دعا مرتين فحكيتا . وقوله . بواد غير ذي زرع هو مكة لأنه لم يكن بها يومئذ ماء ولا حرث فكانت هاجر ترضع اسماعيل وتأكل من التمر وتشرب من الماءاللذين جاءت بهما معها الى أن نفدا وسيأتي الكلام على ذلك في محله في فضائل زمزم مستوفى ان شاء الله تعالى . وقال جل وعلا « وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة » الآية يعني مكة شرفها الله تعالى قال القرطبي ضربها الله مثلا لغيرها من البلاد اي انها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لما كفر أهلها أصابهم القحط فكيف بغيرها من البلاد انتهى . وكانت العرب قد قطعت على قريش وكفار مكة الميرة بأمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وابتلاهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الميتة وكان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون كذا في المعالم . وقيل في تفسير قوله تعالى « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » انه دخان قريش هذا والصحيح انه دخان يأتي من السماء قبل يوم

القيامة يدخل في اسماع الكفرة حتى يكون راس الواحد كالراس الحنيذ.
ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص كذا في المدارك والحنيذ المشوي على حد قوله تعالى فجاء بعجل حنيذ والخصاص الخلل يقال للفرج التي بين الاثافي خصاص كذا في الصحاح وعنه صلى الله عليه وسلم ان اول آيات الساعة الدخان وانه يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين ليلة ، اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فيخرج من منخريه واذنيه ودبره . وقوله كانت آمنة أي من القتل والسبي . وقوله مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمأنينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف ، وقوله يأتيها رزقها رغدا اي واسعا وقوله من كل مكان اي من كل بلد على حد قوله تعالى يجبي اليه ثمرات كل شيء.
ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء وقال تعالى مخاطبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم « انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها » قال المفسرون معناه قل يا محمد انما امرت ان اخص الله تعالى بعبادتي وتوحيدي الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة المشرفة وخصها بالذكر دون غيرها لأنها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها عليه واشار اليها اشارة تعظيم لأنها موطن بيته ومهبط وحيه . ومعنى حرمها يعني جعلها حرما آمنا لا يسفك فيه دم ولا يظلم فيه احد ، وقال تعالى : لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد . وقال تعالى : وهذا البلد الامين المراد مكة لأمن الناس فيها جاهلية واسلاما . ومعنى القسم به في الموضعين التنويه بشأنه والابانة عن شرفه لما انه مكان البيت الذي هو هدي للعالمين ومولد سيد المرسلين ومبعث خاتم النبيين وقال تعالى : وقالوا ان نتبع الهدي معك نتخطف من أرضنا . قال المفسرون المراد مكة وسبب نزولها ان الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان ما تقوله حق ولكن نخشى ان اتبعناك على دينك ان تخرجنا العرب من أرضنا يعني مكة.
وفي الصحيح انه ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة وليس نقب من نقابها إلا وعليه الملائكة صافين يحرسونها . والنقب بفتح النون وضمها وسكون القاف هو الباب وقيل الطريق وجمعه نقاب . وفي رسالة الحسن البصري رضي الله عنه التي كتبها لبعض اخوانه بمكة المشرفة يرغبه في الاقامة بها حين بلغه انه نوى التحول عنها قال عليه السلام خير بلدة على وجه الارض واحبها الى الله عز وجل مكة . وقال صلى الله عليه وسلم: من مات بمكة فكأنما مات في السماء الدنيا . وقال عليه السلام : من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائة عام ، وقال عليه السلام : من مرض يوما واحدا بمكة كتب له من العمل الصالح الذي كان يعمله في غيرها عبادة ستين سنة ، وقال عليه السلام : ما احد يخرج منها

إلا ندم وما من احد يخرج منها ثم يعود إلا ولله عز وجل فيه حاجة . وقال صلى الله عليه وسلم : المقام بمكة سعادة والخروج منها شقاوة ثم ما أعلم اليوم على وجه الأرض بلدة يرفع منها الحسنات وأنواع البر كل واحد منها بمائة الف ما يرفع من مكة ، وما أعلم بلدة على وجه الارض فيها شراب الابرار ومصلي الاخيار غيرها (أقول) قد علمتهما فيما سبق فلا يحتاج الى تكرارهما انتهى . ثم ما أعلم بلدة على وجه الارض يصلى فيها حيث أمر الله نبيه عليه السلام إلا بمكة قال الله تعالى : واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ثم ما أعلم بلدة يصل فيها للانسان عن طاعات الله تعالى ما يصل اليه بمكة. ثم ما أعلم بلدة على وجه الأرض اذا دعا أحد بدعاء امنت الملائكة على دعائه إلا بمكة حول البيت الحرام . ثم ما اعلم بلدة يحشر منها من الأنبياء والصديقين والأبرار والفقهاء والزهاد والعباد والصالحين من الرجال والنساء ما يحشر من مكة ، انهم يحشرون آمنين يوم القيامة من عذاب الله . ثم ما أعلم بلدة ينزل فيها كل يوم من رائحة الجنة وروحها ما ينزل بمكة واياك يا اخي ثم اياك أن تخرج من مكة فلو أنه لم يدخل عليك كل يوم غير فلسين حلالا لكان خيرا الك من الفين في غيرها . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . انتهى ما نقل من الرسالة . وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لولا الهجرة لسكنت مكة اني لم ار السماء بمكان اقرب الى الارض منها بمكة ، ولم يطمئن قلبي ببلد قط ما اطمأن بمكة ، ولم أر القمر بمكان قط احسن منه بمكة اخرجه الأزرقي . ويروي أن قريشا وجدوا في الركن أو الكعبة كتابا بالسريانية فلم يدروا ما فيه حتى قرأه لهم رجل من اليهود فاذا فيه : انا الله ذوبكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء لا تزول حتى يزول اخشباها مبارك لأهلها في الماء واللبن ، وفي رواية أخرى في الماء واللحم .والأخشبان هما جبلان : أبو قبيس والمقابل له ومكة بينهما .

فصل فيما يدل على افضلية مكة على غيرها من البلاد

(اعلم) أن العلماء اجمعوا على أن مكة والمدينة زادهما الله شرفا وتعظيما افضل بقاع الارض ، ويليهما بيت المقدس ، ثم مكة افضل من المدينة عندنا ، وعند الشافعية والحنابلة ووهب وابن حبيب من المالكية وهو قول الجمهور، وروي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ويستدل على ذلك بأمور (منها) ما تقدم من الآيات (ومنها) أن الله تعالى اختار من ولد آدم الأنبياء بجملتهم ثم اختار منهم الرسل ، ثم اختار منهم اولى العزم وفيهم اقوال وهم خمسة على الأكثر ذكرهم الله في سورتي الاحزاب والشورى والمراد

بالعزم الحزم والصبر كذا قاله المفسرون ، ثم اختار منهم خليله وحبيبه ابراهيم ومحمدا صلى الله عليهما وسلم واختار لهما من الأماكن خيرها وأشرفها وهي مكة جعلها الله مناسك لعباده ومشاعر لوفده وقصاده ، وأوجب الاتيان اليها من القرب والبعد ودخولهم اليها متواضعين متخشعين متذللين كاشفين رءوسهم مجردين عن لباس اهل الدنيا فهي خير البلاد واشرفها .

(لطيفة) ان قيل ما الحكمة في تجريد الناس في الاحرام قيل ليعلم أن باب الله جل وعلا على خلاف ابواب الملوك لان العادة جرت أن يتزين الناس باللباس الفاخر اذا قصدوا باب المخلوق فغرق بين بابه وباب غيره (وايضاً) من اهدى الى الملوك ما ليس في خزائنهم يكون أرفع قدرا ، وليس شيء الا وهو في خزائن الله سوى الافتقار اللهم أغنا بالافتقار اليك ، ولا تفقرنا بالاستغناء عنك يارب العالمين . (ومنها) حديث ابي سلمة عن عبدالله بن عدي بن الحمراء الزهري قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته واقفا بالحزورة يقول والله انك لخير أرض الله واحب ارض ارض الله الى الله ولولا اني أخرجت منك ما خرجت. وهو حديث حسن أخرجه اصحاب السنن وصححه جماعة منهم الترمذي، وزاد الامام احمد واقف بالحزورة في سوق مكة ، وقد دخل سوق مكة المذكورة في المسجد بعد ذلك ، وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بالحزورة وقال انك لخير ارض الله، وأحب أرض الله عز وجل ، ولو تركت فيك ما خرجت منك وفي اخرى عنه : والله لقد عرفت انك احب البلاد الى الله واكرمها على الله ، ولولا ان قومي اخرجوني الحديث ، وفي رواية ابن عباس ما سكنت غيرك. قال بعض العلماء الظاهر أن هذه المقالة كانت منه صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية حين سألت قريش النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرج من مكة بعد الثلاثة الايام التي اقامها كما وقع الشرط . ولا يظن احد انه عليه السلام قال ذلك حال خروجه للهجرة الى المدينة لانه لم يكن بهذه الصفة حين هاجر وانما كان خروجه اليها مستخفيا كما هو معلوم لا راكبا على راحلته اذ لو كان كذلك لاشعر بسفره . وفكي تاريخ الأزرقي انه عليه السلام قال ذلك عام الفتح فيحمل على انه قاله مرتين اذ لا تنافي. ويكون فيه من تعظيم مكة مالا يخفي ، والحزورة بحاء مهملة مفتوحة وزاء معجمة وعوام مكة يصحفونها ويقولون عزورة بعين مهملة والحزورة هي الرابية الصغيرة جمعها حزاور ، وان عندها سوق الحناطين بمكة قديماً ، وهي مخففة على وزن قسورة ، والمحدثون يشددون الحزورة

والحديبية . والصواب التخفيف كذا قال الشافعي والدراقطني ،(ومنها) حديث ابن الزبير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة في مسجدي هذا افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة الف صلاة في مسجدي » رواه احمد . قال ابن عبد البر في التمهيد انه ثابت لا يطعن فيه ان مضاعفة الصلاة بالمسجد الحرام على مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بمائة مذهب عامة أهل الأثر انتهى . وذهب الامام مالك وجمهور اصحابه الى تفضيل المدينة ، وهو مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكثير من الصحابة واكثر اهل المدينة ، واستدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم : ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة ، مع قوله عليه السلام : موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها. قال ابن عبد البر هذا استدلال بالخبر في غير ما ورد فيه ولا يقاوم النص الوارد في فضل مكة ثم ساق حديث ابي سلمة عن ابن الحمراء المتقدم ، وقال هذا نص في محل الخلاف فلا ينبغي العدول عنه . واما الحديث المروي : اللهم انك تعلم انهم اخرجوني من احب البلاد الي فأسكني احب البلاد اليك لا يختلف اهل العلم في نكارته ووضعه ،وسئل عنه الامام مالك رضي الله عنه فقال لا يحل لاحد ان ينسب الكذب الباطل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى . قال الطبري : وعلى تقدير صحته فلا دلالة فيه لأن قوله فأسكني في احب البلاد يدل سياقه في العرف على ان المراد به بعد مكة فان الانسان لا يسأل ما اخرج منه فانه قال اخرجوني فأسكني فدل على ارادة غير المخرج منه فتكون مكة مسكوتا عنها انتهى ، واما الحديث الذي فيه المدينة خير من مكة لا يرد لانه ضعيف بل قيل موضوع قال الجد رحمه الله : فان قلت ورد في الصحيحين عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة ، ودعوته صلى الله عليه وسلم مستجابة بلا شك ، وفيهما ايضا ان الملائكة يحرسونها لا يدخلها الطاعون ولا الدجال قلت هذه الأحاديث ونحوها تدل على فضيلة المدينة لا أفضليتها على مكة كما لا يخفي ، وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد ، وفي رواية واشد لا دلالة فيه اما على رواية او اشد فظاهر لوجود الشك ، واما على رواية واشد بدون الف او بها وتكون بمعنى الواو فلان سؤاله عليه السلام حصول اشدية الحب للمدينة بعد وجود المانع من سكناه مكة تسلية عنها لا يلزم منه تفضيل المدينة على مكة بعد استحضار ما تقدم من قوله عليه السلام لقد عرفت انك احب البلاد الى الله واكرمها على الله بشهادة التأمل انتهى.

(فصل)

(واعلم) ان جميع ما سبق من الفضل فيما قدمته محله في غير الموضع الذي ضم اعضاء النبي صلى الله عليه وسلم أما محل قبره فقد نقل القاضي عياض رحمه الله في شرح مسلم الاجماع على انه افضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة وان الخلاف فما سواه ، ولقد احسن وابدع من قال في المعنى :

جزم الجميع بأن خير الأرض ما قد حاط ذات(1) المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت كالنفس حين زكت زكا مأواها

قال بعض المحققين وقياسه ان يقال ان الكعبة الشريفة افضل من سائر بقاع المدينة قطعا ما عدا موضع القبر الشريف .

(تنبيه) روى ابن عبد البر في التمهيد أن المرء يدفن في البقعة التي اخذ منها ترابه عند ما خلق قال شيخ الاسلام ابن حجر وعلى هذا فقد روى الزبير بن بكار أن جبريل أخذ التراب الذي خلق منه النبي صلى الله عليه وسلم من تراب الكعبة فعلى هذا فالبقعة التي ضمت أعضاءه عليه السلام من تراب الكعبة فرجع الفضل المذكور الى مكة ان صح ذلك والله أعلم انتهى . قال بعض العلماء يؤخذ من قولهم المرء يدفن في البقعة التي أخذ منها ترابه افضلية سيدنا ابي بكر وسيدنا عمر على بقية الصحابة لدفنهما بالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم المقتضى لكون طينتهما التي خلقا منها من البقعة التي خلق منها النبي صلى الله عليه وسلم .

(فائدة) قال ابن حزم التفضيل المذكور لمكة ثابت لعرفة أيضاً وان كانت من الحل .

(فصل)

واعلم ان لمكة اسماء كثيرة قد ذكرها الله تعالى في ثمانية مواضع من القرآن العزيز وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى . قال النووي رحمه الله لا يعلم بلد اكثر اسما من مكة والمدينة لكونهما أفضل بقاع الأرض وذلك لكثرة الصفات المقتضية التسمية (فالأول) مما في التنزيل مكة ، وذلك في سورة الفتح في قوله « ببطن مكة » (الثاني) بكة وذلك في سورة آل عمران قوله تعالى « للذي ببكة » واختلف في هذين الاسمين هل هما بمعنى واحد او بمعنيين ، فعن الضحاك ومجاهد أنهما بمعنى واحد

(1) وفي نسخة ضم اعضاء النبي وحواها .

وصححه ابن قتيبة محتجا بأن الباء تبدل من الميم كقولهم ضرب لازم ولازب وسبد راسه وسمده اذا استأصله ، واختلف القائلون بالثاني فقيل بكة بالباء موضع البيت . قاله ابن عباس وابراهيم النخعي ، وقيل ما بين الجبلين قال عكرمة وقيل الكعبة والمسجد قاله الجوهري وزيد بن أسلم واما بالميم فقيل القرية ، وقيل الحرم كله ، وقيل ذي طوى ، وقيل ما حوالي البيت واختلف في اشتقاقها ، فقيل سميت مكة لأنها تمك الجبابرة أي تهلكم وتذهب نخوتهم وانشدوا في معناه :

ياأمكة الفاجر مكي مكا ولا تمكي مذحجاً وعكا

وقيل انها تمكك الفاجر عنها أي تخرجه ، وقيل انها تجهد اهلها مأخوذ من قولهم تمككت العظم اذا اخرجت مخه ، والتمكك الاستقصاء. وقيل لأنها تجذب الناس اليها من قول العرب امتك الفصيل ضرع امه : اذا امتصه ، ولم يبق فيه شيئاً ، وقيل لقلة مائها ، وقيل لأنها تمك الذنوب اي تذهب بها ومكة لا تنصرف للعلمية والتأنيث . واما بكة فقيل سميت بذلك لأنها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها ما قصدها جبار بسوء الا قصمه الله وقيل لازدحام الناس فيها يبك بعضهم بعضا ، اي يزحمه في الطواف قاله ابن عباس ، وقيل لأنها تضع من نخوة المتكبرين (الثالث) البلدة وذلك في سورة النمل (الرابع) البلد ، وذلك في سورة لا اقسم والتين (الخامس) القرية ، وذلك في سورة النحل ، وقد تقدم الكلام على هذه الآيات آنفا مستوفى (السادس) أم القرى في قوله تعالى في سورة الشورى « لتنذر أم القرى » الآية ، وفي تسميتها بذلك اربعة اقوال : أحدها ان الأرض دحيت من تحتها قاله الحبر ابن عباس ، وقال ابن قتيبة لأنها اقدم الأرض ، ثانيها : لأنها قبلة يؤمها الناس ، ثالثها : لأنها اعظم القرى شأناً . رابعها : لأن فيها بيت الله تعالى ، ولما جرت العادة بأن الملك وبلده مقدمان على جميع الأماكن سميت اما لان الأم متقدمة كذا في القرى (السابع) معاد بفتح الميم في قوله تعالى في سورة القصص « ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد » اي مكة كما في صحيح البخاري عن ابن عباس (الثامن) الوادي في قوله تعالى في سورة ابراهيم « بواد غير ذي زرع » المراد به مكة كما تقدم آنفاً في تفسير الكواشي واما ما ذكر من أسماء مكة (في غير القرآن) فكثيرة (من ذلك) تسميتها بالناسة بالنون والسين المهملة المشددة ومعنى ذلك انها تنس من الحد فيها اي تطرده وتنفيه ذكره النووي وغيره ، (ومن ذلك) النساسة بالنون وتشديد السين الأولى والمعنى في ذلك كالمعنى في الناسة ، (ومن ذلك) الحاطمة لحطمها الملحدين ذكره

الأزرقي » , ومن ذلك) صلاح بصاد مهملة مفتوحة وحاء مهملة وسميت بذلك لامنها وقد جاء في قول أبي سفيان بن حرب لابن الحضرمي :

أيا مطـــر هلـم الى صلاح فيكفيك النـدامى من قريش
وتنزل بلدة عـزت قديمـــا وتأمن أن يـزورك رب جيشـ

وهو مبني على الكسر كخدام وقطام وما وازنهما ، وقد تعرف كما في شعر أبي سفيان (ومن) أسمائها (العرش) بعين مهملة مفتوحة وراء مهملة ساكنة ذكره ابن جماعة ، (ومن) أسمائها (العريش) بزيادة ياء مثناة من تحت ذكره ابن جماعة أيضاً وعزاه الى قول ابن سيده (ومن) أسمائها (القادس) نقله الفاسي عن صاحب المطالـع ، وهو مأخوذ من التقديس أي التطهير يعني انها تطهر من الذنوب ، ومن أسمائها (المقدسة) ذكره النووي وغيره والمعنى فيه كما في الذي قبله ، ومن أسمائها (القادسة) ذكره العز بن جماعة ولم يعزه (اقول) ويكون المعنى والله أعلـم الطـاهرة على حد الاسمين المتقدمين لمادة الاشتقاق اللغوي أنتهى ، ومن أسمائها (كوثي) ذكره الازرقي عن مجاهد ونقله السهيلي أيضا في روضته وكذا صاحب المطالع الا انه قال باسم بقعة منها منزل بني عبد الدار وأفـاد الفاسي عن الفاكهي أن كوثي في ناحية قعيقعان وقيل ان كوثي جبـل بمنى وهي بكاف مضمومة وثاء مثلثة . ومن اسمائها (الحرم) بحاء وراء مهملتين ، ومن اسمائها (برة) ومن أسمائها (المسجد الحرام) ومـن اسمائها (المعطشة) ذكر هذه الاربعة العلامة ابن خليل في منسكه فأما برة والمعطشة فلم يعزهما ولم يذكر لهما معنى وفي القرآن العظيم مايشهد لتسميتها بالمسجد الحرام كما نقله المرجاني عن ابـن مسدى (أقـول) ولعله اراد قوله تعالى في سورة الفتح « لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله » الآية فان المراد مكة كما ذكره المفسرون والله الموفق ، ومن أسمائهـا (الرتاج) براء مهملة وتاء مثناة من فوق والف ثم جيم نقله المحب الطبري في شرح التنبيه حسبما ذكره ابن جماعة ، ومن أسمائها (أم رحم) براء مهملة مضمومة كذا حكي عن مجاهد لأن الناس يتراحمون فيها ويتوادعون ومن أسمائها (ام زحم) بزاء معجمة من الازدحام نقله الفاسي عن الرشـاطي رحمهما الله ومن اسمائها (أم صح) ومن أسمائها (ام روح) ذكرهمـا ابن الأثير في كتابه المرصع ، ومن اسمائها (بساق) ذكره ابن رشيق في العمدة مستدلا بشعر لامية ابن حرتاه . وقيل ان بساق بلدة بالحجاز وهو بباء موحدة وسين مهملة والف وقاف . ومن اسمائها (البيت العتيق) ذكره الأزرقي وغيره . قال الفاسي ولعل ذلـك من تسمية الكل باسـم البعض وهو مجاز شائع لكن يرد على ذلك تسمية مكة بأسماء الكعبـة

كلها اذا لحظ هذا المعنى انتهى . (اقول) على هذا يكون لمكة في القرآن عشرة اسماء بل واكثر عند التتبع والتدبير فتأمل والله الموفق . ومن اسمائها (الراس) ذكره النووي والسهيلي وغيرهما والمعنى أنها اشرف الأرض كراس الانسان فانه أشرف أعضائه . ومن اسمائها (المكتان)ذكره الفاسي عن شيخه بالاجازة برهان الدين القيراطي ثم قال : ولعله أخذ ذلك من قول ورقة بن نوفل الأسدي :

ببطن المكتين على رجائي حديثك ان رأى منه خروجا

قال السهيلي بعد ان ذكر هذا البيت ثنى مكة وهي واحدة لأن لها بطاحا وظواهر وانما مقصد العرب في هذه الاشارة الى جانبي كل بلدة او الاشارة الى اعلى البلد واسفلها فيجعلونها اثنين على هذا المعنى انتهى ومن شعر عبدالله بن سعد بن أبي سرح القرشي في حصار عثمان بن عفان رضي الله عنه :

ارى الامر لايزداد إلا تفاقما وانصارنا بالمكتين قليل
واسلمنا اهل المدينة والهوى الى أهل مصر والدليل دليل

ومن أسمائها (النابية) بالنون والموحدة ذكره الشيخ عماد الدين ابن كثير في تفسيره ، ومن أسمائها (أم الرحمة) ، ومن أسمائها (أم كوثي) ذكرهما المرجاني وعزا الأول الى ابن العربي ولم يعز الثاني ولم يذكر له معنى . ومن أسمائها (الباسة) بالباء الموحدة والسين المهملة لأنها تبس الملحد فيها أي تهلكه من قوله تعالى وبست الجبال بسا ، ومن أسمائها (النساسة) لأنها تنس الملحد اي تطرده وقيل لقلة مائها والنس اليبس ذكرهما ابن جماعة ، ومن أسمائها (الناشة) بالنون والشين المعجمة (والبساسة) بموحدة وسينين مهملتين بينهما الف والمعنى فيه ظاهر (وطيبة) لطيبها (وسبوحة والسلام والعذراء ونادرة والعرش) بضم العين والراء المهملتين بعدهما شين معجمة (والعرويش) بزيادة واو (والحرمة) بضم الحاء المهملة (والحرمة) بكسرها (والعروض والسيل ومخرج صدق وقرية الحمس وأم راحم) والمعنى ما تقدم في ام رحم (وقرية النمل ونقرة الغراب) والحمس قريش فهذه ثمانية عشر اسما ذكرها العلامة مجدالدين الشيرازي مع ذكر غيرها ايضاً مما تقدم ومما سيأتي مما ذكره غيره ومن اراد الوقوف على اشتقاق كل اسم مع ذكر شواهده وفوائده فليراجع شرح صحيح البخاري للقاضي مجدالدين المذكوران وجده قال الفاسي رحمه الله قلت قرية النمل ونقرة الغراب علامتان لموضع زمزم حين امر عبد المطلب بحفرها وعدهما بعضهم اسمين

مجازا فان كان شيخنا مجدالدين لحظ كونهما أسمين لزمزم وسمى بهما مكة من باب تسمية الكل باسم البعض وهو مجاز شائع فيصح على هذا أن يذكر في أسماء مكة الصفا والمروة والحزورة وغير ذلك من المواضع المشهورة بمكة وقوله وقرية الحمس ان كان لحظ في تسميته مكة بذلك أن الحمس كانوا سكان مكة فيصح على هذا أن يذكر في أسماء مكة قرية العمالقة وقرية جرهم لكونهم كانوا سكان مكة قبل الحمس اللهم إلا أن تكون تسيمة مكة بقرية النمل ونقرة الغراب وقرية الحمس منقولة عن أهل اللغة فلا يقاس عليه غيره والله أعلم انتهى ما قاله الفاسي . (أقول) وهو كلام عظيم وبحث عظيم مستقيم لكن في تسميته مكة بقرية الحمس الذين هم قريش دون من ذكر من العمالقة وجرهم وغيرهم من سكانها قبلهم أو في دليل على فضل قريش ومزيد شرفهم وذلك لتميزهم بكونهم أهل الله وتسميتهم بذلك وهم في حال الشرك لما ورد في حقهم من الآيات والأحاديث والأخبار التي ستقف عليها فيما سيأتي مفصلا في محله ان شاء الله تعالى وكيف ومنهم سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم انتهى، ومن أسماء مكة أيضاً (البنية وفادان) ذكرهما ياقوت الحموي وقد نظم القاضي أبو البقاء بن الضياء الحنفي رحمه الله سبعة أبيات جمع فيها من أسماء مكة نحو ثلاثين اسما وهي :

لمكة أسماء ثلاثون عددت ... ومن بعد ذاك اثنان منها اسم بكة
صلاح وكوثي والحرام وقادس ... وحاطمة البلد العريش بقرية
ومعطشة أم القرى رحم ناسة ... ونساسة راس بفتح لهمزة
مقدسة والقادسية ناشة ... وراس وتاج أم كوثي كبرة
سبوحة عرش أم رحمن عرشنا ... كذا حرم البلد الأمين كبلدة
كذاك اسمها البلد الحرام لأمنها ... وبالمسجد الاسنى الحرام تسمت
وما كثرة الأسماء إلا لفضلها ... حباها به الرحمن من أجل كعبة

وما أحسن ما انشده بعض العلماء على لسان حال النبي صلى الله عليه وسلم في مكة شرفها الله تعالى :

أحب بلاد الله ما بين منعج ... الي وسلمى أن تصوب سحابها
بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي ... واول ارض مس جلدي ترابها

ولبعضهم من قصيدة طويلة في المفاخرة بين مكة والمدينة :

لمكة مجد باذخ الركن والقنن ... وفضل منيف باسق الدوح والفنن
ومكة فيها كعبة الحسن كله ... وزينها في خدها خالها الحسن
ومكة للمختار مسقط راسه ... وكان له فيها احتضان لمن حضن

وفي مكة منشا ابيـــــه وجـده　　واعمامه والأصل والفرع والشجن
وفي مكة وافـاه جبريـــل اولا　　وكلمه بالوحي في الســر والعلن
وفي مكـة كانت مبـادي كلامه　　وانزاله القرآن والخير في قرن
وفي مكة ابدى الهدى نور وجهه　　وكانت بها من قبل بشرى ابن ذي يزن
وفي مكـة اسرى بـه الله ربـــه　　وطاف به السبع السموات في سنن
وفي مكـة فتح مبيـن تنزلـت　　به سورة بانت بفضل لهـا ابـن
وفي مكـة كانت ولادة نسلـــه　　وما انجبت منه خديجة في الحجن
وفي مكة موطي الخليــل وداره　　وزمزمه والحجر والمنزل الاغـن

وهي طويلة وهذا بعض منها يستدل به على المراد .

(فائدة) إذا كتب بدم المرعوف على جبينه مكة وسط الدنيا والله رءوف بالعباد انقطع الدم .

(ومن خصائص مكة شرفها الله تعالى) أن من واظب فيهـا على اكل اللحم وشرب الماء فقط لم يضر ذلك باطنه وفي غيرها يحصل منـه الضرر اخرجه الأزرقي .

(فرع) اختلف العلماء في المجاورة بمكة المشرفة فذهب امامنـا ابو حنيفة رضي الله عنه وطائفة من العلماء منهم ابن رشـد من المالكيـة والقاضي أبو الطيب من الشافعية الى كراهـة المقام بها لأسباب ثلاثـة (احدها) خوف التقصير في حرمتها والتبرم اذ ملازمة المكان تفضي الى قلة المهابة والتعظيم ولذلك كان عمر رضي الله عنه يأمر الحاج بالرجـوع الى أوطانهم (الثاني) تهيج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعيـة العود كمـا قال بعض العلماء لأن تكون في بلد وقلبك مشتاق الى مكة خير لك من أن تكون فيها وانت متبرم بالمقام وقلبك في بلد آخر (الثالث) الخـوف من ارتكاب الخطايا بها فان ذلك محظور كبير ومع ذلك فلا يظن احد أن كراهة المقـام بمكـة يناقض فضـل الكعبـة لأن هـــذه كراهـــة سببها ضعف الخلق عن القيـام بحقوق الله تعـالى كـذا قاله الغزالي ، وعـن عمـر رضي الله عنـه انـه قال لخطيئة اصيبها بمكـة اعز علي من سبعين خطيئة بغيرها وذهب الشافعي وأحمد وغيرهما من العلماء منهم ابو يوسـف ومحمد من اصحابنا وابن القاسم من المالكية الى استحباب المجاورة بها لما يحصل فيها من الطاعات التي لا تحصل في غيرها وتضعيف الصلوات والحسنات وغير ذلك والفتوى عندنا على قول الصاحبين كما صرح به الفارسي في منسكه عن المبسوط والدليل على الاستحباب ما تقدم مـن حديث أبي الحمراء وقول عائشة فلا نعيده .

(فائدة) قال ابن الجوزي في مثير العزم بلغ عدة من استوطن مكة من الصحابة اربعة وخمسين رجلا ومن التابعين جماعة كثيرة وقد جاور بها عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم .

(تنبيهان : الاول) ما تقدم من الكلام محله في المجاورة فقط من غير سكنى ، واما السكنى والانقطاع فهو بالمدينة افضل ويشهد له ما ثبت من حديث ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لايصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعاً وشهيدا يوم القيامة ، وفي الصحيحين اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة واشد ، وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها الى الجحفة . وهي رابغ ولم يرد في سكنى مكة شيء من ذلك بل كرهه جماعة من العلماء كما سبق (الثاني) روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من مات بالمدينة كنت له شفيعاً يوم القيامة ، وفي الترمذي من حديث عمر مرفوعا من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها . فالموت حينئذ بالمدينة الشريفة افضل من الموت بمكة لهذه الأحاديث ولانه من لازم افضلية السكنى بها على السكنى بمكة المشرفة ، وان كان قد ورد مايقتضي أن الموت بمكة فيه فضل عظيم كذا في منسك الجد نور الله ضريحه ، والله تعالى أعلم .

الباب السابع

(في فضل الحرم وحرمته والمسجد الحرام)

وزيادة الثواب للعامل فيه على غيره وتضعيفه

وذكر شيء من خبر عمارته وتوسعته

قال الله تعالى : «أولم نمكن لهم حرما آمناً» الآية ، وقد تقدم الكلام على أول هذه الآية في الباب الخامس .

(لطيفة) قال النسفي واسناد الأمن المذكور الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز ، وقال الله تعالى : «أولم يروا . يعني أهل مكة انا جعلنا حرما آمناً» الآية . (واعلم) ان حرم مكة المذكور هو ما أحاط بها من جوانبها ،وقد جعل الله حكمه حكم مكة تشريفا لها ، (وفي سبب) كون هذا القدر المخصوص

حرما . اقوال : فقيل ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الأرض خاف على نفسه من سكان الأرض ، وهم يومئذ الجن والشياطين فبعث الله ملائكة يحرسونه فوقفوا في موضع انصاب الحرم من كل جانب ، فصار ما بينه وبين موقف الملائكة حرما ، وقيل ان الحجر الأسود لما وضعه الخليل عليه السلام في الكعبة حين بناها أضاء يميناً وشمالا وشرقا وغربا فحرم الله عز وجل من حيث انتهى النور وقيل اهبط الله البيت الى آدم ، وهو من ياقوتة حمراء تلتهب التهابا ، وله بابان شرقي وغربي فأضاء نوره مابين المشرق والمغرب ففزع لذلك سكان الأرض ورقوا في الجو ينظرون من اين ذلك النور ، فلما رأوه من مكة أقبلوا اليه فأرسل الله حينئذ الملائكة فقاموا في مكان الأنصاب فمنعتهم فمن ثم ابتدأ اسم الحرم ، وقيل غير ذلك (وأول) من نصب أنصاب الحرم ابراهيم الخليل بتوقيف جبريل عليه السلام ثم جددها قصي بن كلاب بعد ذلك ، وقيل بل جددها اسماعيل عليه السلام بعد ابيه ثم قصي بعده وقيل ان أول من نصبها عدنان بن أدحين خاف ان يدرس الحرم ثم نزعتها قريش بعد ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم اذ ذاك بمكة قبل هجرته فاشتد ذلك عليه فجاءه جبريل عليه السلام واخبره انهم سيعيدونها فرأى عدة من قريش في المنام كأن قائلا يقول حرم اعزكم الله به ومنعكم نزعتم أنصابه الآن تتخطفكم العرب فأعادوها فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فقال له عليه السلام هل اصابوا في ذلك ، فقال جبريل عليه السلام : ماوضعوا نصباً الا بيد ملك ثم جددت عام الفتح بأمره صلى الله عليه وسلم وجددت أيضاً في زمن عمر وعثمان ومعاوية وعبد الملك بن مروان والمهدي العباسي واختلف العلماء في مكة وحرمها هل صار آمناً بسؤال الخليل عليه السلام ام كان ذلك منذ خلق الله السموات والأرض الصحيح الثاني ويشهد له ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال : ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض وانه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي . ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله تعالى الى يوم القيامة لايعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يختلي خلاه الى آخر ما قاله صلى الله عليه وسلم فقال العباس يا رسول الله إلا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال إلا الاذخر متفق عليه وورد في لفظ في الصحيحين ولا يعضد شجرها يعني مكة والمراد الحرم (سؤال) ان قيل قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة فهذا تصريح بتحريم الخليل عليه السلام أجيب عنه بأن ابراهيم عليه السلام انما اظهر حكم التحريم بعد أن كان مهجورا وسببه ان الطوفان

لما وقع اندرس البيت الشريف ونسي ذلك الحكم وهجر والذي تجدد بسؤال ابراهيم هو أن يجعله آمناً من الجدب والقحط وأن يرزق أهله من الثمرات . والعضد فيما تقدم القطع والمراد من تنفير صيده أن لا يصاح عليه فينفر (اقول) إذا كان المراد من التنفير ماذكر فمن باب أولى أن لا يضرب بعصا وحجر ونحوهما كما يفعله كثير من الناس لتأذيه بذلك أكثر ويستفاد من ذكر الصيد العموم سواء كان من الحمام القاطن بمكة أو من غيره مما يدخل من الحل اليها لأنه بالدخول استفاد الأمن كما صرح بـه علماؤنا في فروعهم انتهى وعن عكرمة تنفير الصيد ان تنحية من الظل وتنزل مكانه . والخلا بفتح الخاء والقصر الحشيش إذا كان رطباً فاذا يبس فهو حشيش وهشيم ، والاختلاء القطع أيضاً ، والاذخرنبت طيب الريح معروف عند أهل مكة وفي حكم الاذخرالسنا ونحوه مما يحتاج اليه (اقول) لقائل أن يقول هذا إذا كان ما يحتاج اليه من الاذخر ونحوه لا ينبت إلا في الحرم فقط وأما إذا نبت فيه وفي الحل فينبغي أن يترك مافي الحرم ويؤخذ مما في الحل امتثالا للحديث وعملا بمقتضاه وان كان في ذلك مشقة لأنه حينئذ يكون أخذا بالعزيمة والاستثناء في الحديث للرخصة انتهى . والقين الحداد لأنه يحتاج اليه في عمل النار واحتياج البيوت لاجل السقوف واستثناؤه صلى الله عليه وسلم على الفور تمسك به من الأصوليين من يقول بجواز الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم أو تفويض الحكم اليه ثم قيل ان السبب في سؤال العباس رضي الله عنه كونه من أهل مكة وقد علم أنه لا بد لهم منه (اقول) غير العباس من قريش من أهل مكة أيضاً ولم يسأل فاما لكونه لم يعلم أنهم لم يستغنوا عنه أو يكون ترك ذلك تأدبا مع العباس لمكانته وفضله وقربه منه صلى الله عليه وسلم فتأمل انتهى : قال شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله في فتح الباري ناقلا عن ابن التين والحق أن سؤال العباس كان على وجه الضراعة وترخيص النبي صلى الله عليه وسلم كان تبليغاً عن الله اما بطريق الوحي أو الالهام ومن ادعى أن نزول الوحي يحتاج الى امد متسع فقد وهم انتهى .

(فصل)

واعلم أن لهذا الحرم الشريف فضائل كثيرة وخصائص حميدة شهيرة تدل على شرفة وفضله وخيره ويمتاز بها على كثير من البلاد غيره .

(فمن فضائله) ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كانت الأنبياء عليهم السلام يدخلون الحرم مشاة حفاة وعنه أيضاً أنه قال حج

الحواريون فلما بلغوا الحرم مشوا تعظيما له . وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لما عقر ثمود الناقة واخذتهم الصيحة لم يبق منهم أحد إلا رجلا واحدا كان في حرم الله عز وجل فمنعه الحرم فقالوا من هو يارسول الله فقال ابو رغال ابو ثقيف فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه رواه مسلم ورغال بالغين المعجمة وقوله ابو ثقيف يعني جدهم ، ونقل الزمخشري أن النبي صالحا عليه السلام وجه ابا رغال على صدقات فاساء السيرة فقتله ثقيف وهو الذي يرجم قبره بمكة ، وقيل انه دليل أبرهة الى البيت انتهى : ويقال ان قبره بالمغمس باق الى الآن والله أعلم . وروي أنه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة إذا اراد قضاء حاجته يخرج الى المغمس ونقل عن الشيخ ابي عمرو الزجاجي أحد مشايخ الصوفية المشهورين أنه أقام اربعين سنة بمكة لم يبل ولم يتغوط في الحرم ، وأما خصائص الحرم المطهر فتجل عن الحصر (ومنها) أنه لا يدخله أحد إلا باحرام وهل ذلك واجب أو مستحب فيه خلاف بين الأئمة رضي الله عنهم والوجوب مذهبنا (ومنها) تحريم صيده على جميع الناس سواء في ذلك أهل الحرم وغيرهم وسواء المحرم منهم والحلال بل يجب عندنا إرسال صيد الحل إذا دخل الحرم لاستفادته الأمن بدخوله وان ذبح حرم اكله (ومنها) تحريم قطع شجره وحشيشه كما تقدم في خطبة الفتح (ومنها) أن من دان بغير دين الاسلام منع من دخوله مقيما كان أو مارا كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى وجمهور الفقهاء ماعدا امامنا ابا حنيفة رضي الله عنه ورحمه فانه جوز ذلك لمن لم يستوطن (ومنها) أن لقطته لاتحل لتملك وانما تحل لمنشد وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه وارضاه وعند الأئمة الثلاثة أن حكم لقطة الحرم كغيره من البلاد والمذهب عندنا أنها تحل للمعرف بعد سنة والمراد بالمنشد عندنا المعرف وعند الشافعي المالك (ومنها) تحريم دفن المشرك فيه ولو دفن ينبش مالم يعلم تفسخه (ومنها) تغليظ الديه بالقتل فيه بزيادة ثلثها سواء كان القتل عمدا أو خطأ عند الشافعية والحنابلة كما نقله ابن جماعة في منسكه قال الفاسي وفيما نقله عن الشافعية نظر لأن الصحيح عندهم أن التغليظ باعتبار التثليث بأن يكون ثلاثين حقة وثلاثين جذعة واربعين خلفة وهذا لا يفهم مما نقله ابن جماعة والله اعلم (ومنها) تحريم اخراج احجاره وترابه الى الحل سواء قل او كثر كما هو مذهب الشافعي وعندنا انما يحرم اخراج الكثير من ذلك المؤدي الى التخريب وأما إخراج القدر اليسير للتبرك فلا بأس به ويكره إدخال ذلك من الحل اليه لئلا يحدث لها حرمة لم تكن له (ومنها) أن ذبح دماء الهدايا والجبرانات مختص به ولا يجوز في غيره (ومنها) أن المتمتع

والقارن إذا كانا من أهله لادم عليهما عند مالك والشافعي واكثر العلماء لكونهما من حاضري المسجد الحرام وهذا بناء على جواز ذلك من أهل الحرم خلافا لمذهبنا (ومنها) ان الصلاة النافلة التي لا سبب لها لا تكره في وقت من الأوقات سواء في ذلك مكة وسائر الحرم بخلاف خارج الحرم فانها هناك مكروهة وهو مذهب الشافعي وخالف أصحابنا في ذلك واطلقوا الكراهة واستدل الشافعي رحمه الله بما رواه جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدا يصلي عند هذا البيت اية ساعة شاء من ليل او نهار اخرجه الدارقطني وجوز البيهقي في المراد بالصلاة احتمالين احدهما ان يكون المراد بالصلاة صلاة الطواف خاصة قال وهو الأشبه بالآثار والاحتمال الآخر ان يكون المراد جميع الصلوات قال ابن جماعة ولفظ حديث الدارقطني يرد الاحتمال الأول الذي ذكره البيهقي وفيه بعد ومنع بعضهم الاستدلال بهذا الحديث لعموم النهى كما هو مذهبنا . ومذهب المالكية والله أعلم انه أشبه بالآثار وتأول بعضهم الصلاة على الدعاء (ومنها) أن الانسان إذا نذر قصده لزمه الذهاب اليه بحج او عمرة كما هو مذهب الشافعي والامامين ابي يوسف ومحمد من أصحابنا بخلاف غيره من المساجد فانه لا يجب الذهاب اليه إذا نذره إلا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى على الأصح عند النووي وفيه خلاف بين العلماء (ومنها) تضعيف الأجر في الصلاة بمكة وكذا سائر الحرم كما رجحه جماعة من اهل العلم وحكم سائر أنواع الطاعات في التضعيف حكم الصلاة وستقف عليه قريباً ان شاء الله تعالى (ومنها) إذا نذر أن ينحر بمكة لزمه النحر بها والتصدق باللحم على مساكين الحرم فقط عند الشافعي وعندنا يجوز على غيرهم ايضاً وقد تقدم ولو نذر ذلك في بلد آخر لم يصح نذره على الراجح (ومنها) تضاعف السيئة به كما نقله المحب الطبري في القرى عن مجاهد وأحمد بن حنبل وكذلك نقل عن غيرهما من العلماء والصحيح من مذاهب العلماء أن السيئة بالحرم كغيره (ومنها) أن المقيم بالحرم لا يجوز له إحرام الحج إلا منه (ومنها) أن المستحب لأهل مكة أن يصلوا العيد في المسجد الحرام لا في الصحراء بخلاف غيرهم وذلك لفضيلة البقعة ومشاهدة الكعبة وذهب جماعة من العلماء منهم الغزالي الى ان حكم المسجد الأقصى في ذلك كمسجد مكة ومال النووي الى خلاف ذلك قال لم يتعرض الجمهور له وظاهر إطلاقهم انه كغيره (ومنها) ان الانسان يؤاخذ بهمه بالسيئة بالحرم وان كان بعيدا عنه كما يروى من حديث عبد الله بن مسعود في قوله عز وجل ومن يرد فيه بالحاد الآية انه قال لو أن رجلا هم فيه بالحاد وهو بعدن أبين لأذاقه الله عز وجل عذابا اليما .ووجه اختصاص الحرم بهذا الحكم أن غيره من البلاد إذا هم الانسان فيه بسيئة

لا يؤاخذ بها إلا إذا عملها كما هو موجب حديث ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل في كتابة الحسنات والسيئات وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة وهذا الحديث في الصحيحين وظاهره يقتضي عموم البلاد في حق هذا الحكم فيدخل الحـرم في ذلك لكن حديث ابن مسعود المتقدم آنفاً يخص الحرم والله أعلم (ومنها) وجوب قصده في كل سنة على طائفة من الناس لاقامة فريضة الحج (ومنها) اختصاص حمام مكة في الجزاء بشاة من غير حكم إذا أصيب في الحرم كما هو مذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى (ومنها) أن الجارح يتبع الصيد فاذا دخل الحرم تركه كذا نقله ابن الحاج عن بعض المفسرين (ومنها) ان أهل الحرم لايقاتلون إذا بغوا فيه عند بعض العلماء لكن يضيق عليهم حتى يكفوا عن ذلك وقال القفال من الشافعية انه يمتنع أيضاً قتال الكفـار بالحرم إذا تحصنوا فيه وهو مقتضى مذهب مالك رحمه الله نص عليه ابن الحـاجب في مختصره وذهب أكثر العلماء الى جواز قتال الكفار والبغاة بمكة تقديماً لحق الله تعالى كما صححه النووي . واجابوا عن الأحـاديث الصحيحة الواردة في تحريم القتال بمكة بأن معناها تحريم نصب القتال عليهم بما يعم كالمنجنيق وشبهه إذا أمكن إصلاح الحال بدون ذلـك بخلاف ما إذا تحصن كفار في بلد آخر فانه يجوز قتالهم على كل وجه بكل شيء وذكر أن الشافعي رحمه الله نص على هذا التأويل (ومنها) عند إمامنا ابي حنيفة أن القاتل عمدا والزاني المحصن والحربي الذي بغير امان إذا لجأوا الى الحرم لا يقتل الأول والثالث ولا يقام الحد على الثاني ماداموا في الحرم بل يضيق عليهم حتى يخرجوا منه ويستوفي من كل ما وجب عليـه وهـذا إحدى الروايتين عن الامام احمد ومذهب مالك والشافعي ان الحرم لا يمنع من استيفاء القصاص والحد (ومنها) على ماقال ابن الصلاح من الشافعية لايجوز اخذ شيء من مساويك الحرم وذكر ابن الحاج من المالكية انه يجوز (ومنها) أن المستنجي بحجارة الحرم مسيء ويجزئه ذلك قاله الماوردي (ومنها) انه لا يحل حمل السلاح بالحرم لغير ضرورة عند مالك والشافعي لما رواه جابر في الصحيحين (ومنها) أن الله تبارك وتعالى أوجب على أهلها التوسعة على الحجيج إذا قدموا مكة وان لا يأخذوا منهم اجرا على نزولهم في مساكنها كما هو مفهوم كلام ابن عساكر في فضل منى وفي كلام السهيلي مايقويه أيضاً (ومنها) أنه يمتنع على المهاجر منها الاقامة بها الا ثلاثة أيام بعد الصدر كما هو معني ما رواه ابن الحضرمي عن النبي صلى الله عليه وسلم (ومنها) ان الطاعون والدجال لا يدخلان الحرم ولا المدينة الشريفة كما ذكره الحافظ

عمر بن شبة في اخبار مكة واستدل بحديث ورد في ذلك نقله العلامة ابن حجر في فتح الباري . وذكر أن رجاله رجال الصحيح ثم قال وعلى هذا فالذي نقل انه وجد في سنة تسع وأربعين وسبعمائة ليس كما ظن من نقل ذلك أو يجاب ان تحقق ذلك بجواب القرطبي وهو أن لا يدخلها من الطاعون مثل الذي في غيرها كطاعون عمواس والجارف وهو جواب صالح على تقدير التنزل ان لو وقع شيء من ذلك بها انتهى . (ومنها) ان سيل الحل لا يدخل الحرم وانما يخرج من الحرم الى الحل واذا انتهى سيل الحل الى الحرم وقف (ومنها) أيضا خصال خمس تتعلق بمنى (الأولى) ان حصى الجمار على كثرته وتزايده في كل عام يمتحق ويرى على قدر واحد وقد ورد ان ما تقبل رفع ولولا ذلك لصار ركاما (الثانية) أن اللحوم في أيام منى تشرق وتوضع على الجدران وعلى صخرات الجبال وأسطحة البيوت وهي محروسة بحراسة الله تعالى من خطف الطيور وقد شوهد ان الحداة اذا رات شيئاً أحمر بيد إنسان أو على رأسه انقضت عليه لكي تخطفه وهي تحوم على تلك اللحوم لا تستطيع ان ترزأ منها شيئاً . وقيل انما سميت أيام التشريق لهذا المعنى (الثالثة) أن الذباب في أيام منى لا يقع على الطعام بل يؤكل العسل ونحوه فلا يقع فيه بل قل أن يحوم عليه هذا مع كثرة العفونات الجالبة لكثرة الذباب فاذا انقضت تلك الأيام تهافت الذباب على ذلك حتى لا يطيب للطاعم طعام وفي ذلك عبرة (الرابعة) اتساعها للحجيج . روى أبو الدرداء رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله ان أمر منى لعجيب هي ضيقة فاذا نزلها الناس اتسعت فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انما مثل منى كالرحم اذا حملت وسعها الله تعالى (الخامس) أن البعوض تكون كثيرة بمنى في طول السنة الا في أيام الموسم فانها تقل فيها جدا ذكره أبو سعيد في الوفا (أقول) بل لعل البعوض لا يوجد في أيام الموسم بمنى وان وجد القليل منه فلا يؤذي وقد جربت ذلك والله الموفق .

(فصل)

وأما المسجد الحرام فاعلم ان له أربعة استعمالات (أحدها) نفس الكعبة لقوله تعالى : «فول وجهك شطر المسجد الحرام» (الثاني) الكعبة وما حولها من المسجد قال النووي وهو الغالب واستدل له بقوله تعالى: سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام . إذ المراد به نفس المسجد في قول انس بن مالك رضي الله عنه ورجحه الطبري وفي الصحيح ما يقويه وعليه فهل كان الاسراء من الحجر او من الحطيم قولان . وقيل اسرى به

من بيت أم هانيء . وقيل من شعب أبي طالب فيكون المراد على هـذا في هذه الآية مكة كما في القول الآتي قال ابن المنير وهذه الآية لا تنافي شيئاً من هذه الروايات الأربع لأن المسجد الحرام مكة بل الحرم بجملته وهـذه البقاع كلها داخلة في اللفظ انتهى (الثالث) جميع مكة لقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام . قال ابن عطية واعظم القصد هنا مكة (الرابع) جميع الحرم الذي يحرم صيده ومنه قوله تعالى إلا الذين عاهدتـم من المشركين عنـد المسجد الحرام وعهدهم انما كان بالحديبية وهي من الحرم وكذا قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام قال ابن عباس انه جميع الحرم . قال الماوردي حيث ذكر الله المسجد الحرام في كتابه فالمراد به الحرم إلا في قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام فان المراد به الكعبة شرفها الله تعالى .

(استطراد مفيـد)

(في الكلام على تعيين ليلة الاسراء ويومها الذي اسفرت عنه ومكانه من العشر ومكان العشر من الشهر ومكان الشهـر من السنة ومكانها من السنين لأن الشيء بالشيء يذكـر وحيث ذكرت آية الاسراء رايت ان اذكر ما يتعلق بتاريخ الاسراء لما فيه من زيادة الفائدة مع بيان ما هو المعتمد والمرجح فاقول

فاعلم أن للعلماء في تعيين ليلة الاسراء اقوالا كثيرة فقيل انه كان ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسـنة قاله ابراهيـم الحربي ورجحه ابن المنير كما ستقف عليه قريباً . وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل بعد بخمسة عشر شهرا . وقال ابن اسحاق اسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة والقبائل . وقيل ليلة سبع وعشريـن في رجب قاله الغزالي في الاحياء . وقال الحافظ مغلطاي بعـد ذكر مقالة الحربي . وقيل في رجب اجمالا من غير تعيين وقيل غير ذلك . وفي مسلم من طريق شريك انه قبل أن يوحى اليه . قال العلامة المحقق المجتهد ناصر الدين أحمد بن المنير المالكي رحمه الله : ولا يصح هذا بوجه إلا على القول بأنه منام كما وقع لعائشة رضي الله عنها انها قالت انه كان بالمدينـة بعد

الهجرة وانه منام واصحئها عندي ما قاله ابراهيم الحربي وقال ورجع القاضي عياض قول من قال انه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحاق على القول بأنه قبل الهجرة بسنة وضعف هذا القول بأن خديجة صلت معه قبل أن تموت بلا خلاف بين أهل السير مضافا الى أن خديجة رضي الله عنها ماتت قبل الهجرة بمدة اقل ما قيل فيها ثلاث سنين ومضافا الى أن الصلاة لم تفرض إلا في الاسراء . وهذا عندي لا يلزم منه تخطئة القول بأنه قبل الهجرة بسنة لأن الصلاة التي صلتها خديجة معه صلى الله عليه وسلم هي التي كان يصليها عليه السلام قبل الاسراء غير محدودة ولا معدودة بعدد المكتوبات المستقرة ألا ترى أن مسلما ذكر في حديث ابن حماد أنه عليه السلام صلى ببيت المقدس ركعتين قبل أن يعرج الى السماء فدل ان الصلاة كانت مشروعة في الجملة وقد كان قيام الليل واجباً عليه صلى الله عليه وسلم باتفاق بل كانت الصلاة مشروعة في الملل السالفة لكن على غير هذا التحديد فظهر أن لا حجة في ذلك على القائل بما اخترناه ثم الحجة لنا في ترجيحه أن كل قول سواه خرج مخرج التقدير لا التحديد لأنه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم واما قول الحربي فانه عين فيه الليلة بعينها من الشهر بعينه من السنة بعينها كما تقدم وإذا تعارض خبران احدهما احاط رواية بتفصيل في القضية زائد على الاجمال الذي في غيره فالمحيط علما بالتفصيل احضر ذهناً واوعى قلباً من الآخر . فان قلت هل يمكن تعيين اليوم الذي أسفرت عنه تلك الليلة بعينه من ايام الجمعة قلت يمكن ذلك بعون الله ويكون يوم الاثنين ان شاء الله تعالى وذلك انني استقر أنه من تاريخ الهجرة واصح قول فيها انها كانت يوم الاثنين وثاني عشر شهر ربيع الأول اعني وصوله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قيل ضحى وقيل عند استواء الشمس وإذا كان الثاني عشر من الشهر الاثنين كان أوله الخميس قطعاً وإذا كان أوله الخميس كان أول شهر ربيع الأول من السنة التي فيها الاسراء اما السبت او الأحد او الاثنين لأن بين كل يومين متقابلين من سنتين متواليتين اما ثلاثة او اربعة أو خمسة ولهذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من الوقفة التي قبلها او رابعة او سادسة واعدل الاحتمالات الخامس فالجمعة تعقبها الثلاثاء والاثنين تعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب توالي التمامات في الشهور او النقصانات فبني من هذه الاحتمالات الثلاثة على الأقل فيكون اول ربيع الأول من سنة الاسراء الاثنين ويكون اول ربيع الآخر وهو شهر الاسراء والأربعاء لانا فرضنا ربيعا الأول تاما وإذا كان أول شهر الاسراء كان السابع والعشرين منه يوم الاثنين وهو يوم الاثنين ان شاء الله تعالى الذي اسفرت عنه ليلة الاسراء . وانما رجحنا تمام الشهر ليوافق كون المولد يوم الاثنين وكون المبعث يوم

الاثنين وكون الهجرة يوم الاثنين وكون الوفاة كذلك فـان هـذه اطـوار الانتقالات النبوية وجودا ونبوة وهجرة ومعراجاً ووفاة فهذه خمسة اطوار اتفقوا على اربعة منها انها يوم الاثنين فيقرب جدا ان يكون الخامس اسوتها ويكون هذا اليوم في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة في حق آدم عليه السلام فيه خلق وفيه نزل الى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وهذا نظر صحيح لا يحتاج إلا توفيقاً من القائل وانصافا من السامع . وقد ثلج به الصدر ان شاء الله تعالى . ويجوز ان تبني أيضاً ان بين اليومين اربعة فيكون اول شهر ربيع الأول من سنة الاسراء الأحد واول شهر ربيع الآخر الثلاثاء فيكون السابع والعشرون منه الأحد فوقع الاسراء في الليلة التي بين الأحد والاثنين على القول بأن الليلة تتبع اليوم الذي قبلها فيصح انها الليلة التي كان يسفر صباحها عن يوم الاثنين فاستقر على الاحتمالين تعلق الاسراء بيوم الاثنين . ويدل على أن الليلة تتبع اليوم الذي قبلها أن ليلة عرفة هي التي بعد يوم عرفة ولهذا يجزىء الوقوف فيهـا الى طلوع الفجـر ولا يجزىء في الليلة التي قبلها بالاجماع وقـد ورد أن الاسراء كان ليلة الجمعة وهذا نقل محض يطلب فيه الصحة ولم يعضد بأصول تقربه من الحق بخلاف ما قدمناه فقد بينا الأصول التي تقتضيـه نقلا واستنباطاً وامكن عندي على القول الذي اخترناه أن يكون ليلة الجمعة وذلك بأن نفرض بين اليومين المتقابلين خمسة ايام فيكون الثاني سادس الأول . وقد اتفق هذا العام أن كانت الوقفة الأربعاء والوقفة التي قبلها الجمعة فجاءت هذه سادس تلك وانما قلنا انها ليلة الجمعة على هذا التقدير لأنه قد استقران ربيعاً الأول سنة الهجرة كان أوله الخميس ونفرضه ناقصاً ليكون ربيع الآخر من سنة الهجرة الجمعة فيكون اول ربيع الآخر من السنة التي قبلها وهي سنة الاسراء الأحد فيكون السابع والعشرين منه الجمعة وهي ليلـة الاسراء وهو لائق بالاسراء لأجل فضيلة ليلة الجمعة .

(تنكيت لطيف) يرجح ما قاله الحربي وذلك ان ليلة سبع وعشرين تضاهي في العدد أقعد الليالي بليلة القدر وهي ليلة سبع وعشرين من رمضـان .

(تنكيت الطف من الأول) اعتبرت هذه الليالي الثلاث الفاضلات ليلة نصف شعبان وليلة سبع وعشرين من رمضان وهي ليلة القدر وليلة عرفة فوجدتها لاتزال متواخية ان كانت واحدة منها الجمعة كان الكل الجمعة وكذلك غير الجمعة من الايام وان لم توافق ليلة عرفة الليلتين المذكورتين فلا بد ان يوافقهما يوم التروية انتهى ما قاله ابن المنير باختصار فرحمه الله من أمام محقق حري أن يكتب كلامه بماء الذهب والله اعلم .

(استطراد ثان)

(في الكلام على متن حديث الاسراء)

استحسنت الاتيان به عقيب آية الاسراء للمناسبة ولما سأذكره بعد من فوائد جليلة يعز وجودها ترجع الى الحديث المذكور واولى ما يعتمد عليه حديث ثابت البناني عن انس لأنه سالم مما وقع في ظاهر حديث غيره من التعارض فرايت أن اذكره اولا باختصار ليكون أصلا ثم أذكر ماسواه مما ورد من الطرق تبعاً له باختصار ايضاً فأقول .

روى مسلم في صحيحه عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهي طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل كما تقدم وقيل له كما تقدم ففتح لهما فوجدرسول الله صلى الله عليه وسلم ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيي بن زكريا فرحبا به صلى الله عليه وسلم ودعوا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء الثالثة وقيل كما تقدم فوجد عليه السلام فيها يوسف عليه السلام وقد أعطي شطر الحسن فرحب به صلى الله عليه وسلم ودعا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء الرابعة وقيل كما تقدم فوجد صلى الله عليه وسلم فيها ادريس عليه السلام فرحب به ودعا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء الخامسة فوجد فيها هرون فرحب به ودعا له بخير ثم عرج كذلك الى السماء السادسة فوجد فيها موسى عليه السلام فرحب به ودعا له بخير ثم عرج به كذلك الى السماء السابعة فاستفتح جبريل كما سبق وقيل له كما سبق وفتح لهما كما تقدم فرأى صلى الله عليه وسلم ابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور ثم ذهب به الى سدرة المنتهي فأوحي الله تعالى اليه ما أوحى ففرض عليه خمسين صلاة ثم أرشده موسى عليه السلام الى الرجوع إلى ربه ولم يزل صلى الله عليه وسلم يرجع بين موسى وربه الى ان استقر الأمر على خمس صلوات كل يوم وليلة واخرج مسلم ايضا عن

ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه ثم استخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طشت من ذهب بماء زمزم ثم لامه ثم أعاده الى مكانه (وفي طريق) بينا انا في المسجد الحرام (وفي طريق) وانا نائم (وفي طريق) انه كان بالحطيم بين النائم واليقظان (وفي طريق) انه اسري به من بيت ام هانيء كما علمته آنفاً (وفي طريق) فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري (وفي بعض طرق الاسراء) وذلك قبل ان يوحى اليه وفيما تقدم عن ثابت كما رايت انه اتي باللبن والخمر قبل العروج (وفي بعض الطرق) انه اتي بهما في الملأ الأعلى (وفي طريق) انه انتهى الى سدرة المنتهى ثم الى المستوى ثم فارقه جبريل (وفي طريق) فزج بي في النور وقال ها انت وربك . وفي حديث ثابت كما تقدم انه عليه السلام صلى في بيت المقدس قبل العروج (وفي بعض الطرق) انه صلى بالانبياء في السموات (وفي طريق) فلم نزل على ظهره يعني البراق انا وجبريل (وفي طريق) انه استصعب البراق فقال له جبريل عليه السلام ابمحمد تستصعب فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا (وفي بعض الطرق) انه راى المعراج بصورة السلم كأحسن ما راى (وفي طريق) فانتهيت الى سدرة المنتهى فغشيها ملائكة كأنهم جراد من ذهب فرايت جبريل يتضاءل كالصعوة فتخلف وقال ومامنا إلا له مقام معلوم فجاوزت سبعين حجاباً ثم احتملني الرفرف الى العرش فنوديت حي ربك فقلت سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك الى آخر ما هو مستوفى في محله كانكار قريش الاسراء واستيصافهم بيت المقدس من النبي صلى الله عليه وسلم فرفعه الله له فوصفه وذكر لهم قضية لقيه العير قاصدين مكة وشربه ما كان في القدح من الماء الى غير ذلك فكان كل ذلك حقا وصدقا كما قال تعالى وما ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله اعلم .

(فوائد) تتعلق بحديث الاسراء وفواضله واسراره وفضائله .

(الأولى) يؤخذ من قوله تعالى اسرى بعبده مالا يؤخذ ان لو قيل بعث الى عبده لأن الباء تفيد المصاحبة اي صحبه في سراه بالألطاف والعناية ويشهد لذلك قوله عليه السلام انت الصاحب في السفر ويبنى على هذا من الفروع الفقهية ان من قال لله علي ان احج بفلان يلزمه ان يحج معه بخلاف مالو قال لله علي ان احج فلانا فانما يلزمه ان يجهزه للحج من ماله ولا يلزم الناذر ان يحج بنفسه والفرق ما تعطيه الباء من المصاحبة (الثانية) تخصيص الاسراء بالليل فيه من التعظيم مالا يخفى لأنه وقت خلوة واختصاص عرفا وبين جليس الملك ليلا وجليسه نهارا فرق ظاهر والخصوصية بالليل (الثالثة)

لعل تخصيص ذلك بالليل ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم اذ الليل اخفي حالا من النهار ولعله لو عرج به نهارا نفات المؤمن فضيلة الايمان بالغيب ولم يحصل ماقدر من الفتنة على من شقي وجحد (الرابعة) ان قيل ما وجه استصعاب البراق عليه صلى الله عليه وسلم بعد التسخير فأجيب بان ذلك تنبيه على انه لم يذلل قبل ذلك ولم يركبه أحد وفي هذه النكتة خلاف فمنهم من قال ركبه الأنبياء قبل ذلك ومنهم من قال لم يركبه أحد قبله وحجة القائلين بركوبه قبل ذلك قول جبريل فما ركبك احد اكرم على الله منه ويمكن الاحتجاج ايضا بقوله فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء واجيب عن الاول بان معنى قول جبريل فما ركبك أحد البتة فكيف يركبك اكرم من محمد ويمكن ان يجاب عن الثاني بأنه ليس في الحديث فربطته بالحلقة التي تربطه بها الأنبياء وانما قال يربط بها الانبياء وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل ان يكون غير البراق . ويحتمل أن يراد ارتباط الأنبياء انفسهم بتلك الحلقة اي تمسكهم بها ويكون من جنس العروة الوثقي .

(الخامسة) يحتمل أن يكون استصعابه تيها وزهوا بركوب النبي صلى الله عليه وسلم واراد جبريل بقوله أبمحمد تستصعب استنطاقه بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه ولهذا قال فارفض عرقا فكأنه أجاب بلسان الحال فتبرأ من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب .

(السادسة) ان قيل كان في قدرة الله تعالى أن يرفع نبيه بدون البراق خرقا للعادة اجيب بأن في صورة الركوب على المركوب المعتاد تأنيساً في هذا المقام العظيم بطرف من العادة (السابعة) لعل في الاسراء بالبراق اظهارا للكرامة العرفية فان الملك العظيم إذا استدعي خصيصا به بعث اليه بمركوب سني ليصل عليه (الثامنة) كون البراق بشكل البغل ولم يكن بشكل الفرس فيه تنبيه على أن المراد في سلم وامن لاحرب وخوف أو لاظهار الآية في الاسراع العجيب من دابة ما توصف بالاسراع كما في الحديث يضع حافره عند منتهى طرفه اي يقطع ما انتهى اليه بصره في خطوة واحدة فعلى هذا يكون قطع من الأرض الى السماء في خطوة واحدة لأن بصر من يكون في الأرض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات في سبع خطوات (التاسعة) لقائل أن يقول قد ركب النبي صلى الله عليه وسلم بغلته في الحرب يوم حنين اجيب بأن ذلك كان لتحقق نبوته عليه السلام في مواطن الحرب ولما خصه الله به من مزيد الشجاعة والا فمعلوم أن البغال عادة من مراكب الطمأنينة وليعلم أن الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس (العاشرة) اختلف العلماء هل ركب جبريل عليه السلام مع النبي صلى

الله عليه وسلم على البراق ام لا فقال بعضهم ركب معه بظاهر قوله صلى الله عليه وسلم فما زلت على ظهره انا وجبريل قال ابـن المنير رحمه الله والاظهر عندي انه صلى الله عليه وسلم اختص بالركوب لانـه المخصوص بشرف الاسراء وفي قول جبريل ايضاً ابمحمد تستصعب فما ركبك اكرم على الله منه دليل على اختصاصه عليه السلام بركوبه وانما كان جبريل ههنا معه رسول بلاغ ودليل طريق ومستدعي حبيب . وقوله صلى الله عليه وسلم ما زلت على ظهره أنا وجبريل يحمل قوله وجبريل على انه استئناف كلام كأنه قال وجبريل سائر معي ونحوه ولا يريد راكبا معي على البراق لانه ليس في الكلام ما يعين ذلك (الفائدة الحادية عشرة) دل قولـه صلى الله عليه وسلم فصليت ببيت المقدس ركعتين على أن الصلاة لم تزل معهودة قبل ان تفرض ومعدودة مثنى مثنى وفرضت كذلـك على مثـا عهدت كما قالت عائشة رضي الله عنها فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فأقرت صلاة السفر وزيد صلاة الحضر (الثانية عشرة) ان قيل ما الحكمة في نزول جبريل عليه السلام من سقف البيت ولم يدخل عليه من الباب مع قولـه وأتوا البيوت من ابوابها الجواب أن الحكمة في ذلك المبالغة في المفاجاة والتنبيه على الكرامة والاستدعاء كان بديها على غير ميعاد (الثالثة عشرة) يحتمل ان يكون فرج السقف توطئة وتمهيدا للفرج عن الصدر فأراه جبريل بافراجه عن السقف ثم التئامه على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الأمر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفاً في حقه وتثبيتاً لقلبه (الرابعة عشرة) السر في العناية بتطهير القلب وافراغ الايمان والحكمة فيه تحقق مذهب أهل السنة في أن محل العقل ونحوه من اسباب الادراكات كالنظر والفكر انمـا هو القلب لا الدماغ خلافـا للمعتزلة والفلاسفة (الخامسة عشرة) انمـا خص الطشت بالغسل فيه دون بقية الأواني لانه آلة للغسل عرفا وانما كان من ذهب لأنه أعلى اواني الجنة ولأنه راس الأثمان فهو إذا أصل الدنيا والايمان أصل الدين فوقع التنبيه على ان اصل الدنيا آلة لأصل الدين وخادم لـه ووسيلة اليه (السادسة عشرة) استدل بعض أصحاب مالك على جواز تحلية ما يعظم شرعا بالذهب كالمصحف اوما هو آلة لطاعة كالسيف الذي هو آلة للجهاد بحديث الاسراء واستعماله طشت الذهب (السابعة عشرة) يرد على ذلك بأن الذي اختص بالنبي صلى الله عليه وسلم من طشت الذهب انما هو تفريغ ما فيه من الايمان والحكمة في قلبه صلى الله عليه وسلم والتفريغ ترك لا فعل ولا خلاف أن آنية الذهب إذا حصل فيها طعام له حرمة شرعية كان تفريغ ذلك منها مشروعا بخلاف وضعه فيها ولا يعد التفريغ استعمالا ويتقرر هذا الفقه بحكاية لطيفة وهي أن الحسن البصري وفرقدا السبخي

اجتمعا في وليمة دعيا اليها وكان الحسن عالما وفرقد عابـدا وكان في الوليمة صحاف من الذهب والفضة قد جعل فيها الخبيص فأما الحسن فانه جلس على الطعام وصار يأخذ الخبيص ويفرغه من الصحفة ويضعه على الخبز ويأكل وأما فرقد فاعتزل ولم يأكل فالتفت اليه الحسن وقال يافريقد هلا صنعت هكذا فراي الحسن أن التفريغ ليس استعمالا بل تركا وازالة للمنكر فاجتمع لـه بفقهه اقامة سنة الوليمة بالأكـل وجبر قلب الداعي . وازالة المنكر وتعليم الأحكام الخفية ولهذا قال يافريقد فصغـر اسمه في النداء تعريضا له بالانكار إذ تصرف في الترك بغير اقتداء وكان عليه أن يسأل كيف يصنع ليسلم مما وقع فيه من فوات المقاصـد التي اجتمعت للحسن رضي الله عنه وينبني على هذا مـن الفروع الفقهية أن من كان في رمضان أو اراد الصيام في غيره وطلع عليه الفجر وهو آكل فعلم بذلك والقي الطعام من فيه لا شيء عليه فهذا من جنس كون التفريغ ليس استعمالا ولا اشكال في ذلك (الثامنة عشرة) لقائل ان يقول لا يتم الاستدلال على جواز استعمال الذهب بحديث الاسراء لأن العادة انحرفت فيه من حيث ما وعى فيه من الايمان ومن أنه من الكون او من الجنة وإذا انخرقت العادة تغيرت الأحكام المنوطة بها (التاسعة عشرة) يحتاج المستدل على استعمال الذهب لحديث الاسراء ان يثبت أنه كان بعد تحريم استعمال الذهب ولا يقدر على ذلك فان النبي صلى الله عليه وسلم تختم بالذهب ثم القى الخاتم فألقى الناس خواتمهم وما كان النسخ والتحريم إلا بالمدينة وقد تقدم أن الاسراء متقدم على الهجرة على المختار (الفائدة العشرون) تقدم في حديث ثابت أنه صلى الله عليه وسلم قدم له الآنية قبل العروج وفي طريق آخر أنه بعد العروج فيجمع بينهما ويكون التقديم مرتينويكون تكرارجبريل عليه السلام للتصويت حيث اختار اللبن تأكيدا للتحذير مما سواه.(الحادية والعشرون) ان قيل ما المراد بالفطرة في قول جبريل اخترت الفطرة فاعلم ان الفطرة تطلق تارة ، ويراد بها الاسلام ، وتطلق تارة على أصل الخلقة، فمن المعنى الأول : قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه . ومن المعنى الثانـي قوله تعالى : فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وقوله تعالى : فاطر السموات والأرض اي مبتدىء خلقهما فقول جبريل اخترت الفطرة اي اخترتاللبن الذي عليه تثبت الخلقة ، وهي نبت اللحم ونشر العظم (أقول) فيكون من باب ذكر المسبب وإرادة السبب فتأمل انتهى أو اخترته لأنه الحلال المستمر في دينالاسلام واما الخمر فحرام فيما يستقر عليه الأمر (الثانيةوالعشرون) يحتمل ان يكون في تقديم أناء اللبن اشارة الى انه شعار العلم في التعبير

كما ورد انه عليه السلام قال اريت كأني أتيت بقدح من لبن فشربت حتى أرى الري يخرج من أظفاري ثم ناولت فضلي عمر فقالوا يارسول الله ما أولته قال العلم . والاسراء وان كان يقظة الا انـه ربما وقعت في اليقظة اشارات على حكم الفال تعبر كما يعبر المنـام (الثالثـة والعشرون) في استفتاح جبريل عليه السلام لأبواب السماء دليل على انه صادف أبوابها مغلقة مع انه صلى الله عليه وسلم كان قد استدعي فلعل والله أعلم الحكمة في ذلك التنويه بقدره وان السموات لم تفتح أبوابهـا الا مـن إجله ولو صادفها مفتوحة لم يتحرر انها فتحت من أجلهولا بد (الرابعة والعشرون) ينبغي للمستأذن اذا قيل له من هذا أن لايقول أنا فان جبريل لم يقل أنا عند الاستفتاح ثم وانما سمى نفسه ، وقد أنكر النبي صلى الله عليه وسلم على الذي استأذن عليه ، فقال صلى الله عليه وسلم من هذا ، فقال أنا فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يكرر لفظة أنا انكارا (الخامسة والعشرون) انما كرهت هذه الكلمة لوجهين (أحدهما) ان فيهـا اشعاراً بالعظمة ،وفي الكلام السائر ان اول من قال أنا ابليس فشقي حيث قال أنا خير منه ثم فرعون فتعس حيث قال أنا ربكم الأعلى (الثاني) انها مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهي غير كافية في البيان فان قيل قـد اتفق النحـاة على أن المضمرات أعرف المعارف واعرفها أنا فهذه الكلمة في الغاية القصوى في التعريف فكيف كان العلم أعرف منهـا ، وانمـا اختلف النجاة في اسم الاشارة والعلم لا في المضمر ، فالجواب ان المضمر اذا عاد وتعين مظهره فهو أعرف المعارف حينئذ والمستأذن محجوب عن المستأذن عليه غيرمتعين عنده فكأنه أحالة على جهالة .

(حكاية لطيفة استطرادية) تنبه على رعاية الأدب مع الله تعـالى جل وعلا : حكي أن سيبويه رحمه الله رؤي في المنام بعد وفاته ، فقيل له ماذا لقيت ؟ فقال خيرا كثيرا ، فقيل له بماذا) فقال : سئلت في الدنيا عنأعرف المعارف ، فقلت اسم الله عز وجل فشكر الله لي ذلك (السادسة والعشرون) قول الخازن لجبريل ، ومن معك قال محمد فيه دليل على ان الاذن لواحد لايتناول غيره وان كان في صحبته ولهذا استفهم الخازن حتى يكون لمن معه اذن مستقل ، وهو عرف الناس اذا اذن لأحد وكان في صحبته غيـره ان يقول ومن معي فيستأنف الاستئذان لمن معه وقوله وقد بعث اليه اراد به الاستفهام فحذفت الهمزة لنعلم بها واصل الكلام أو قد بعث اليه والنحاة يمنعون حذف الهمزة فيحمل كلامهم على المنع حيث لادليل على المحذوف ، والا فالحديث حجة عليهم (السابعة والعشرون) لم يرد الخازن بقوله وقد بعث اليه أصل الرسالة فان الظاهر انه كان معلوما عندهم وانما أراد البعث

للمعراج (الثامنة والعشرون) موقع قول الخازن أو قد بعث اليه استنطاق جبريل بالسبب الموجب للاذن والفتح لأن مجرد قول جبريل عليه السلام معي محمد لا يوجب الاذن الا بواسطة البعث من صاحب الاذن جل وعلا (التاسعة والعشرون) ان قيل لم لم يخاطبه الخازن بصيغة الخطاب فيقول مرحبا بك وانما أورد التحية بصيغة الغيبة . أجيب بأنه حياه قبل أن يفتح الباب وقبل أن يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم خطاب ، ولهذا قال الخازن لجبريل ومن معك بصيغة الخطاب لأن جبريل خاطب الملك فارتفع حكم الغيبة بالتخاطب من الجانبين (الفائدة الثلاثون) يجوز أن يكون حياه بغير صيغة الخطاب تعظيما له لأن هاء الغيبة ربما كانت افخم من كاف الخطاب . والله أعلم انتهت الفوائد ملخصة بعضها باللفظ وبعضها بالمعنى من املاء العلامة ابن المنير رحمه الله ، والله أعلم * عدنا الى المقصود :اعلم أن الله تبارك وتعالى قد ذكر المسجد الحرام في كتابه العزيز في نحو خمسة عشر موضعاً فاذا تقرر هذا فقد اختلف في المراد بالمسجد الحرام الذي تتعلق به المضاعفة في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابن الزبير السابق وصلاة في المسجد الحرام افضل من مائة صلاة في مسجدي فقيل جميع بقاع الحرم وقيل المراد الكعبة وما في الحجر من البيت ويؤيده ما اخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا الكعبة وقيل المراد الكعبة وما حولها من المسجد وجزم به النووي وقال انه الظاهر وقيل المكان الذي يحرم على الجنب المكث فيه ونقل عن الامام تقي الدين بن أبي السيف اليمني أن المضاعفة تختص بالمسجد المعد للطواف لانه المنصرف عند الاطلاق في العرف قال ولا يضر رواية الكعبة ولهذا قال الغزالي لو نذر صلاة في الكعبة فصلي في أرجاء المسجد جاز انتهى ورجح الطبري رحمه الله أن المضاعفة مختصة بمسجد الجماعة وقال أنه يتأيد بقوله عليه السلام مسجدي هذا لان الاشارة فيه الى مسجد الجماعة فينبغي ان يكون المستثني كذلك فانه قيل قد ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن حسنات الحرم كلها الحسنة بمائة الف فعلى هذا يكون المراد بالمسجد الحرام في حديث الاستثناء الحرم كله قلنا نقول بموجب حديث ابن عباس ان حسنة الحرم مطلقاً بمائة الف لكن الصلاة في مسجد الجماعة تزيد على ذلك ولهذا قال بمائة صلاة في مسجدي ولم يقل حسنة وصلاة في مسجده بألف صلاة كل صلاة بعشر حسنات فتكون الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف حسنة وتكون في المسجد الحرام بألف الف حسنة وعلى هذا يكون حسنة الحرم بمائة الف وحسنة المسجد الحرام بألف الف ويلحق بعض الحسنات ببعض او يكون

ذلك مختصا بالصلاة الخاصة فيها . والله أعلم انتهى بنصه . قال الجد رحمه الله : وحاصل هذه العبارات مع اختلافها يرجع الى ترجيح هذا القول . ثم قال وهذا التضعيف يحصل بصلاة المنفرد وتزيد الحسنات بصلاة المكتوبة في جماعة على ما جاء انها تعدل سبعا وعشرين درجة وهذا فيما يرجع الى الثواب ولا يتعدى ذلك الى الأجزاء عن الفوائت حتى لو كان عليه صلاتان فصلى في المسجد الحرام صلاة لم تجزئه عنهما وهذا لاخلاف فيه انتهى . وقد اختلف العلماء في هذا الفضل هل يعم الفرض والنفل أو يختص بلفرض فمذهبنا ومشهور مذهب مالك انه يختص بالفرض والتعميم مذهب الشافعي رضي الله عنه كما صرح به النووي رحمه الله تعالى . فان قيل لا عموم في لفظ الحديث لما أنه نكره في سياق الاثبات ويؤيده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل صلاة المرء في بيته الا المكتوبة أجيب بأنه وان كان نكرة في سياق الاثبات فهو عام لأنه في معرض الامتنان . قال الجد رحمه الله فان قيل كيف يقال ان المضاعفة تعم الفرض والنفل وقد تطابقت نصوص الأصحاب ونص الحديث على أن فعل النافلة في بيت الانسان أفضل الاما استثني كالعيد وركعتي الطواف فالجواب ما قيل لا يلزم من المضاعفة في المسجد أن يكون أفضل من البيت اذ فضيلة المسجد المذكور من حيث التضعيف وفضيلتها في البيت من حيثية اخرى تربو على التضعيف انتهى اقول هذا التفضيل بالنسبة الى الرجال واما الاناث فالصلاة في البيت مطلقاً لهن افضل لا سيما في هذا الزمان لكثرة الفساد سواء كانت المراة عجوزا ام شابة ونقل الشيخ ولي الدين العراقي في شرح تقريب الأسانيد ان التضعيف في المسجد الحرام لا يختص بالمسجد الذي كان في زمن النبي عليه السلام بل يشمل جميع مازيد فيه لأن المسجد الحرام يعم الكل بل المشهور عند أصحابنا أن التضعيف يعم جميع مكة بل جميع الحرم الذي يحرم صيده كما صححه النووي * واما المدينة فيختص التضعيف بالمسجد الذي كان في زمنه عليه السلام ثم قال لكن يشكل على هذا مافي تاريخ المدينة ان عمر رضي الله عنه لما فرغ من الزيادة في مسجد النبي عليه السلام قال لو انتهى الى الجبانة لكان الكل مسجد رسول الله عليه السلام وفي رواية اخرى : لو مد الى ذي الحليفة لكان منه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو زيد في هذا المسجد مازيد لكان الكل مسجدي ، وفي رواية أخرى أو بني الى صنعاء ، وفي أخرى مازيد في مسجدي فهو منه ولو بلغ مابلغ فان صح ذلك فهو بشرى حسنة انتهى باختصار (فائدتان) الأولى قد حسب النقاش المفسر فضل الصلاة في المسجد الحرام على مقتضى

حديث تفضيل الصلاة فيه على غيره بمائة الف فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة اشهر وعشرين ليلةوصلاة يوم وليلة ، وهي خمس صلوات في المسجد الحرام عمر مائتي سنةوسبع وسبعين سنة وتسعة اشهر وعشر ليال انتهى كلامه . الثانية قال الشيخ بدرالدين بن الصاحب الاثاري : ان كل صلاة في المسجد الحرام فرادى بمائة الف صلاة كما ورد في الحديث وكل صلاة فيه جماعة بألفي الف صلاة وسبعمائة الف صلاة ، والصلوات الخمس فيه بثلاثة عشر الف الف صلاة وخمسمائة صلاة وصلاة الرجل منفردا في وطنه غير المسجدين المعظمين كل مائة سنة بمائة الف وثمانين الف صلاة وكل الف سنة بألف الف صلاة وثماني مائة الف . فتلخص من هذا ان صلاة واحدة في المسجد الحرام جماعة يفضل ثوابها على ثواب من صلى في بلده فرادى حتى بلغ عمر نوح النبي عليه السلام بنحو الضعف وسلام على نوح في العالمين ، وهذه فائدة تساوي دجلة ثم قال هذا اذا لم يضف الى ذلك شيئا آخر من انواع العبادات فان صام يوماً وصلى الصلوات الخمس جماعة ، وفعل فيه انواعا من البر وقلنا بالمضاعفة فهذا مما يعجز الحساب عن حصر ثوابه انتهى (تكملة) قال بعض العلماء ان السيئات بالحرم تتضاعف كتضاعف الحسنات ، وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ، وقال به مجاهد أيضا والامام أحمد بن حنبل ولهذا كان مقام ابن عباس بغيرمكة، والصحيح عند جماهير اهل العلم عدم المضاعفة لكن السيئة فيه اعظم منها في غيره بلا ريب . ثم على قول ان السيئة تتضاعف فقيل تضعيفها كتضعيف الحسنات بالحرم وقيل بل كخارجه وحرر بعض العلماء النزاع في هذه المسئلة فقال القائل بالمضاعفة اراد مضاعفة مقدارها اي غلظها لا كميتها في العدد فان السيئة جزاؤها سيئة لكن السيئة تتفاوت فالسيئة في حرم الله وبلده على بساطه اكبر واعظم منها في غيره وليس من عصى الملك على بساط ملكه كمن عصاه في موضع بعيد عنه فانه قيل يرجع النزاع أيضاً اذ لافرق بين أن تكون السيئة مغلظة وهي واحدة وبين ان تكون مائة الف سيئة عددا فالجواب انه قد جاء من زادت حسناته على سيئاته في العدد دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته في العدد دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته عددا كان من اهل الأعراف .

فصل في ذكر مبدا عمارة المسجد الحرام

وتوسعته وذرعه وذكر شيء من اخباره

ذكر الأزرقي والامام ابو الحسن الماوردي وغيرهما من الائمة المعتمدين ان المسجد الحرام كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكرالصديق رضي الله عنه وليس عليه جدار يحيط به وكانت الدور محدقة به من كل جانب وبين الدور أبواب يدخل منها الناس فلما أن استخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى دورا وهدمها ووسع بها المسجد وابي بعضهم انيأخذ الثمن وامتنع من البيع فوضع اثمانها في خزانة الكعبة فأخذوها بعد ذلك. وقال لهم عمر أنتم نزلتم على الكعبة ولم تنزل عليكم الكعبة انما هو فناؤها ثم جعل سيدنا عمر على المسجد جدارا قصيرا محيطاً به دون القامة ،وكان المصابيح توضع عليه فكان عمر رضي الله عنه اول من اتخذ للمسجد جدارا فلما كن زمن سيدنا عثمان رضي الله عنه وكثر الناس اشترى دورا ووسع بها المسجد الحرام وابى قوم أن يبيعوا فهدم عليهم فصاحوا به ، فقال لهم انما جراكم علي حلمي عنكم فقد فعل بكم عمر هذا فلم يصح به احد ، ثم امر بهم الى الحبس حتى شفع فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأخرجهم وجعل عثمان لمسجد اروقة فكان اول من اتخذ الاروقة له . ولم يذكر الأزرقي السنة التي وسع فيها عمر رضي الله عنه المسجد الحرام وهيسنة سبع عشرة من الهجرة ولا السنة التي وسع فيها عثمان رضي الله عنهوهي سنة ست وعشرين من الهجرة ثم قال الازرقي فلما كان زمن عبد الله بن الزبير زاد في المسجد زيادة كبيرة واشترى دورا من جملتها بعض دار الأزرقي جد الأزرقي صاحب تاريخ مكة ، واشترى ذلك البعض ببضعة عشر الف دينار ثم عمره عبد الملك بن مروان ولم يرد فيه لكنه رفعجداره وسقفه بالساج وعمره عمارة حسنة وجعل في رأس كل استطوانة خمسين مثقالا ذهباً . ثم ان الوليد بن عبد الملك المتقدم وسع المسجد ونقض عمل أبيه وعمله عملا محكما وسقفه بالساج المزخرف وازر المسجد من داخله بالرخام وجعل له شرفا وجعل في وجوه الطيقان من اعلاها الفسيفساءوهو اول من جعلها بالمسجد الحرام واول من نقل اليه اساطين الرخام (تنبيه) قول الأزرقي الوليد اول من نقل اليه اساطين الرخام قال الفاسي رحمه الله قد نقل الازرقي ما يفهم خلاف ذلك لانه ذكر في عمل عبد الملك انهجعل في راس كل اسطوانة خمسين مثقالا من الذهب وهذايقضي وجودالأساطين قبل الوليد فتكون من عمل ابن الزبير او عبد الملك وعلى كلا الأمرين فهو مخالف لما ذكره الأزرقي من أن الوليد بن عبد الملك اول من حمل اليه

ذلك . والله اعلم بالصواب انتهى بمعناه . اقول يمكن الجمع بين كلامي الأزرقي وترتفع المخالفة التي ذكرها الفاسي وذلك ان الأزرقي رحمه الله لم يذكر ان الأساطين التي في رؤسها المثاقيل الذهب في أيام عبد الملك كانت من رخام ليتجه ما قاله الفاسي ولا خصوصية ايضاً لتسميةالأساطين بما كان من الرخام فيحتمل انها كانت آجر او من حجارة أو من خشب ويؤيد ذلك ما تقدم في الباب الأول من هذا الكتاب عند ذكر فضائل البيت الشريف فيما اخرجه الفاكهي عن السهمي عند قوله فعابت اسطوانة قال شيخ الاسلام ابن حجر والاسطوانة من خشب وما سيأتي قريباً من كلام الفاسي نفسه عند ذكره لما عمره القاضي محمد بن موسى من بني الزيادة التي بدار الندوة في قوله وجعل ذلك باساطين حجارة مدورة عليها ملابن ساج وفي قوله عند بناء ما كان احترق من الجانب الغربي وبعض الشامي من المسجد الحرام في عام اثنين وثمانمائة ما صورته : ان الأساطين التي بالجانب الغربي حجارة منحوتة هذا كلامه واما الأساطين من الآجر فعمل منها كثير في المساجد وغيرها فاذا علم ذلك فقول الأزرقي رحمه الله ان الوليد اول من نقل الى المسجد الحرام اساطين الرخام ليس فيه مخالفة مع الاحتمال المذكور فتأمل والله الموفق . ثم لما افضت الخلافة الى ابي جعفر العباسي ثاني خلفاء بني العباس وسع المسجد الحرام من جانبه الشامي ومن جانبه الغربي ولم يجعل فيما وسعه من الجانبين الا رواقا واحدا . وكان ابتداؤه في المحرم سنة سبع وثلاثين ومائة والفراغ منه في ذيالحجة سنة اربعين ومائة وكان الذي زاده المنصور النصف مما كان عليه قبلذلك. ثم ان المهدي بن ابي جعفر وسع المسجد الحرام بعد موت ابيه من أعلاه ومن الجانب اليماني ومن الموضع الذي انتهى اليه ابوه في الجانب الغربي حتى صار على ما هو عليه اليوم ما عدا الزيادتين فانهما أحدثتا بعده كما سيأتي قريباً ان شاء الله تعالى . وكانت عمارة المهدي في نوبتين : الأولى فيسنة احدى وستين ومائة وزاد فيما زاده ابوه رواقين . والثانية سنة سبع وستين وكان امر بها لما حج حجته الثانية في سنة اربع وستين ورأى الكعبة في شق من المسجد فكره ذلك واجب ان تكون متوسطة في المسجد فدعا المهندسين وشاورهم في ذلك فقدروا ذلك فاذا هو لا يستوي لهم من اجل الوادي والسيل وقالوا ان وادي مكة له سيول قوية العزم ونخشى ان حولنا الوادي عن مكانه ان لا يتم لنا على ما نريد فقال المهدي لا بد لي من سعة المسجد بحيث تكون الكعبة في وسط المسجد علىكلحال ولو انفقت فيه جميع ما في بيوت المال ، وعظمت نيته في ذلك وقوي عزمه على ذلك فقدر المهندسون ذلك وهو حاضر ونصبوا الرماح على الدور

من اول موضع الوادي الى آخره ثم ذرعوه من فوق الرماح حتى عرفوا ما يدخل في المسجد من ذلك وما يبقى في الوادي ثم خرج المهدي الى العراق وخلف الأموال فاشتروا من الناس دورهم ووسعوا المسجد ولم يكمل ذلك إلا في خلافة ابنه موسى الهادي لمعاجلة المنية للمهدي . وكان مما عمل بعد موته بعض الجانب اليماني وبعض الغربي وانفق المهدي رحمه الله في ذلك أموالا عظيمة بحيث صار ثمن كل ذراع في ذراع مكسر مما دخل في المسجد الحرام خمسة وعشرين دينارا وثمن كل ذراع مكسر مما دخل في الوادي خمسة عشر دينارا ونقل الى المسجد الحرام اساطين الرخام من مصر وغيرها في السفن حتى انزلت بجدة وحملت منها على العجل الى مكة . قال الأزرقي ووسع المهندسون باب بني هاشم الذي يستقبل الوادي وجعلوا الباب الذي بازائه من اسفل المسجد يعني من الجانب الغربي يستقبل خط الخزامية يقال له باب البقالين وهو معروف وقالوا إذا جاء سيل عظيم ودخل المسجد خرج من ذلك الباب انتهى بمعناه . هذا عمل المهدي في النوبة الثانية واستمر كذلك الى يومنا هذا والله أعلم . أقول باب بني هاشم الذي ذكره الأزرقي هو باب علي الآن نبه على ذلك الفاسي. وباب البقالين لعله المعروف الآن بباب الخزورة فان الفاسي رحمه الله عرف باب الخزورة بأن الغالب عليه باب الخزامية وقال لأنه يلي خط الخزامية لا باب ابراهيم لأن الأزرقي لم يذكره وانما حدث بعده وأيضاً قول الأزرقي وجعل الذي بازائه يؤيد انه باب الخزورة لأنه بازاء باب علي بمعنى مقابله واما باب ابراهيم فقد ادركته وهو واطيء جدا وانما رفع وعمل له هذه الدرجة في حدود سنة خمسة عشر أو ستة عشر وتسعمائة في دولة الأشرف الغوري على يد الأمير خاير بك المعروف بالمعمار وقد شاهدت عمارته وانا إذ ذاك في المكتب وكانت السيول إذا دخلت المسجد انما تخرج منه والآن كذلك انما يخرج السيل من القبو الذي تحته لأنه لما رفع جعل تحته العقود بالحجارة المنحوتة لمصرف السيل انتهى .

(فصل في ذكر الزيادتين وخبر عمارتهما)
وذرعهما وذرع المسجد الحرام وعدد منائره وابوابه

اعلم انه لم يزد في المسجد الحرام بعد عمارة المهدي رحمه الله سوى هاتين الزيادتين دار الندوة التي في الجانب الشامي من المسجد وزيادة باب ابراهيم في الجانب الغربي منه .

اما زيادة دار الندوة فسببها كما نقله الفاسي عن اسحاق الخزاعي ان بعض أهل الخير كتب الى وزير الخليفة المعتضد العباسي تحية على جعل ما بقي من دار الندوة مسجدا ويقول ان هذه مكرمة لم تتهيأ لاحد من الخلفاء بعد المهدي فلما بلغ ذلك المعتضد عظمت رغبته واخرج لذلك مالا عظيما فاخرجت القمائم من دار الندوة وجعلت مسجدا ووصلت بالمسجد الكبير وعمره بأساطين وطاقات واروقة مسقفة بالساج المزخرف ثم فتح لها في جدار المسجد الكبير اثني عشر بابا بعقود ستة كبار وبينهم ستة صغار وجعل في هذه الزيادة ثلاثة ابواب بابان طاقان طاقان وباب طاق واحد شارعة الى الطريق التي حولها وجعل سقفها مسامتا لسقف المسجد الكبير وبنى فيها منارة وشرفاً وفرغ من ذلك في ثلاث سنين . قال الفاسي رحمه الله ولم يبين اسحاق الخزاعي السنة التي فرغ فيها من عمارة هذه الزيادة ولعل ذلك كان في سنة اربع وثمانين ومائتين على مقتضى ما ذكره اسحاق من ان الكتابة الى المعتضد بسبب انشائها كانت في سنة احدى وثمانين ومائتين . ثم ذكر ان القاضي محمد بن موسى لما كان اليه أمر البلد غير الطاقات التي كانت في جدار المسجد الكبير وجعل ذلك بأساطين حجارة مدورة عليها ملابن ساج بعقود من الآجر والجص الأبيض ووصله بالمسجد الكبير وصولا احسن من الاول حتى صار من في دار الندوة من مصل ومستقبل يرى القبلة كلها وكان ذلك في سنة ست وثلثمائة .

واما الزيادة التي بالجانب الغربي المعروفة بزيادة باب ابراهيم فنقل الفاسي رحمه الله انه لما كانت ايام جعفر المقتدر بالله امير المؤمنين امر ان يجعل هذا المحل مسجدا ويوصل بالمسجد الكبير فعمل على ما هو عليه اليوم فاتسع الناس به وصلوا فيه وذلك في سنة ست او سبع وثلثمائة انتهى . والسبيل الذي بالزيادة المذكورة من عمل الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاون انشأه في حدود سنة تسع وخمسين وسبعمائة أو في التي بعدها .

واما ما وقع في المسجد من العمارة والتجديد فكثير منها العمارة الكبيرة التي كانت في سنة اربع وثمانمائة وانما ذكرتها دون ماكان قبلها وبعدها من العمائر لكونها اعظم من غيرها مما عمر بعد الخلفاء ولما ظهر من همة الأمير المباشر لذلك وقوة العزم . وسبب ذلك ان في ليلة السبت الثامن والعشرين من شوال سنة اثنتين وثمانمائة ظهرت نار من رباط رامشت المعروف الآن برباط ناظر الخاص عند باب الخزورة المصحفبباب عزورة بالجانب الغربي من المسجد الحرامفلم يكن غير لحظة حتى تعلقت

بسقف المسجد وعم الحريق الجانب الغربي وبعض الرواقين المقدمين من الجانب الشامي بما في ذلك من السقوف والأساطين الرخام وصارت قطعا وانتهى الحريق الى محاذاة باب العجلة فصار ما احترق اكواما عظيمة تمنع من الصلاة في موضعها ومن رؤية البيت الشريف . ثم من الله تعالى بعمارة ذلك في مدة يسيرة على يد الأمير بيسق الظاهري وكان قدومه لذلك في موسم سنة ثلاث وثمانمائة فلما رحل الحاج من مكة شرع في رفــع تلك الأكوام حتى فرغت ثم ابتدأ في العمارة حتى عاد ذلــك كما كان ، وكان الفراغ من عمارة ذلك في أواخر شعبان سنة اربع وثمانمائة وعجب الناس كثيرا من سرعة العمارة في هذه المدة لان من راى ذلك قبل العمارة كان يقطع بأن هذه العمارة انما تتم في مدة سنين باعتبار العادة في العمــارة فسهل الله فراغها في تلك المدة وجعلت الاساطين التي في الجانب الغربي كلها من حجارة منحوتة وكذلك الجانب الشامي ماخلا أساطين يسيرة في مقدمه فانها رخام مكسر ملصق بالحديد وهذا كله ظاهر بين ولم يبق من ذلك إلا سقف الجانب الغربي لتعذر خشب الساج ثم عمل ذلك من خشب العرعر في أوائل سنة سبع وثمانمائة بتقديم السين على يد الأمير بيسق المذكور وكانت العمارة المذكورة في أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق

(ذكر منابر المسجد الحرام)

في المسجد الحرام الآن ست منابر اربعة في الأركان والخامسة في زيادة دار الندوة والسادسة بمدرسة السلطان الاشرف قايتباي رحمــه الله تعالى المجاورة لباب السلام على يسار الداخل الى المسجد عمرت في حدود الثمانين وثمانيمائة . والخمس المنابر قديمة اما منارة زيادة دار الندوة فعمرت مع الزيادة المذكورة من قبل المعتضد العباسي كما تقدم ، وأما الاربعة التي بالأركان ، فالأولى تعرف بمنارة عزورة لانها على باب عزورة ، والثانية على باب علي وتعرف بمنارة علي والثالثة على باب العمرة وتعرف بمنارة باب العمرة ، والرابعة تسمى بمنارة باب السلام لأنها على باب السلام ، ولم اقف على من انشأ هذه الأربع المنابر غير ان الفاسي رحمه الله ذكر أن المنصور عمر منارة باب العمرة وعمر ابنه المهدي المنابــر الثلاث التي على باب السلام والتي على باب علي والتي علــى باب الحزورة . (أقول) المفهوم من كلام الفاسي بقوله عمر المنصور منارة باب العمرة ، وعمر ابنه المهدي الى آخره أن مراده بذلك الترميم والتجديد لا الانشاء بدليل قوله بعد ذلك ، وعمر الجواد جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني

وزير صاحب الموصل منابر المسجد وكذا قوله وعمرت منارة باب الحزورة في زمن الأشرف شعبان صاحب مصر ، وكانت سقطت في سنة احدى وتسعين وسبعماية ، وكذا قوله وعمرت منارة باب بني شيبة في زمن الناصر فرج ، وذلك بعد أن سقطت في سنة تسع وثمانيمائة لأن السقوط يستدعي تقدم البناء قبل ذلك ولو وقف الفاسي على من أنشأ ذلك لذكره كما هو دابه في استيفاء الكلام وتبيين الأمور على أحسن الوجوه وأكملها انتهى . وكانت منائر أخر في غير المسجد الحرام على رءوس الجبال يؤذن فيها نقله الفاسي عن الفاكهي ، فمن ذلك على جبل أبي قبيس أربع منائر ، وعلى رأس الأحمر المقابل له منارة ، وعلى الجبل المشرف على شعب جبل ابن عامر منارة ومن ذلك منارة تشرف على المجزرة ، ومنارة على جبل تفاحة ، ومنارة على جبل خليفة بن عمر البكري ، ومنارة على كدي بضم الكاف تشرف على وادي مكة (فهذه المنابر) كلها تنسب الى عبدالله بن مالك الخزاعي من خدم أمير المؤمنين هارون الرشيد . ولبغا مولى أمير المؤمنين عدة منائر أيضاً من ذلك منارة على راس الفلق، ومنارة على الأحمر ، ومنارة على جبل خلفية كما لعبدالله ، ومنارة على جبل المقبرة ، ومنارة على جبل الخزورة ، ومنارتان على جبل عمر بن الخطاب ولعله المسمى بالنوبي ، ومنارة على جبل الأنصار الذي يلي اجياد . ومنارة على ثنية أم الحارث المشرف على الحصحاص ، وسيأتي تعريفه وموضعه فيما بعد ان شاء الله تعالى ، ومنارة على الجبل المشرف على الخرمانية. ومنارة مشرفة على الخضير او بئر ميمون ، ومنارة بمنى عند مسجد الكبش ، فهذه كلها لبغا وكان لهذه المنابر فيما مضى أناس يؤذنون الصلاة تجري عليهم الارزاق في كل شهر ثم قطع ذلك لتغيير الأحوال وتطاول الأزمان والله أعلم .

ذكر ذرع المسجد الحرام والزيادتين

نقل الازرقي أن ذرع المسجد الحرام مكسرا مائة الف ذراع وعشرون الف ذراع ، وأما طول المسجد الحرام وعرضه فقد حرره الفاسي رحمه الله بذراع الحديد فكان طوله من وسط جداره الغربي الذي هو جدار رباط الخوزي بضم الخاء المعجمة وبعدها واو ثم زاء معجمة الى وسط جداره الشرقي الذي عند باب الجنائز مع المرور في نفس الحجر بكسر الحاء واللصوق بجدار الكعبة الشامي ثلثمائة ذراع وستة وخمسين ذراعا وثمن ذراع بالذراع المذكور ، ويكون ذلك بذراع اليد اربعمائة ذراع وسبعة اذرع ، وكان عرضه من وسط جداره القديم الذي يدخل منه الى زيادة دار الندوة الى وسط جدار المسجد اليماني فيما بين بابي المسجد باب الصفا وباب أجياد مارا

كذلك فيما بين مقام ابراهيم والكعبة وانت الى المقام اقرب مائتي ذراع وستة وستين ذراعا بذراع الحديد ، ويكون ذلك بذراع اليد ثلثمائة ذراع واربعة اذرع ، وكان تحريره لذلك في ليلة الخميس السابع والعشرين من ربيع الأول سنة أربع عشرة وثلثمائة .

(فائدة) اخرج الأزرقي بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه انه قال انا لنجد في كتاب الله تعالى ان حد المسجد الحرام من الخزورة الى المسعى واخرج ايضا بسنده الى عمرو بن العاص رضي الله عنه انه قال أساس المسجد الحرام الذي وضعه ابراهيم عليه السلام من الخزورة الى المسعى الى مخرج سيل اجياد . ثم قال والمهدي وضع المسجد على المسعى انتهى .

ذكر ذرع زيادة دار الندوة

اما ذرعها طولا وذلك من جدار المسجد الكبير الى الجدار المقابل له الشامي الذي عنده باب المنارة اربعة وسبعون ذراعا بتقديم السين الا ربع ذراع بذراع الحديد . وذرع عرضها من وسط جدارها الشرقي الى وسط جدارها الغربي سبعون ذراعا ونصف بتقديم السين وهذا ذرع الأروقة مع الصحن ، واما ذرع الصحن وحده فطوله من الاساطين التي في مقدم الجانب الجنوبي مما يلي المسجد الكبير الى الاساطين التي في مقدم الجانب الشمالي سبعة وثلاثون ذراعا بتقديم السين وعرضه كذلك بزيادة سدس ذراع الحديد .

ذكر ذرع زيادة باب ابراهيم

اما طولها وذلك من الاساطين التي تلي المسجد الكبير الى العتبة التي فيها باب هذه الزيادة فسبعة وخمسون ذراعا الا سدس ذراع بتقديم السين واما عرضها من جدار رباط الخوزي بضم الخاء وكسر الزاء المعجمتين بينهما واو الى جدار رباط رامشت المقابل له فاثنان وخمسون ذراعا وربع وذلك ذرع الأروقة من الصحن . وذرع الوسط وحده طولا من الاساطين الشرقية التي تلي المسجد الكبير إلى باب ابراهيم ستة وثلاثون ذراعا وربع وثمن وذرعه عرضاً ثلاثة وثلاثون ذراعاً ونصف بالحديد . هذا تحرير

الفاسي رحمه الله (١) .

كان ذرع زيادة باب ابراهيم كما ذكره الفاسي ، واما في وقتنا هـذا فينقص ذرع هذه الزيادة بعض أذرع يسيرة بمقتضى تغيير الباب ورفعه وما احدثه الأمير خاير بك المعروف بالمعمار الجركسي من البلاط والدرج البارزة الى نفس المسجد وزوال تلك العتبة الأولى كما قدمته آنفـا انتهى والله الموفق .

ذكـر كيفية المقـامات

التي هي الآن في زمننا موجودة بالمسجد الحرام

وبيان مواضعها وكيفية الصلاة فيها وما في المسجد من

القبب والسقايات وغيرها

اما المقامات فاربع : مقام الشافعي ، وصفته تبرتان عليهما عقد لطيف مشرف من أعلاه مبيض بالنورة وخشبة معترضة للقناديل ، وهو خلف مقام الخليل عليه السلام ، واما مقام الحنفي فكان قديماً أربع أساطين من حجارة عليها سقف مدهون مزخرف واعلاه مما يلي السماء مطلي بالنورة ، وبين الأسطوانتين المقدمتين محراب مرخم وكان ابتداء عمله على هذه الصفة في اواخر سنة احدى وثمانمائة وانتهى في اوائل سنة اثنين وثمانمائة كذا ذكره الفاسي . ثم قال وانكر عمله على هذه الصفة جماعة من العلماء منهم الشيخ العلامة زين الدين الفارسكوي الشافعي ، والف في ذلك تاليفاً حسناً ، والشيخ سراج الدين البلقيني وولده الامام العلامة قاضي القضاء بالديار المصرية شيخ الاسلام جلال الدين ، وكان اذ ذاك متولياً وباقي القضاة وافتوا بهدم هذا المقام وتعزير من افتى بجواز بنائه على هذه الصفة ،ورسم ولي الأمر بهدمه ، فعارض في ذلك بعض ذوي الهوى فلم يتم الأمر ،وسبب الانكار ما حصل من شغل الأرض بالبناء وقلة الانتفاع بموضعه وما يتوقع من افساد أهل اللهو فيه لأجل سترته لهم انتهى ، وسبب المعارضة انجماعة من علماء الحنفية اذ ذاك افتوا بجواز بقائه على هذه الصفة لما فيه من النفع لعامة المسلمين من الاستظلال من حر الشمس والتوقي من البرد والمطر وان

---

(١) بياض بالاصل .

حكمه حكم الأروقة والأساطين الكائنة بالمسجد الحرام . ثم في سنة ست وثلاثين وثمانمائة كشف الأمير سودون المحمدي سقف المقام المذكور وعمره وزخرفه أحسن مما كان ووضع عليه من أعلاه قبة من خشب مبيضة تظهر من فوق ولا اثر لها من داخل المقام ، وفرش فيه حجارة حمرا تقرب من حجر الماء ، ولم يكن هذا فيه قبل ذلك ثم جدد بعد ذلك مرارا آخرها في حدود عام سبعة عشر وتسعمائة ، وقد أدركته ، وهو على هذه الصفة ، واستمر كذلك الي عام اربعة وعشرين وتسعمائة فلما حج الأمير مصلح الدين الرومي في موسم سنة ثلاث وعشرين في اول ولاية مولانا السلطان سليم بدا له ان يهدمه ، فهدمه في اول عام اربعة وعشرين وجعله قبة كبيرة شامخة على اربع بتر عراض جدا باربع عقود كل ذلك من حجر يعرف عند اهل مكة بحجر الماء يؤتي به من جهة الحديبية احمر واصفر منحوت ، وزاد في طوله وعرضه، واراد ايصاله بالمطاف فعرف بأن ذلك يؤدي الى قطع الصف الاول الذي يصلي خلف امام الشافعية ، فاقتصر وانتهى بمحرابه الى افريز حاشية المطاف، واستمر الأول متصلا واستمرت هذه القبة كذلك نحو خمس وعشرين سنة فلما كان في عام تسعة واربعين وتسعمائة برز امر مولانا سلطان الاسلام بهدم هذه القبة لما انهى اليه من شموخها واخذها جانبا كبيرا من المسجد، وكان هدمها من كرامات الشيخ محمد بن عراق رحمه الله فاني سمعت من غير واحد عن الشيخ المذكور انه كان يقول لا بد أن تهدم هذه القبة وكان كذلك وكرامات لولي حق فلما برز الأمر بذلك بادر الى هدمها الأمير خشقلدي صاحب الهمم العالية مزيل المنكرات وموسع الطرقات نقمة الله على اهل المفاسد نائب جدة المحروسة ومباشر العمائر السلطانية المانوسة اعزه الله تعالى وكان له واحسن اليه فبادر الى امتثال الأمر وحضر بنفسه على جاري عادته في علو الهمة وهدم القبة المذكورة وذلك في اوائل شهر رجب أحد شهور عام تسعة واربعين وتسعمائة ثم شرع في بناء مقام عظيم في الشهر المذكور وصفته اربع بتر لطاف في الاركان من انقاض القبة الاولى من حجر الماء وست اعمدة من حجر الصوان مثمنة كل عمود قطعة واحدة فمن ذلك عمودان بين البترتين المقدمتين الى جهة القبلة وعمودان بين البترتين الآخرتين وعمود بين البترتين من ناحية باب العمرة وعمود بين البترتين من جهة باب السلام مقابل له وعلى ذلك عشرة عقود لطاف وشقة ثلاثة منها الى جهة القبلة وثلاثة منها الى جهة آخر المقام مقابلة للثلاثة الاولى وعقدان الى جهة باب العمرة عن يمين من كان جالسا في المقام مستقبل القبلة وعقدان مقابلان لهما الى جهة باب السلام وفوق ذلك سقف مزخرف من خشب الساج بصناعة ظريفة وكان تركيب هذا السقف في يوم الخميس غرة شعبان احد شهور العام المذكور آنفا ثم جعل فوق هذا السقف ظلة المبلفين باربع بتر

وستة اعمدة الطف من الاعمدة التحتانية على حكم ما جعل اسفل عليها سقف مزخرف بعمل محكم وفوق هذا السقف جملون عليه رصاص الى جهةالسماء لدفع المطر وفي ارض السقف الأول طاقة في وسطه يرى المبلغ منها الامام وجعلت درجة لطيفة يصعد منها المبلغ الى الظلة في وقت المكتوبات وكان ابتداء تركيب سقف الظلة في يوم الثلاثاء رابع شهر رمضان وانتهى بعد الترصيص في ثالث عشر رمضان من العام المذكور واما مقام المالكي والحنبلي فكان قديماً كمقام الشافعي المتقدم بترتان عليهما عقد وفي اعلاه نحو ثلاث شراريف غير ان بين البترتين من اسفل جدارا لطيفا فيه محراب في هذين المقامين فقط ونقل الفاسي رحمه الله في كتابه شفاء الغرام أن ابتداء عمارة هذه الثلاث المقامات على هذه الصفة المذكورة كان في سنة سبع وثمانمائة ثم قال وقد ذكرنا صفتها القديمة في أصل هذا الكتاب يعني به أصل شفاء الغرام ولم يوجد هذا الاصل بعد الفاسي ولا عثر عليه مطلقاً فما كان من مقام الشافعي فهو كذلك الى يومنا هذا ، واما مقام المالكي والحنبلي فقد ادركتهما كذلك ثم غيرا بعد الثلاثين وتسعمائة قبل تأليفنا لهذا الكتاب باحسن مما كانا عليه في أيام مولانا الخنكار الاعظم سلطان الاسلام سليمان خان أدام الله أيامه ورفع بالنصر والتأييد أعلامه . وصفتهما الآن كل مقام بأربع اساطين مثمنة الشكل كل اسطوانة قطعة واحدة من الحجر الصوان المكي وتحت كل اسطوانة قاعدة منحوتة بتربيع وتثمين وفوقها أخرى كذلك من الحجر الصوان وفوق ذلك سقف من الخشب المدهون المزخرف وفوقه الى جهة السماء أخشاب هيئة جملون عليها صفايح الرصاص لأجل المطر وفي كل مقام محراب فيما بين الاسطوانتين المقدمتين الى جهة القبلة وهما كذلك الى هذا التاريخ ، وكان المباشر لذلك عبد الكريم اليازجي الرومي والله أعلم .

(ذكر كيفية صلاة الأئمة)

بهذه المقامات وبيان مواضعها من المسجد الحرام

اما كيفية الصلاة فانهم في زماننا هذا يصلون مرتبين الشافعي في مقام الخليل عليه السلام ثم الحنفي امام الحنفية بعده في مقام الحنفية ثم امام المالكية بعده في مقامه المتعين له ثم امام الحنابلة بعده في مقامه وهذا في الاربع الفروض الفجر والظهر والعصر والعشاء وأما صلاة المغرب فكان فيما ادركناه قريباً يصلى الحنفي والشافعي معاً في وقت واحد فحصل بذلك التخليط والتشويش على المصلين من الطائفتين بسبب اشتباه اصوات المبلغين

فأنهى ذلك الى مولانا السلطان سليمان فبرز أمره بالنظر في ذلك وازالةهذا التخليط فاجتمع القضاة والامير علي بك نائب جدة في الحطيم واقتضى رأيهم أن الحنفي يتقدم في صلاة المغرب وعند التشهد يدخل امام الشافعي وكان هذا في حدود احدى وثلاثين وتسعمائة واستمر ذلك الى وقتنا هذا عام تسعة واربعين وتسعمائة فجزى الله الساعي في ذلك خيرا واما المالكي والحنبلي فلا يصلون المغرب فيما أدركناه واما كيفية الصلاة فيما تقدم من الزمان فكانوا يصلون مرتبين كمـا في الاربع الفروض المتقدمة الا ان المالكي كان يصلي قبل الحنفي مدة ثم تقدم عليه الحنفي بعد التسعين بتقديم التاء على السين وسبعمائة ونقل الفاسي عن ابن جبير ما يقتضي أن كلا من الحنفي والحنبلي كان يصلي قبل الآخر اما صلاة المغرب فكانوا يصلونها جميعاً اعني الأربعة الأئمة في وقت واحد فيحصل للمصلين بسبب ذلك لبس كثير من اشتباه اصوات المبلغين واختلاف حركات المصلين فأنكر العلماء ذلك وسعى جماعة من اهل الخير عند ولي الأمر إذ ذاك وهو الناصر فرج بن برقوق الجركسي صاحب مصر فبرز أمره في موسم سنة احدى عشرة وثمانمائة بأن الامام الشافعي بالمسجد الحرام يصلي المغرب بمفرده فنفذ امره بذلك واستمر الحال كذلك الى ان تولى الملك المؤيد شيخ صاحب مصر فرسم بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب كما كانوا قبل ذلك فابتداوا بذلك في ليلة السادس من ذي الحجة عام سنة عشر وثمانمائة واستمروا يصلون كذلك الى (١) واما وقت حدوث صلاة الأئمة المذكورين على الكيفية المتقدمة فقال الفاسي رحمه الله لم أعرفه تحقيقاً ثم نقل ما يدل على أن الحنفي والمالكي كانا موجودين مع الشافعي في سنة سبع وتسعين بتقديم السين في الكلمة الأولى والتاء في الثانية وأربعمائة وان الحنبلي لم يكن موجودا في ذلك الوقت وانما كان امام الزيدية ثم قال ووجدت ما يدل على ان امام الحنابلة كان موجودا في عشر الاربعين وخمسمائة والله تعالى أعلم (وأما بيان محل المقامات المذكورة من المسجد الحرام) فان مقام الشافعي خلف مقام الخليل ولكن ما يصلي امام الشافعية إلا في مقام الخليل قديما وحديثا ومقام الحنفي بين الركنين الشامي ويسمى العراقي أيضاً والغربي عن يمين مقام الخليل في جهة الشام تجاه جدار الكعبة الذي فيه الميزاب قريب من حاشية المطاف ومقام المالكي بين الركنين الغربي واليماني قريبمن الحاشية ومقام الحنبلي تجاه الحجر الأسود وقربه من المطاف كقرب مقام الحنفي .

---

(١) بياض بالأصل .

(ذكر ما في المسجد الحرام من القبب وغيرها)

فيه الآن قبتان كبيرتان متقاربتان جدا الى جانب بئر زمزم من جهة المشرق احداهما وهي التي تلي زمزم معدة لمصالح المسجد كالمصاحف (١) والربعات الموقوفة وحفظ الفوانيس والشمع والشمعدانات النحاس والمسارج النحاس والكراسي الخشب التي ترفع عليها الرباع وما اشبه ذلك من الاشياء الموقوفة لمصالح المسجد الحرام ولم اقف على ابتداء عمارتها متى كانت جددها الناصر العباسي وكانت موجودة قبله وذكر الفاسي رحمه الله ما يدل على انها قديمة لانه نقل عن ابن عبد ربه أنه ذكرها في العقد وان ابن عبد ربه توفي سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ونقل ايضاً عن ابن جبير انه ذكر هذه القبة في اخبار رحلته وذكر انها تنسب لليهودية ولم يبين سبب هذه النسبة.

(والقبة الثانية) هي سقاية العباس عمرت في سنة ٨٠٧ وخلف سقاية العباس ملاصقاً لجداره محل لطيف مسقوف فيه آلات الوقادة كالعيدان التي ينزل بها القناديل ويسرج بها وكالقصب المجوف الذي يطفأ به المصابيح وبعض شيء من الزيت الذي يحتاج اليه لوقيد الشهر وبعض شيء من القناديل الزجاج والحراريق التي توقد على المقامات في الليالي المباركة كليلة اول المحرم وليلة العشر منه وليلة النصف من شعبان وليلة أوائل الشهور وغير هذا (ومنها) في المسجد الحرام بئر زمزم ومحلها تجاه الحجر الأسود في محل مرخم عليه سقف وفوقه ظلة مسقفة بالخشب المزخرف وفوقه جمالون بقبة في الوسط مصفح بالرصاص وقد جدد ذلك في عام ثمانية واربعين وتسعمائة على يد الأمير خشقلدي كان الله له تجديدا حسنا ، وفي هذه الظلة خزانة لطيفة فيها مناكيب زجاج لمعرفة أوقات الصلاة ، والى جانبها مزولة يعلم بها الماضي والباقي من النهار وفي الظلة يؤذن رئيس المؤذنين ويبلغ خلف امام الشافعية في الصلوات الخمس هذا وفي زيادة باب ابراهيم حاصلان مسقوفان باباهما في نفس الزيادة معدان لحفظ اخشاب المسجد المنكسرة والمنابر الدائرة والرصاص المتقلع وغير ذلك من الانقاض عمرا في حدود سبعة عشر وتسعمائة او في الذي قبله في زمن السلطان الغوري على يد الأمير خاير بك العلائي المعروف بالمعمار هذا في المسجد الحرام مما اعد لمصالحه ومما احدث لمصالح المسجد الحرام حاصلان كبيران في زيادة دار الندوة على يسار النازل من باب سويقة احد أبواب المسجد الحرام احدثهما الجناب الكريم ذو الهمة العظيمة والراي المستقيم الأمير خشقلدي

---

(١) منها مصحف عثمان رضي الله عنه على ما يقال اهـ شفاء الغرام .

اعز الله جنابه واجزل اجره وثوابه وكان مبدأ عمارتهما في شهر رجب ايضاً عام تسعة واربعين وتسعمائة وكانت عمارتهما في هذا المحل في غاية الصواب لأن محلهما كان به دكة عالية وربما يحصل فيها او قد حصل من المفاسد ما الله اعلم به فانصان ذلك المحل بعمارة هذين الحاصلين وزال ما يتوقع من المفاسد ونقل الزيت المتعلق بالمسجد من محله الأول الذي كان خارج المسجد الى احد هذين الحاصلين وصار ذلك أحفظ له كل هذا بهمة الأمير المذكور وحسن رايه جزاه الله تعالى خيرا والله اعلم .

(ذكر عدد ابواب المسجد الحرام)

(وأسمائها وبيان محلها من المسجد)

للمسجد الحرام الآن من الابواب تسعة عشر بابا بثمانية وثلاثين منفذا فمن ذلك بالجانب الشرقي اربعة ابواب بأحد عشر منفذا الأول باب السلام ويعرف قديما بباب بني شيبة وهو ثلاثة منافذ (الثاني) باب الجنائز وسمي بذلك لأن الجنائز قديما كان يخرج بها منه وهو منفذان وعرفه الازرقي بباب النبي عليه السلام لأنه كان يخرج منه الى منزله دار خديجة زوجته ويدخل منه (الثالث) باب العباس بن عبد المطلب لأنه يقابل داره التي بالمسعى وهو ثلاثة منافذ (الرابع) باب علي وهو ثلاثة منافذ ايضاً وعرفه الأزرقي بباب بني هاشم وبباب البطحاء ايضا (ومن ذلك) بالجانب الشامي خمسة ابواب بستة منافذ (الأول) باب الدريبة منفذ واحد على يمين الداخل الى المسجد من باب السلام (الثاني) باب سويقة في صدر زيادة دار الندوة منفذان (الثالث) باب الزيادة غربي الزيادة المذكورة على يمين الداخل الى المسجد الحرام من باب سويقة وهو منفذ واحد (الرابع) باب العجلة وسمي بذلك لكونه عند دار كانت تسمى قديماً دار العجلة ولم أدر ما هذه العجلة وهو منفذ واحد (الخامس) باب السدة لكونه سد ثم فتح وعرفه الأزرقي بباب عمرو بن العاص رضي الله عنه وسكن مؤلف هذا الجامع على يسار النازل من هذا الباب الى المسجد الحرام بجوار المسجد فلله الحمد على اختصاصي بجوارين وهو منفذ واحد (ومن ذلك) بالجانب الغربي ثلاثة ابواب بأربعة منافذ (الأول) باب العمرة لأن المعتمرين من جهة التنعيم يخرجون منه ويدخلون منه في الغالب وسماه الأزرقي باب بني سهم وهو منفذ واحد (الثاني) باب ابراهيم منفذ واحد كبير اكبر ابواب المسجد في الزيادة التي بهذا الجانب قال الفاسي وابراهيم المنسوب اليه هذا الباب كان خياطا عنده

على ما قيل كما ذكره البكري في كتاب المسالك والممالك وان العوام تنسبوه اليه ووقع للحافظ ابي القاسم ابن عساكر وابن جبير وغيرهما من العلماء ما يقتضي انه الخليل عليه السلام وهو بعيد لا وجه له والله اعلم انتهى (الثالث) باب الحزورة المصحف الآن بعزورة بالعين المهملة وهو منفذان وعرفه الازرقي بباب بني حكيم ابن حزام بالحاء المهملة المكسورة والزاء المعجمة وبباب بني الزبير بن العوام ايضا ثم قال والغالب عليه باب الحزامية لانه يلي خط الحزامية (ومن ذلك) بالجانب الجنوبي سبعة ابواب بسبعة عشر منفذا الاول باب ام هانيء بنت ابي طالب وبذلك عرفه الأزرقي وهو منفذان وذكر الفاسي انه يسمى بباب الملاعبة لانه بحذاء دار تنسب للقواد الملاعبة يعني في زمنه وعرفه الاقشهري بباب الفرج ونسبته الى ام هانيء وهو الأشهر الى يومنا هذا لأن ما يليه من المسجد كان دارا لام هانيء وكان عندها بئر جاهلية فدخلت الدار والبئر في المسجد في زيادة المهدي الثانية فحفر المهدي عوضا بئر على باب البقالين في حد ركن المسجد الحرام نبه عليه الأزرقي (اقول) اهل هذه البئر التي هي عند باب الحزورة على يسار الخارج من المسجد الحرام يغسل منها الأموات الطرحاء الفقراء الآن فاني لا اعلم هناك بئرا غيرها وفي هذا دلالة على ان باب البقالين هو باب الحزورة كما سبق التنبيه عليه انتهى (الثاني) باب مدرسة الشريف عجلان لانها بجانبه كذا عرفه الفاسي وعرفه الأزرقي بباب بني تيم وهو منفذان (الثالث) باب المجاهدية لأن عنده مدرسة الملك المجاهد صاحب اليمن كذا عرفه الفاسي ويقال له باب الرحمة وما عرفت سبب هذه التسمية وذكر الأزرقي انه من أبواب بني مخزوم وهو منفذان (الرابع) باب اجياد الصغير منفذان كذا عرفه ابن جبير وعرفه ايضا بباب الحلقيين ولم اعرف ما المراد بذلك وعرفه الأزرقي بباب بني مخزوم (الخامس) باب الصفا خمسة منافذوعرفه الفقهاء في المناسك بباب بني مخزوم وكذا عرفه الازرقي ايضا وسببتعريف هذه الابواب ببني مخزوم كونهم كانوا ساكنين في تلك الجهة (السادس) باب البغلة بباء موحدة وغين معجمة وهو منفذان كذا عرفة الفاسي ولم ادر ما سبب هذه الشهرة وعرفه الازرقي بباب بني سفيان (السابع) باب باذان كذا سماه الفاسي وقال لأن عين مكة المعروفة بباذان عنده وعرفه الازرقي بباب بني عائذ وهو منفذان (اقول) في عبارة الفاسي بعضتسامح لان باذان هو المحل الذي تمر فيه عين مكة ينزل اليه بدرج لانفس العين الجارية وكل محل ينزل اليه بدرج ويكون مستطيلا يسمى باذان في عرف أهل هذا الزمان وفي مكة الآن ثلاثة أماكن الثالث بغير درج والظاهر اندرجة ازيلت فيحتمل أن عين مكة كانت تسمى في ذلك الوقت باذان وسمي هذا

المحل باسم العين ويحتمل ان يكون من باب تسمية الحال باسم المحل انتهى فهذه عدة ابواب المسجد الحرام الموجودة الآن والله اعلم .

الباب الثامن

(في فضل أهل مكة واحترامهم)

ومزيد شرفهم واكرامهم وذكر شيء من فضل قريش ونسبة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة

روى الأزرقي في تاريخه عن وهب بن عتبة ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الأرض استوحش لما راى من سعتها ولم ير فيها احدا غيره فقال يارب اما لأرضك هذه عامر يسبحك فيها ويقدس لك غيري فقال له سأجعل فيها من ذريتك من يسبح بحمدي ويقدس لي وسأجعل فيها بيوتا لذكري ويسبحني فيها خلقي وسابوئك فيها بيتا أختاره لنفسي واختصه بكرامتي وآثره على بيوت الأرض كلها باسمي فأسميه بيتي وانطقه بعظمتي واجوزه بحرماتي واجعله احق بيوت الأرض كلها واولاها بذكري واجعله في البقعة التي اخترت لنفسي فاني اخترت مكانه يوم خلقت السموات والأرض واجعل ذلك البيت لك ولمن بعدك حرما وأمنا احرم بحرماته ما فوقه وما تحته وما حوله فمن حرمه بحرمتي فقد عظم حرماتي ومن احله فقد اباح حرماتي ومن آمن أهله فقد استوجب بذلك اماني ومن أخافهم فقد اخفرني في ذمتي ومن عظم شأنه عظم في عيني ومن تهاون به فقد صغر في عيني ولكل ملك حيازة مما حواليه وبطن مكة خيرتي وحيازتي وجيران بيتي وعمارها وفدي واضيافي في كنفي ضامنون علي في ذمتي وجواري فأجعله اول بيت وضع للناس واعمره بأهل السماء واهل الأرض يأتون أفواجا شعثا غبرا على كل ضامر يأتين من كل فج عميق يعجون بالتكبير عجيجا ويرجون بالتلبية رجيجا وينتحبون بالبكاء نحيبا فمن اعتمره لا يريد غيره فقد زارني ووفد الي ونزل بي ومن نزل بي فحقيق عليَّ ان اتحفه بكرامتي وحق على الكريم ان يكرم وفده واضيافه وأن يسعف كل واحد منهم بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره من بعدك الأمم والقرون والأنبياء امة بعد امة وقرن بعد قرن ونبي بعد نبي حتى ينتهي ذلك الى نبي من ولدك وهو خاتم النبيين فأجعله من عماره

وسكانه وحماته وولاته وسقاته يكون اميني عليه ما كان حيا واجعل اسم ذلك البيت وذكره وشرفه لنبي من ولدك قبل هذا النبي وهو ابوه يقال له ابراهيم ارفع له قواعده واقضي على يديه عمارته وانيط له سقايته واريه حله وحرمه ومواقفه واعلمه مشاعره ومناسكه واجعله امة واحدة قانتا لي قائما بأمري اجتبيه واهديه الى صراط مستقيم استجيب له في ولده وذريته من بعده واشفعه فيهم فاجعلهم اهل ذلك البيت وولاته وحماته وسقاته وخدامه وخزانه وحجابه حتى يبتدعوا ويغيروا فاذا فعلوا ذلك فانا الله اقدر القادرين على أن استبدل من اشاء بمن اشاء اجعل ابراهيم امام اهل ذلك البيت واهل تلك الشريعة يأتم به من حضر تلك المواطن من جميع الانس والجن يطأون فيها آثاره ويتبعون فيها سنته ويقتدون فيها بهديه فمن فعل ذلك منهم اوفى نذره واستكمل نسكه ومن لم يفعل ذلك منهم ضيع نسكه واخطأ بغيته فمن سأل عني يومئذ في تلك المواطن اين انا فانا مع الشعث الغبر الموفين بنذرهم المستكملين مناسكهم المبتهلين الى ربهم الذي يعلم ما يبدون وما يكتمون وليس هذا الخلق وهذا الأمر الذي قصصت عليك شأنه يا آدم بزائد في ملكي ولا عظمتي ولا سلطاني ولا شيء مما عندي إلا كما زادت قطرة من رشاش وقعت في سبعة ابحر تمدها من بعدها سبعة ابحر لايحصى ٧ بل القطرة ازيد في البحر من هذا الأمر في شيء مما عندي ولو لم اخلقه لم ينتقص شيء من ملكي ولا عظمتي ولا مما عندي من الغنى والسعة إلا كما نقصت الارض ذرة وقعت في جبالها وترابها وحصاها ورمالها واشجارها بل الذرة انقص للارض من هذا الأمر لو لم اخلقه لشيء مما عندي وبعد هذا من هذا مثلا للعزيز الحكيم انتهى بنصه وجاء في الحديث أن سفهاء مكة حشو الجنة كذا نقل عن ابي العباس الميورقي . ووقع بين عالمين منازعة في الحرم المكي في تأويل هذا الحديث وسنده فكابر أحدهما وطعن في سند الحديث ومعناه فاصبح وقد طعن انفه واعوج ، وقيل له ان والله سفهاء مكة من اهل الجنة سفهاء مكة من اهل الجنة سفهاء مكة من اهل الجنة ثلاثا فأدركه روع وخرج الى الذي كان يكابره في الحديث من علماء عصره ، واقر على نفسه بالكلام فيما لا يعنيه وفيما لم يحط به خبرا . قال القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله بلغني ان الرجل المنكر للحديث هو الامام تقي الدين محمد بن اسماعيل بن أبي الصيف اليمني الشافعي نزيل مكة ومفتيها . وانه كان يقول انما الحديث اسفاء مكة اي المحزونون فيها على تقصيرهم . والله أعلم انتهى . وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال : لمقبرة مكة نعم المقبرة هذه . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال وقف رسول الله عليه السلام على المقبرة يعني مقبرة مكة وليس فيها

يومئذ مقبرة قال يبعث الله عز وجل من هذه البقعة أو من هـــذا الحرم سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر ، فقال ابو بكر رضي الله عنه ومن هم يا رسول الله قال : هم الغرباء . قال الجد رحمه الله بعد ان ذكر هذا الحديث فـي منسكه ، وانما ذكرت هذا الحديث في فضل اهل الحرم لان الغرباء المدفونين في الحرم صاروا من اهل الحرم في الجملة ، ويروى ان اهل مكـة كـانوا يلقبون فيما مضى باهل الله ، وهذا من اهل الله ذكره الأزرقي وغيره . اقول المراد بأهل مكة قريش وبما مضى حال شركهم وكفرهم كما ذكره اهل السير فبالأولى أن يقال لهم بعد ان اكرمهم الله بدين الاسلام واعزهم بنبيه عليـه افضل الصلاة والسلام فطوبى لأهل مكة ثم طوبى انتهى . وعنه صلى الله عليه وسلم انه سأل الله عما لاهل بقيع الغرقد فقال لهم الجنة ، فقال يارب مالأهل المعلاة قال يا محمد سألتني عن جوارك فلا تسألني عن جواري ، والغرقـد بالغين المعجمة ؛ وعن عبدالله بن عمرو بن العاص انه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن اسيد على مكة قال له هل تدري الى من ابعثك؟ ابعثك الى أهل الله زاد الأزرقي فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا ، واخرج الأزرقي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عزل عامله رافع بن حارث الخزاعي لاستعماله على اهل مكة مولاه عبدالرحمن بن ابزي ، واشتد غضبه عليه لذلك ، ولـم يسكن غضبه عن رافع الا حين اخبر ان ابن أبزي قارىء لكتاب الله تعـالى عالم بالفرائض ، وتواضع حينئذ عمر رضي الله عنه وقال لئن كان كذلك فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . ان الله يرفع بهذا الديـن اقواماً ويضع به آخرين ، وفي رواية بهذا القرآن . اقول ما تقرر من الفضل المذكور لأهل مكة ، فهو على سبيل العموم للصالح منهم والطالح كما دل عليه سياق الكلام الذي هو في مقام الامتنان ويشهد لذلك الحديث المتقدم آنفاً سفهاء مكة حشو الجنة ، وهذا مما لا يخفى على من له ادنى تأمل ، وهـذا الفضل لا يشاركهم فيه احد بل تميزوا به وشاركوا غيرهم في اعظم الأمور ، وهو الاسلام ، وكذلك الحج فان الواحد منهم منذ سقط راسه والى حيـن وفاته يحج هذا البيت اذا كان مقيما فان احرم عنه وليه في كل عام الى حين بلوغه فلا ريب في تسميته حاجاً وحصول ثواب الحج النفل ، والا فقـد شهد المشاعر العظام ولا يتهيأ هذا لغيرهم ، وهذا حال اكثرهم فلله الحمد والمنة على ذلك فلو خصص الله احدا منهم بزيادة خلة بفتح الخاء ، وهـي الخصلة من خصال الخير اما علم او ورع أو زهد او تقوى او صلاح فـلا ريب حينئذ في زيادة فضله وشرفه وعلو مقامه ، وأما من جمع الله فيه هذه الخصال فبخ بخ له ، واين ذاك فان كان من قريش واجتمع فيه ما تقدم من

النعوت فلا كلام حينئذ في زيادة شرفه لما ان كثرة الخصال الحميدة والأوصاف المجيدة مما يدل على شرف القائم بها وزيادة فضله لا سيما اذا كان ثابت التوالد بمكة هو وابوه واجداده جاهلية واسلاماً . وذلك لفضل قريش مطلقاً على جميع العرب ولما خصهم الله به من سني المجد ورفيع النسب . انتهى والله الموفق .

(فصل)

فيما ورد في حق قريش من الآيات والأحاديث والآثار

قال الله تعالى : « لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف» السورة قال الكواشي اصل الرحلة السير على الراحلة ثم استعمل لكل سير وقرىء بضم الراء ، وهي الجهة يرحل اليها . واراد رحلتي الشتاء والصيف فأفرد للعلم بـه لان قريشاً كانت ترتحل كل عام للتجارة رحلتين رحلة شتاء الى اليمن لانه ادفأ ، ورحلة صيف الى الشام يستعينون بهما على المقام بمكة ، وقريش من ولد النضر بن كنانة ، ومن لم يلده فليس بقرشي انتهى والأشهر ان كل من كان من ولد فهر بن مالك فهو قرشي ، ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي . وهو جماع قريش بأسرها ، والدليل على صحة ذلك انه لا يعلم قرشي من كتب النسب اليوم ان قريشا تنسب الى اب فوق فهر، وفهر لقب له والذي سمته به امه قريش ، وسيأتي آنفا سبب تسميته بذلك بأبسط من هذا ان شاء الله تعالى . قال صاحب المدارك . وكانت قريش في رحلتهم آمنين لانهم اهل حرم الله فلا يتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم والتنكير في جوع وخوف لشدتهما يعني اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما . وآمنهم من خوف عظيم ، وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسيرهم وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم انتهى ملخصا . وقال تعالى وانه لذكر لك ولقومك قيل في تفسيرها يقال ممن هذا الرجل فيقال من العرب فيقال من ايهم فيقال رجل من قريش . وعن ابن عباس وانه لذكر لك ولقومك شرف لك ولقومك وقال تعالى : « لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » اي فيه شرفكم وقال تبارك وتعالى « وانذر عشيرتك الاقربين » المراد قريش . وقال تعالى« ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت » اي كريم يعني قريشا . وقال تعالى: « قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى » اي لا اسألكم اجرا الى ما ادعوكم اليه الا ان لا تؤذوني بقرابتي منكم وتحفظوني بها ولا تكذبوني قال

ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط النسب في قريش ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده * وأما ما ورد في حقهم من الأحاديث فكثيرة من ذلك في صحيح البخاري قوله صلى الله عليه وسلم الناس تبع لقريش وفيه أيضا ان هذا الأمر في قريش لايعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين وفيه لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان وفي الفائق بلفظ ما بقي في الناس اثنان قال العلامة السيوطي في شرح هذا الحديث هو خبر بمعنى الأمر والا فقد خرج الأمر عنهم من اكثر من مائتي سنة ويحتمل ان يكون على ظاهره وانه مقيد بقوله في الحديث الآخر ما أقاموا الدين ولم يخرج عنهم إلا وقد انتهكوا حرماته انتهى . وفي الفائق عنه صلى الله عليه وسلم : اذق اللهم آخر قريش نوالا كما اذقت أولهم وبالا وفيه عنه صلى الله عليه وسلم استقيموا لقريش ما استقاموا لكم وفيه عنه صلى الله عليه وسلم خير نساء صلح نساء قريش احناهن على ولد وأرعاهن ازوج وفيه عنه صلى الله عليه وسلم خيار قريش خيار الناس وفيه عنه صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فرايت قصرا من ذهب فقلت لمن هذا فقيل لرجل من قريش وفيه عنه صلى الله عليه وسلم ذروا فعل قريش وخذوا بقولهم . اقول يحتمل ان هذا قاله صلى الله عليه وسلم في ابتداء الأمر قبل اسلام قريش وهو الظاهر من فحوى الكلام وفيه من التنويه بشانهم مالا يخفى حيث كانت أقوالهم سديدة معتبرة وهم في تلك الحال المطبوع على قلوبهم فيها ومع ذلك فقد أمر صلى الله عليه وسلم بالأخذ بقولهم ويحتمل ان ذلك بعد اسلامهم ويحمل على بعض منهم كانت أفعالهم غير مستقيمة ويحتمل ان يكون ذلك في واقعة مخصوصة اقتضاها الحال وهذا مني على سبيل البحث وما ادى اليه الفهم والا لم اقف على كلام في ذلك انتهى : وفيه عنه صلى الله عليه وسلم : شرار قريش خير شرار الناس وفيه عنه صلى الله عليه وسلم : قريش اهل الله وخاصته وفيه عنه صلى الله عليه وسلم : اسرع الناس فناء قريش وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قريش هم الأنصار ليس لهم دون الله ورسوله مولى قرت عين من أطعم الناس الطعام . اقول قوله في آخر الحديث قرت عين من اطعم الناس الطعام يحتمل ان يكون الكلام راجعا الى قريش ويصير المعنى من اطعم احداً من قريش الطعام قرت عينه ويكون فيه حث على قراء الاضياف ومكارم الأخلاق لأن العرب قديماً وحديثاً يفتخرون بذلك ويتمادحون به وهذا هو الأشبه الذي سبق اليه الفهم ويحتمل أن يرجع الى غيرهم ممن يكرم قريشاً ويقريهم ويطعمهم وعلى كلا التقديرين ففيه اشارة لهم ومدحة انتهى وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قدموا قريشاً ولا تتقدموهم وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا

اهانه الله وفيه عنه صلى الله عليه وسلم من يرد إهانة قريش يهنه الله فتأمل هذه الكرامة التي اكرمهم الله بها وان بمجرد النية جوزي بالاهانة على حد قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فسبحان من فضل بعض الناس على بعض وفيه صلى الله عليه وسلم لا يبغض قريشا رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وفيه عنه صلى الله عليه وسلم قال اني امرؤ من قريش فمن نال من قريش شيئا فقد نالني رواه الزبير بن بكار . وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال صلب الناس قريش وهل يمشي الرجل بغير صلب . وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال قريش كالملح فهل يطيب طعام إلا به ولولا ان تطغى وفي رواية ان تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله عز وجل . وعنه صلى الله عليه وسلم امان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش قريش اهل الله فاذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب ابليس رواه ابو نعيم . وعنه صلى الله عليه وسلم اللهم فقه قريشا في الدين. وعنه صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشا فان عالمها يملأ الأرض علما قال بعض العلماء ان هذا العالم هو الامام الشافعي رضي الله عنه لان علمه قد ظهر وانتشر في البلاد وكتبت كتبه كما كتب المصاحف ودرسها المشايخ والشبان واستظهروا اقاويله واجروها في مجالس الحكام والقراء والأمراء وهذه صفة لا نعلمها قد احاطت باحد إلا بالامام الشافعي إذ كل واحد من قريش من علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم وان كان علمه قد ظهر وانتشر لكنه لم يبلغ مبلغا يقع تاويل هذه الرواية عليه والى مثل هذا التأويل ذهب الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه . وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تعلموا قريشا وتعلموا منها فان أمانة الأمين من قريش تعدل امانة الاثنين من غيرهم . وللقريشي قوة الرجلين من غير قريش وعقل الرجل من قريش عقل رجلين من غيرهم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان قريشا اهل امانة وصدق فمن بغى لهم الغوائل وفي رواية العواثر اكبه الله لوجهه في النار يوم القيامة. وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال أحبوا قريشا فان من احبهم أحبه الله تعالى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لأبي الدرداء يا ابا الدرداء إذا فاخرت ففاخر بقريش . وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعائشة ان اول من يهلك من الناس قومك فقالت فما بقاء الناس بعدهم فقال صلى الله عليه وسلم هم صلب الناس إذا هلكوا هلك الناس وفي رواية انها قالت فكيف الناس بعد ذلك او عند ذلك فقال عليه السلام دباء ياكل شداده ضعافه حتى تقوم الساعة . والدباء التي لم تنبت اجنحتها من الجراد . وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى فضل قريشا بسبع خصال لم يعطها احدا قبلهم ولا بعدهم فضلهم بأني منهم وان النبوة فيهم والحجابة فيهم

والسقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لم يعبده فيها احد غيرهم وانزل الله فيهم سورة من القرآن لم يشركهم فيها احد غيرهم يعني لايلاف قريش وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء من بدر سمع رجلا من الانصاروهو يقول وهل لقينا إلا عجائز كالجزر المعلقة فنحرناها فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لا تقل ذاك يا ابن اخي اولئك الملأ الاكبر من قريش اما انك لو رايتهم في مجالسهم بمكة هبتهم فوالله لقد اتيت مكة فرايتهم قعودا في المسجد في مجالسهم فما قدرت ان اسلم عليهم من هيبتهم . وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال عبد مناف عز قريش واسد بن عبد العزى عضدها وركحها وزهرة الكبد وتيم وعدي رئتها ومخزوم فيها كالاراكة في نضرتها وجمح وسهم جناحاها وعامر ليوثها وفرسانها وكل تبع لولد قصي والناس تبع لقريش وركحها بكسر الراء المهملة ثم كاف ثم حاء مهملة والاحاديث في فضلهم كثيرة لا يحملها هذا التعليق ، وفيما ذكرته مقنع ، واما ما ورد في حقهم من الآثار ، فروي عن عروة بن الزبير انه قال : كانت قريش في ايام الجاهلية تدعى العالمية للعلم ، وعن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال لما امر عثمان رضي الله عنه زيد بن ثابت وسعيد بن العاص ، وعبدالله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم ان ينسخوا المصحف من الصحف التي جمع فيها القرآن في خلافة الصديق رضي الله عنه . قال لهم ، اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في عربية من القرآن فاكتبوها بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا فلما بلغوا ذكر التابوت قال زيد بن ثابت رضي اللهعنه التابوه بالهاء ، وهي لغة الأوس والخزرج ، فاختلفوا فأمر عثمان ان يكتب بالتاء بلغة قريش قال الله تعالى . « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه » وعن هشام بن عروة بن الزبير انه قال : كان لقريش في ذلك ضابط كمملكة فارس ، وليس لهم ملك ، وانما كان ذلك بأحلامهم ،وكان كالسلطان الضابط وكان يقال لهم قطين الله ، وذكر ان العربي من غير قريش كان فيما مضى لم يقدر على الخروج من دار قومه في غير الأشهر الحرم الا في جماعة وكان القرشي يخرج وحده حيث شاء واني شاء فيقال رجل من اهل الله عز وجل ، فلا يعرض له عارض ، ولا يريبه احد ولم يعهد ان الحرم غزي ولا سبيت قرشية في جاهلية ولا اسلام قط ، ويروى ان كنانة ابن خزيمة بن مدركة اتى في منامه وهو في الحجر ، فقيل له تخيَّر يا ابا النضر بين الصهيل والهدرة او عمارة الجدر او عز الدهر فقال كلاً يارب فصار كل هذا من قريش ، وكانت قريش على ارث من دين ابويهم ابراهيم واسماعيل صلوات الله عليهما من قرى الضيف ورفد الحاج وتعظيم مكة

المكرمة ، ومنع الملحد والباغي فيها وقمع الظالم ونصر المظلوم غير ان اوائلهم دخلت فيهم احداث غيرت اصول الحنيفية دين ابراهيم وطال الدهر حتى افضى بهم ذلك الى الجهل بشمار الدين والضلال عن سنن التوحيد فمحا الله عز وجل ذلك كله بنبيه محمد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم فانقذهم به من الضلالة وهداهم من العماية والجهالة .

استطراد مهم

حيث ذكرت شيئا من فضائل قريش رأيت أن اذكر نسب سيد قريش وصميمهاوغلصمتها وعظيمها سيدنا محمدا خاتم النبيين وحبيبرب العالمين ونسب اصحابه العشرة الكرام البررة وذكر شيء من مناقبهم واحوالهم على سبيل الاختصار لتشمل بركتهم هذا المؤلف ويسطر ثواب ذلك في صحائف المؤلف لما ان العشرة رضوان الله عليهم كلهم من قريش ونسبهم متصل بنسبه صلى الله عليه وسلم فاقول :

اما نسبه صلى الله عليه وسلم فهو (سيدنا محمد بن عبد الله الذبيح) وسيأتي سبب تسميته بذلك قريبا في فضل زمزم ان شاء الله تعالى (ابن عبدا لمطلب) واسمه شيبة الحمد ، وقيل عامر وانما قيل له شيبة الحمد لشيبة كانت في ذوابته ظاهرة ، وكنيته ابو الحارث بابن له ، وانما قيل له عبد المطلب لأن اباه هاشما قال لاخيه المطلب وهو بمكة حين حضرته الوفاة ادرك عبدك بيثرب ، فسمي عبد المطلب لهذا ، وقيل انعمه المطلب جاء به الى مكة رديفة ، وهو بهيئة غير لائقة فسألوه عنه فقال هو عبدي حياء ان يقول هو ابن اخي ، وهو بتلك الحالة ، فلما ادخله واحسن من حاله اظهر انه ابن اخيه فلذلك قيل له عبد المطلب ، وقيل انه كان اسمر اللون فلما جاء به مردفة خلفه ظن الناس انه عبده فقالوا قدم المطلب بعبد ، فلزمه ذلك (ابن هاشم) ، واسمه عمرو العلا وانما سمي هاشما لأنه كان يهشم الثريد لقومه في ايام الجدب والمجاعة ، وفيه يقول القائل :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وبلغ في الكرم مبلغا عظيما حتى انه كان يطعم الوحش والطير فينحر لهما في رءوس الجبال ، واذا وقع القحط اطعم الناس ، وامر الموسرين من اهل مكة بالانفاق على فقرائهم حتى يأتي الله بالغيث . ثم انه وفد الشام على قيصر فأخذ كتابا بالأمان لقريش ، وارسل اخاه المطلب الى اليمن فأخذ من ملوكهم كتابا أيضا ثم امر بذلك تجار قريش برحلتي الشتاء والصيف ،

فكانوا يرحلون في الصيف الى الشام . وفي الشتاء الى اليمن كما تقدم فاتسعت من يومئذ معيشتهم بالتجارة . وانقذهم الله من الخوف والجوع ببركة هاشم . (ابن عبد مناف) . وكان يسمى قمر البطحاء لصباحته . وهو الذي قام مقام أبيه قصي بالسيادة وسقاية الحاج . وكان يسمى المغيرة على ما قيل . وكنيته أبو عبد شمس (ابن قصي) . واسمه زيد . وقيل يزيد . وانما قيل له قصي لأنه ذهب مع أمه فاطمة بنت سعد من بني عذرة ونشأ مع أخواله . وبعد عن مكة فسمي لذلك قصياً مأخوذ من القاصي . وهو البعيد . وكان يدعى مجمعا لأنه لما كبر وعاد الى مكة جمع قريشاً من البوادي . وردها الى مكة بعد ان تفرقت . واخرج خزاعة منها فلذا سمي مجمعا . وفيه يقول الفضل بن عباس بن أبي لهب :

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

(ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر) واسمه قريش . وبه سميت قريش على أحد الأقوال . وقيل أول من سمي قريشا قصي . وهو ضعيف وسيأتي قريبا ما عليه الاعتماد في ذلك ان شاء الله تعالى (ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة) واسمه عامر وقيل عمرو . وانما سمي مدركة على ما قيل لأنه جرى خلف أرنب فادركها فسماه أبوه مدركة (ابن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان) هذا هو المجمع عليه . وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى عدنان امسك وقال كذب النسابون فيما وراء ذلك . (وآباؤه صلى الله عليه وسلم كلهم سادات مامنهم الا من هو سيد قومه في عصره) وما أحسن ما قيل في هذا المعنى :

فاولئك السادات لم تر مثلهم عين على متتابع الاحقاب
لم يعرفوا رد العفاة وطال ما ردوا عداتهم على الأعقاب
زهر الوجوه كريمة احسابهم يعطون سائلهم بغير حساب
حلموا الى أن لا تكاد تراهم يوما على ذي هفوة بغضاب
وتكرموا حتى أبو ان يجعلوا بين العفاة ومالهم من باب
كانت تعيش الطير في اكنافهم والوحش حين يشح كل سحاب
وكفاهم ان النبي محمدا منهم فمدحهم بكل كتاب

وامه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر القرشية الزهرية فهو صلى الله عليه وسلم أصيل الطرفين كريم الأصلين زاده الله شرفا وكرما . حملت به في شعب أبي طالب وولد بمكة في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف اخي

الحجاج في شعب بني هاشم وسيأتي ذكرها ومحلها في الخاتمة عند عد الأماكن المباركة التي تزار بمكة ان شاء الله تعالى . وكانت ولادته يوم الاثنين على الصحيح لاثني عشر من ربيع الأول عام الفيل على الصحيح وقيل لليلتين خلتا منه . وقيل لثمان ليال وقيل لعشر خلون منه . وقيل أول اثنين منه وذلك بعد قدوم الفيل بشهر وقيل بأربعين يوما وقيل بخمسين يوما وكان قدوم الفيل على ما قيل يوم الأحد السابع عشر من المحرم سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر ذي القرنين . ووافق يوم ولادته صلى الله عليه وسلم يوم عشرين من شهر نيسان احد شهور الروم وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم بعد هبوط آدم بستة آلاف سنة وثلاث واربعين سنة في ولاية كسرى أنوشروان سنة سبع عشرة منها بعد رفع عيسى بن مريم عليه السلام بخمسمائة وثمان واربعين سنة كذا ذكره العلامة الحافظ عبد الرحيم الاسيوطي الشافعي في ورقات له . وكان له صلى الله عليه وسلم من الأولاد سبعة ثلاثة ذكور واربع أناث فالذكور القاسم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم وعبدالله الطاهر ويقال الطيب أيضا وابراهيم والاناث رقية وزينب وأم كلثوم وفاطمة وكلهم من خديجة إلا ابراهيم فان أمه مارية القبطية التي اهداها له المقوقس القبطي صاحب مصر وتوفي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا اختلاف وقت الضحى ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة لتمام عشر سنين من الهجرة وسنه ثلاث وستون سنة ودفن يوم الثلاثاء وقيل يوم الأربعاء صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم .

(وأما نسب ابي بكر الصديق) رضي الله عنه فهو ابو بكر عبدالله بن ابي قحافة واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ومن هنا يجتمع نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم وينسب الى تيم فيقول التيمي وهو في العدد الى مرة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن كل واحد منهما بينه وبين مرة ستة آباء فهذه موافقة بينهما في النسب كما في العمر على أصح الأقوال (امه) ام الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بنت عم ابيه كذا ذكره جمهور اهل النسب اسلمت قديما في دار الأرقم بن ابي الأرقم وسيأتي تعريفها فيما بعد ان شاء الله تعالى وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وماتت مسلمة وكان اسم ابي بكر الصديق عبد الكعبة فلما أسلم سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله وقيل كان اسمه عتيقا لعتاقة وجهه وجماله والعتق بالتحريك الجمال وقيل بل لقبته به امه لانها كانت لا يعيش لها ولد فلما ظهر استقبلت به الكعبة ثم قالت : اللهم ان هذا عتيقك من الموت فهبه لي فعاش فلزمه ذلك ، وقيل

له اخوان عتق وعتيق فسمي باسم احدهما . وقيل لانه لم يكن في نسبه شيء يعاب به . وقيل لأنه قديم في الخير والعتيق القديم . وقيل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من سره أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى هذا فسمي عتيقا لذلك واختلف في تلقيبه بالصديق لاي معنى: قيل كان هذا اللقب قد غلب عليه في الجاهلية لانه كان من رؤساء قريش . وكانت اليه الديات اذا تحمل دية قالت قريش صدقوه وامضوا حمالته وحمالة من قام معه واذا تحملها غيره لم يصدقوه . وقيل لتصديقه النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الاسراء . وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال : ان الله أنزل اسم أبي بكر الصديق من السماء (صفته) كان أبيض نحيفا خفيف العارضين غائر العينين واحنا لا يستمسك ازاره معروق الوجه ناتىء الجبهة عاري الأشاجع . وقيل اسمر . واحنا بالحاء المهملة غير مهموز يعني منحنياً وآجنا بالجيم والهمز معناه ايضا يقال فلان اجني الظهر ومعنى معروق الوجه اي قليل النحم . والاشاجع جمع اشجع : وهي أصول الأصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف . وكان يخضب بالحناء والكتم (خلافته) كانت خلافة الصديق رضي الله عنه سنتين وثلاثة اشهر وعشرة أيام (سنه)كان عمره يوم مات ثلاثا وستين سنة كسن النبي صلى الله عليه وسلم (أولاده) كان له من الأولاد عبدالله وعبدالرحمن ومحمد وعائشة واسماء (وفاته)قال أهل السير توفي أبو بكر رضي الله عنه ليلة الثلاثاء بين المغرب والعشاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وقيل يوم الجمعة لتسع بقين من الشهر المذكور والأول اصح لما روت عائشة رضي الله عنها ان الصديق لما ثقل قال اي يوم هذا قلنا له يوم الاثنين قال اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارجو فيما بيني وبين الليل يعني يرجو الموت . وكان كذلك .

(واما نسب امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه) فهو عمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب يجتمع نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في كعب وينسب الى عدي فيقال له العدوى (أمه) خنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر ابن مخزوم ، ولم يزل اسمه في الجاهلية والاسلام عمر ، وكناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي حفص . وكان ذلك يوم بدر ، وسماه الفاروق وسببه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أسلم ألسنا على الحق يارسول الله ان متنا وان حيينا قال بلى فقال عمر ففيم الاختفاء والذي بعثك لنخرجن . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفين من المسلمين

حمزة في احدهما وعمر في الآخر . وله زفير حتى دخل المسجد فنظرت قريش الى عمر وحمزة وقد اصابتهم كآبة . فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ الفاروق . وقيل ان رجلا من المنافقين ويهوديا اختصما فقال اليهودي ننطلق الى محمد بن عبدالله . وقال المنافق بل الى كعب بن الأشرف. فأبى اليهودي وجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلما خرجا قال المنافق ننطلق الى عمر بن الخطاب فأقبلا عليه فقصا عليه القصة فدخل البيت ثم خرج والسيف في يده فضرب عنق المنافق وقال هكذا اقضي على من لم يرض بقضاء النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل فقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق وقيل بل سماه الله تعالى بذلك في السماء (صفته) أبيض أمهق وهو الذي لا يكون له دم ظاهر كذا وصفه اهل الحجاز ووصفه الكوفيون بأنه اسمر وكان طوالا اصلع اجلح شديد حمرة العينين خفيف العارضين واختلف هل كان يصبغ أم لا قولان وكان رضي الله عنه من رؤساء قريش واشرافهم واليه كانت السفارة في الجاهلية وهي أن قريشاً كانوا إذا وقع بينهم حرب بعثوه سفيرا وان نافرهم منافر او فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا ومفاخرا (خلافته) قال ابن اسحق كانت مدة ولاية عمر عشر سنين وستة اشهر وخمسة ايام وكان يحج بالناس كل عام غير سنتين متواليتين (سنه) اختلف أهل السير في سن عمر فقيل ثلاث وستون سنة كسن النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر روي ذلك عن معاوية والشعبي وقيل خمس وخمسون سنة روي ذلك عن سالم بن عبدالله ابن عمر . وقال الزهري اربع وخمسون سنة ذكر جميع ذلك الحافظ ابو عمرو السلفي وغيرهما . وعن ابن عمر قال سمعت عمر يقول قبل موته بسنتين او ثلاث انا ابن سبع او ثمان وخمسين (عدة أولاده) قال اهل السير كان له ثلاثة عشر ولدا تسعة بنين وأربع بنات بعضهم أشقاء وبعضهم من امهات (وفاته) توفي عمر رضي الله عنه مقتولا شهيدا لأربع بقين من الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وقيل بل طعن لأربع بقين ومات في آخر شهر ذي الحجة واتفقوا على انه اقام بعد ما طعن ثلاثاً ثم مات وروي ان عثمان وعلياً استبقا على الصلاة عليه فقال لهما صهيب اليكما عني فقد وليت من أمركما اكثر من الصلاة عليه وانا اصلي بكما المكتوبة فصلى عليه صهيب . وروي أن ملك الموت لما دخل على عمر سمعه عمر وهو يقول لملك آخر معه هذا بيت أمير المؤمنين ما فيه شيء كأنه القبر فقال له عمر يا ملك الموت من تكون انت خلفه هكذا يكون بيته (واما نسب امير المؤمنين عثمان ابن عفان رضي الله عنه فهو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن

عبد شمس بن عبد مناف يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وينسب الى أمية فيقال الاموي (أمه) أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية أسلمت أمها البيضاء ام حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم شقيقة أبي طالب (صفته) كان رجلا ربع القد ليس بالقصير ولا بالطويل حسن الوجه بوجنتيه آثار جدري أقنى رفيق البشرة عظيم اللحية طويلها أسمر اللون كثير الشعر له جمة أسفل من اذنيه ولكثرة شعر راسه ولحيته سماه أعداؤه نعثلا بالنون ثم العين المهملة ثم تاء مثناة من فوق ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين اصلع وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب وكان محببا في قريش وفيه يقول قائلهم أحبك الرحمن حب قريش عثمان (خلافته) كانت خلافته اثنتي عشرة سنة الا اثنى عشر يوماً قاله ابن اسحق وقيل كانت احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا واربعة عشر يوما (سنه) اختلف أهل السير في سن عثمان رضي الله عنه فقيل ثمانون سنة وقيل وثمان وثمانون ، وقيل اثنان وثمانون ، وقيل ستة وثمانون ، وقيل تسعون (عدد اولاده) كانت أولاده ستة عشر ولدا تسعة ذكور وسبع اناث (وفاته) قال ابن اسحق كان قتل عثمان يوم الأربعاء بعد العصر ودفن يوم السبت قبل الظهر ، وقيل يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع خلت من ذي الحجة ، وقيل في وسط أيام التشريق ، وقيل مصدر الحاج سنة خمس وثلاثين ، وروي انه مكث مطروحا يومه الى الليل ، وقيل ثلاثة أيام ثم دفن وصلى عليه جبير بن مطعم ، وقيل المسور بن مخرمة ، وقيل حكيم بن حزام ، وقيل الزبير ، وكان عثمان رضي الله عنه أوصى بالصلاة عليه ، وقيل بل صلى عليه ابنه عمرو الذي كان يكني به ، وشاهد الناس الملائكة وهي تصلي عليه رضي الله عنه وارضاه ، ومن خصائصه انه لا يحاسب . روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال يا رسول الله من أول من يحاسب يوم القيامة قال أبو بكر فقال علي ثم من يارسول الله قال ثم عمر ثم انت يا علي قلت يا رسول الله أين عثمان قال اني سألت عثمان حاجة سرا فقضاها سرا فسألت الله أن لا يحاسبه كذا في الرياض للمحب الطبري .

(وأما نسب سيدنا امير المؤمنين علي كرم الله وجهه) فهو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب أقرب العشرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عبد المطلب الجد الأول وبعده في القرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وينسب الى هاشم فيقال القريشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمه)

فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف القرشية الهاشمية أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وتوفيت بالمدينة وصلى عليها النبي صلى الله عليه وسلم وتولى دفنها وكانت ربت النبي صلى الله عليه وسلم . كناه النبي صلى الله عليه وسلم بأبي تراب لانه نام في المسجد فسقط رداؤه عن ظهره ومسه التراب فرآه النبي صلى الله عليه وسلم وهو بتلك الحال فمسح التراب عن ظهره وقال له اجلس أبا تراب ويكنى بأبي الحسن وهي اشهر (صفته) ربع القامة ادعج العينين عظيمهما حسن الوجه عظيم البطن أصلع ليس في راسه من الشعر الا شيء يسير من خلفه كثير شعر اللحية ، ومن خصائصه كرم الله وجهه انه اول من يقرع باب الجنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم واول من يجثو بين يدي الله عز وجل يوم القيامة للخصومة (خلافته) كانت خلافته اربع سنين وثمانية أشهر فمدة خلافة الأربعة على الصحيح تسعة وعشرون سنة وخمسة اشهر وثلاثة أيام وقد قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فاما أن يكون أطلق على ذلك ثلاثين لقربه منها أو تكون مدة ولاية الحسن محسوبة منها وهي تكملتها (اقول) يشكل ذلك بما رواه سهل بن ابي حثمة أنه صلى الله عليه وسلم قال بعد كلام الا وان الخلفاء بعدي اربعة والخلافة بعدي ثلاثون سنة نبوة ورحمة ثم خلافة ورحمة ثم ملك ثم جبرية وطواغيت ثم عدل وقسط الا وان خير هذه الأمة اولها وآخرها اخرجه أبو الخير القزويني الحاكمي ، ووجه الاشكال التصريح بأن الخلفاء اربعة بعده صلى الله عليه وسلم فكيف تحسب مدة الحسن ، ويمكن ان يجاب عنه بأن مدة الحسن لما كانت يسيرة لم يعده خامسا ، وانما عد الأربعة لطول مدتهم ومعظم خلافتهم هذا على تقدير صحة هذه الرواية وتسليمها وإلا فلا يرد الأشكال من اصله (عدة اولاده) ثلاثة وثلاثون ولدا خمسة عشر ذكرا وثمانية عشر أنثى وقيل ان الذكور أربعة عشر (وفاته) كان قتله في صبيحة يوم سبعة عشر في رمضان وقيل ليلة الجمعة لثلاث عشرة منه وقيل لاحدى عشرة ليلة خلت منه او بقيت وقيل لثمان عشرة ليلة منه سنة اربعين من الهجرة ومات من يومه ودفن بالكوفة ليلا . واختلف هل قتل وهو في الصلاة أوْ قبل الدخول فيها اقوال وهل استخلف من اتم الصلاة على القول بأنه قتل وهو فيها أو اتمها هو فالاكثر انه استخلف جعدة ابن هبيرة وجهل موضع قبره وكان ذلك حكمة من الله وغسله الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر وصلى عليه ابنه الحسن وروي انه كان عنده مسك فاضل من حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن يحنط به ذكره البغوي . ولما بلغ عائشة موته قالت لتصنع العرب ما شاءت فليس

لها احد ينهاها . وعن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اخبرني جبريل أن الله تعالى لما خلق آدم وادخل الروح في جسده أمرني أن آخذ تفاحة من الجنة فأعصرها في حلق آدم فعصرتها فخلقك الله يا محمد من النقطة الأولى وخلق من الثانية أبا بكر ومن الثالثة عمر ومن الرابعة عثمان ومن الخامسة عليا فقال آدم يارب من هؤلاء الذين اكرمتهم فقال الله تبارك وتعالى هؤلاء من ذريتك وهم أكرم عندي من جميع خلقي . فلما عصى آدم ربه قال يارب بحرمة أولئك الخمسة الذين فضلتهم إلا تبت علي فتاب الله عليه أخرجه الطبري في الرياض وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله افترض عليكم حب ابي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج » أخرجه الملا في سيرته .

(واما نسب طلحة رضي الله عنه) فهو طلحة بن عبيدالله بن عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ويكنى بأبي محمد يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ومع أبي بكر في عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم وينسب اليه كأبي بكر فيقال القريشي التيمي أمه الصعبة بنت عبد الله بن عباد بن ملك بن ربيعة الحضرمي أخت العلاء بن الحضرمي اسلمت (صفته) أسمر اللون كثير الشعر حسن الوجه وكان لا يصبغ شعره مربوعا الى القصر أقرب ومن خصائصه بروكه للنبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد على ظهره إلى الصخرة فبشره صلى الله عليه وسلم أن جبريل لا يراه في القيامة في مهم إلا أنقذه منه (سنه) ستون سنة وقيل اثنتان وستون وقيل أربع وستون وقيل غير ذلك (عدة اولاده) كان له من الأولاد أربعة عشر ولدا عشر ذكور وأربع اناث (وفاته) كان مقتل طلحة رضي الله عنه يوم الجمل وكان يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة .

(نسب الزبير رضي الله عنه) هو ابو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصي بن كلاب وينسب الى أسد بن عبد العزى فيقال القرشي الأسدي (أمه) صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمت وهاجرت . روي عنه أنه قال لابنه عبدالله يابني كانت عندي أمك اسماء بنت أبي بكر وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم أختها عائشة خالتك وعمة أبي أم حبيبة بنت أسد جدته صلى الله عليه وسلم وأمي

صفية عمته وامه آمنة بنت وهب بن عبد مناف واختها هالة بنت وهب بن عبد مناف جدتي وخديجة بنت خويلد زوجته عمتي (صفته) ليس بالطويل ولا بالقصير . وقيل كان طويلا يخط رجلاه في الأرض اذا ركب خفيف اللحية أسمر اللون أشعر . كان لايغير شيبه وهو اول من سل سيفا في سبيل الله فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالخير ودعا لسيفه (سنه) سبعة وستون سنة . وقيل ست وستون . وقيل أربع وستون . وقيل ستون. وقيل أحد وستون . وقيل خمس وسبعون وقيل بضع وخمسون (اولاده) كان اولاده عشرين ولدا أحد عشر ذكرا وتسع بنات (وفاته) قتل رضي الله عنه يوم وقعة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة .

(نسب سعد رضي الله) هو سعد بن مالك بن أبي وقاص بن وهب وقيل وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة . يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة ويجتمع هو وعبدالرحمن بن عوف في زهرة كما سيأتي . وينسب الى زهرة بن كلاب فيقال القرشي الزهري ، ومن فضائله رضي الله عنه شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بنسبه . روي عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم من انا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال انت سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة من قال غير ذلك فعليه لعنة الله (أمه) حمنة بنت سفيان بن امية ابن عبد شمس ، ولم يزل اسمه في الجاهلية والاسلام سعدا وكنيته ابو اسحق (صفته) كان رجلا قصيرا غليظا ذا هامة اسمر اللون جعد الشعر أشعر الجسد ويخضب بالسواد ، وقيل انه كان طوالا ، وهو أول من رمى سهما في سبيل الله ، وكان مجاب الدعوة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك حيث قال اللهم استجب لسعد اذا دعاك ، وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سدد سهمه وأجب دعوته وجمع له النبي صلى الله عليه وسلم بين أبويه ولم يجمع لأحد غيره ، وذلك انه جعل يقول له يوم أحد ارم ياسعد فداك أبي وأمي (سنه) كان له من العمر يوم مات بضع وستون سنة ،وقيل بضع وسبعون ، وقيل بضع وثمانون وقيل بضع وتسعون (أولاده) كان له من الأولاد أربعة وثلاثون ولدا سبعة عشر ذكرا وسبعة عشر انثى (وفاته) توفي رحمه الله سنة خمس وخمسين من الهجرة ، وقيل أربع وخمسين، وقيل ثمان وخمسين وكف بصره في آخر عمره ، وكان آخر العشرة موتا .

(نسب سيدنا سعيد) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ابن عبد العزى بن رباح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن

لؤي يجتمع نسبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي ومع سيدنا عمر في نفيل بن عبد العزى المتصل بكعب وينسب الى عدي فيقال القرشي العدوي وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن عم ابيه . ولم يزل اسمه في الجاهلية والاسلام سعيدا ويكنى بأبي الأعور (أمه) فاطمة بنت بعجة بن ملح الخزاعية (صفته) كان أسمر اللون طويلا أشعر (سنه) كان سنه بضعا وسبعين سنة بتقديم السين قال أهل السير كان له من الأولاد أحد وثلاثون ولدا ثلاثة عشر ذكرا وثمان عشرة أنثى (وفاته) توفي رحمه الله بالعقيق وحمل الى المدينة ودفن بها سنة خمسين من الهجرة أو احدى وخمسين في أيام معاوية .

(نسب سيدنا عبد الرحمن) هو عبدالرحمن بن عثمان بن عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة ويجتمع هو وسعد في زهرة وينسب اليه فيقال القرشي الزهري (امه) الشفاء بنت عوف بن عبد الحارث الزهرية ابنة عم أبيه أسلمت وهاجرت كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الحرب وقيل عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان يصفه بالصادق البار (كنيته) ابو محمد (صفته) كان طويلا حسن الوجه رقيق البشرة ابيض اللون مشربا بحمرة وكان لا يصبغ لحيته ضخم الكفين غليظ الاصابع اقنى جعد الشعر له جمة من اسفل اذنيه ساقط الثنيتين وبه عرج من جراحة اصيب بها يوم أحد ومن خصائصه صلاة النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في بعض الأحوال (سنه) كان عمره خمسا وسبعين سنة وقيل ثلاثا وسبعين وقيل اثنتين وسبعين ودفن بالبقيع وقبره معروف وصلى عليه عثمان بن عفان وكان أوصاه بذلك (أولاده) كان له من الاولاد ثمانية وعشرون ولدا عشرون ذكورا وثمان اناث (وفاته) قال أهل السير توفي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه سنة احدى وثلاثين من الهجرة النبوية وقيل سنة اثنتين وثلاثين منها وكان ذا مال عظيم ودنيا طائلة حتى روي ان احدى زوجاته صولحت عن نصيبها من الميراث على ثمانين الف دينار .

(نسب سيدنا عامر) هو ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن منبه بن الحارث بن فهر وهو قرشي يجتمع نسبه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في فهر بن مالك الذي هو جماع قريش وينسب الى فهر فيقال القرشي الفهري وهو ابعد العشرة نسبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم (أمة) من بني الحارث بن فهر اسلمت ولم يزل

اسمه في الجاهلية والاسلام عامرا (وكنيته) أبو عبيدة (صفته) كان رجلا طويلا نحيفا أثرم الثنيتين خفيف اللحيـة يخضب بالحناء والكتم وسبب خروج ثنيتيه أنه انتزع سهمين من جبهة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وقيل ان المنتزع حلقتا الدرع . قال الطبري ويجوز أن يكون السهمان اثبتا حلقتي الدرع فانتزع الجميع ونقل انه ماريء أهتم كان أحسن منه رضي الله عنه والاهتم والأثرم بمعنى واحد ومن خصائصه شهادة النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أمين هذه الأمة .

(فائدة) قال العلماء إذا شهد الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه بفضيلة عليهم وجب القطع بأنه افضل منهم في تلك الفضيلة فيجب أن يقطع بأن أبا عبيدة أفضل من أبي بكر وعمر وغيرها في فضيلة الأمانة وأن أباذر أفضل منهم جميعا في تحري الصدق حيث قال فيه صلى الله عليه وسلم أصدقكم لهجة أبو ذر وان عليا كرم الله وجهه أقضاهم حيث قال أقضاكم علي ، وان معاذا أعلمهم بالحلال والحرام حيث وصفه بذلك والفضل المطلق لأبي بكر الصديق بلا خلاف انتهى .

(سنه) كان له من العمر يوم مات (١) .

هذا تمام نسب العشرة الكرام رضي الله عنهم فما خرج أحد منهم عن قريش وكلهم نسبه ثابت من قريش من الجهتين من جهة ابيه ومن جهة امه ما عدا طلحة وسعيد بن زيد فان اميهما غير قريشيتين لأن أم طلحة بنت الحضرمي وأم سعيد خزاعية كما تقدم .

ذكر وصف كل واحد من العشرة
رضي الله عنهم بصفة حميدة

عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأقواهم في دين الله عمر ، وأشدهم حياء عثمان ، وأقضاهم علي بن أبي طالب . ولكل نبي حواري ، وحواري طلحة والزبير وحيث ما كان سعد بن أبي وقاص كان الحق معه ، وسعيد بن زيد من أحباء الرحمن ، وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن ، وابو عبيدة بن الجراح أمين الله وامين رسوله ، ولكل نبي صاحب سر ، وصاحب سري معاوية بن أبي سفيان ، فمن احبهم فقد نجا ، ومن ابغضهم فقد هلك (وعنه) صلى الله عليه وسلم انه قال أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة الى تمام العشرة ،

(١) بياض بالأصل .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن القول في أصحابي فقد بريء من النفاق ومن أساء القول في أصحابي كان مخالفا لسنتي ومأواه النار وبئس المصير ، وهذا عام في جميع الصحابة فحصل الفضل للعشرة خصوصاً وعموما ، وروي أن الله تعالى جمع بين أرواح العشرة قبل خلقهم وخلق من أنوار تلك الارواح طائرا واحدا وهو في الجنة . اخرجه الملا في سيرته وغيره فانظر كيف جمع الله بينهم ارواحا قبل خلقهم اشباحا ثم جمع بينهم اشباحا وارواحا في النسب والصحبة والاخاء والتوادد والتراحم في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في الجنة . فالسعيد من تولى جملتهم وجملة جميع الصحابة ولم يفرق بين احد منهم واهتدى بهديهم وتمسك بحبلهم والشقي من تعرض للخوض فيما شجر بينهم واتبع نفسه هواها في سب أحد منهم فلله الحمد والمنة والفضل ان اعاذنا من ذلك ونسأله تمام هذه المنة ودوامها الى الممات مع حسن الخاتمة آمين . عدنا لما نحن بصدده (اعلم) أنه قد اختلف في قريش لم سميت قريشا ، فقيل سميت باسم دابة تسكن البحر يقال لها القرش تشبيها لهم بها لشدتهم ومنعتهم لأن هذه الدابة تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى . قال في المدارك وهي دابة عظيمة تعبث بالسفن فلا تطلق الا بالنار والتصغير للتعظيم انتهى ، وفي شعر اللهبي :

وقريش هي التي تسكن البحـ ... ـر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك ... فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا في البلاد حي قريش ... يأكلون البلاد اكلا قشيشا
ولهم آخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا

والقشيش مصدر قشت الحية ، وهو صوتها من جلدها ، وقيل سميت بقريش بن يخلد بن غالب بن فهر ، وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش ، وقيل ان قصيا قرشها اي جمعها من الاقطار وردها الى مكة ولذلك سمي مجمعا كما تقدم في شعر الفضل بن عباس بن عتبة ، ومن شعره أيضاً :

نحن كنا سكانها من قريش ... وبنا سميت قريش قريشاً

وقيل بل كان اسم قصي قريش فسميت به والأشهر ان اسمه زيد كما تقدم ، وقيل لأنهم كانوا يتقرشون في البياعات اي يتكسبون ، والتقرش

التكسب ، وقيل ان النضر كان يقال لـه القرشي فسموا باسمه ، وقيل لأنهم كانوا يقرشون عن خلة الحاج فيسدونها ، والتقريش التفتيش ويدل لذلك قول الحارث بن خلدة اليشكري :

أيها الناطق المقرش عنا　　عند عمرو فهل لنا ايفاء

اي المفتش . واعلم ان قريشا ثلاثة اصناف صنف منهم قريش الاباطح ويسمون ايضا قريش البطاح ، وصنف منهم قريش الظواهر ، والصنف الثالث ليسوا من الاباطح ولا من الظواهر ، اما قريش الاباطح فبنو عبد مناف واسد بن عبد العزى بن قصي ، وزهرة وتيم ، وبنو مخزوم وبنو سهم وجمح وعدي وبنو حنيبل بن عامر بن لؤي ، وبطنان من بني الحارث بن فهر . واما قريش الظواهر ، فبنو الادرم بن غالب ، وبنو محارب ، وبنو فهر الابطنين ، وبنو معيض بن عامر بن لؤي ، واما غير هؤلاء من قريش فليسوا من الاباطح ولا من الظواهر وذلك لانهم خرجوا عن مكة فتنحوا عن البلاد . منهم سآمة بن لؤي وقع بعمان ، وجشم بن لؤي ، وهو خزيمة وقع باليمامة فهم في بني هزان من عترة وبنانة في شيبان وهم بنو سعد بن لؤي . وهم في شيبان ، وبنو الحارث بن لؤي وهم ايضا في بني ابي ربيعة بن شيبان بن ذهل بن شيبان ، وانما سموا الاباطح لأن قصيا ادخلهم معه الى بطن مكة واقام الآخرون بالظواهر كذا في الغاية للاتقاني ، وعزاه الى شرح ديوان كثير لمحمد بن حبيب . ثم اعلم ان طبقات العرب : ست شعب وقبائل وعمارة وبطون وافخاذ وفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة ، وسميت شعوبا لأن القبائل تتشعب منها ، والشعب بفتح الشين والعمارة بفتح العين المهملة ، وفي معالم التنزيل قيل ان الشعوب من العجم والقبائل من العرب والاسباط من بني اسرائيل انتهى . قال القرطبي في تفسيره وقد نظمها بعضهم فقال :

قبيلة قبلها شعب وبعدهما　　عمارة ثم بطن بعده فخذ
وليس يؤوي الفتى الا فصيلته　　ولا سداد لسهم ماله قذذ

انتهى ، والقذذ بالذال المعجمة . قال في القاموس . والفصائل هي العشائر واحدها عشيرة ، ومنه قوله تعالى : « وفصيلته التي تؤويه » اي

عشيرته التي تضمه (فرعان * الأول) يعتبر التفاضل عندنا بين قريش في حق الكفاءة لقوله عليه السلام قريش بعضهم اكفاء لبعض حتى لو تزوجت هاشمية قريشيا غير هاشمي صح عقدها . وان تزوجت عربيا غير قريشي فللأولياء حق الرد الا ان يكون الولي هو الأب او الجد فان لهما تزويج الصغيرة بغير كفء وبغبن فاحش في المهر عند ابي حنيفة رضي الله عنه خلافا لصاحبيه ، والتعليل من الطرفين مقرر في محله الا ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج بنتيه رقية وام كلثوم من عثمان ولهذا لقب بذي النورين ، وكان امويا لا هاشميا ، وزوج علي ابنته ام كلثوم من عمر بن الخطاب وكان عدويا لا هاشميا فثبت أن قريشا كلهم سواء في حق الكفاءة (الثاني) مذهب الامام محمد بن الحسن من اصحابنا ان التفاضل انما يعتبر فيما بين قريش اذا كان النسب مشهورا في الحرمة كأهل بيت الخلافة. حتى لو تزوجت قرشية من بنات الخلفاء قرشيا ليس من اولاد الخلفاء يكون للاولياء حق الرد وكأنه قال هذا لتسكين الفتنة وتعظيم امر الخلافة لا لانعدام أصل الكفاءة كذا نقله الاتقاني في الغاية والله تعالى اعلم .

الباب التاسع

(في ذكر مبدأ بئر زمزم وسبب حفر عبدالمطلب لها)

وفضل مائها وأفضليته وبركته وخواصه وما ورد في ذلك

اعلم أن بئر زمزم تنسب الى سيدنا اسماعيل صلوات الله عليه وسببه أن سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام لما هاجر باسماعيل وامه من الشام الى مكة شرفها الله تعالى(١) وكانت اذ ذاك ترضعه وضعهما تحت دوحة . وهي شجرة كبيرة وليس معهما الا شنة (٢) فيها قليل ماء ولم يكن بمكة يومئذ أحد ولابها ماء ووضع عندهما جرابا فيه تمر ثم ذهب راجعا الى

(١) وسبب هجرته باسماعيل وهاجر من الشام الى مكة شرفها الله تعالى غضب سارة على هاجر فحلفت أن لا تساكنها في بلد واحد وأمرت ابراهيم أن يعزلها عنها فأوحى الله الى ابراهيم أن يأتي بهاجر وابنها الى مكة فذهب بها حتى قدم مكة .

(٢) بالشين المعجمة قربة .

الشام فتبعته أم اسماعيل فقالت له يا ابراهيم الى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به انيس وجعلت تردد ذلك مرارا وابراهيم لا يلتفت اليها فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت عنه(١) فانطلق ابراهيم عليه السلام حتى اذا غاب عن البصر وقف واستقبل البيت ورفع يديه ودعا بالآيات ربنا اني اسكنت الى قوله تعالى لعلهم يشكرون ثم مضى سائرا وجعلت (٢) ام اسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء ولبنها يدر على صبيها الى ان نفذ فعطشت وعطش ابنها (٣) وصار يتلوى وفي رواية يتليط فانطلقت كراهة ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي (٤) ورفعت طرف درعها ثم سعت أي جرت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات فكان فعلها سبب السعي بين الصفا والمروة فلما أشرفت على المروة آخرا ولم يكن في الوادي غيرها سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فاذا الصوت فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك يعني جبريل عليه السلام عند موضع زمزم فبحث بعقبه او بجناحه حتى ظهر الماء فصارت تحوطه (٥) بيدها وتغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد أن تغرف قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم ولم تغرف من الماء لكانت عينا معينا فشربت وأرضعت ولدها فقال لها جبريل لاتخافي الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع أهله كذا في صحيح البخاري فاستمرت زمزم كذلك (٦) الى أن

(١) وفي رواية قالت له لمن تتركنا قال الى الله عز وجل قالت قد رضيت بالله ثم رجعت .

(٢) يعني فرجعت أم اسماعيل تحمل ولدها حتى قعدت تحت الدوحة فوضعت ابنها الى جنبها وعلقت شنتها بشجر من شجر مكة .

(٣) يعني فخشيت أم اسماعيل أن يموت فيجزعها ذلك فقالت لنفسها لو تغيبت عنه حتى لا ارى موته .

(٤) يعني تستوضح وتنظر اليه هل ترى بالوادي أحدا فلم تر ثم نظرت الى المروة فقالت لو مشيت بين هذين الجبلين تعللا حتى يموت ولا تراه فهبطت من الصفا حتى اذ ابلغت الوادي رفعت .

(٥) اي عليه بالتراب من خوفها ان لا يسيل .

(٦) ثم ان هاجر استمرت مقيمة عند زمزم مع ولدها اسماعيل وابراهيم يزورهما على البراق في اليوم مرة وقيل في الجمعة مرة وقيل في الشهر مرة وقيل في السنة مرة وقال

مرت رفقة من جرهم (١) يريدون الشام فراوا طائرا يحوم على جبل ابي قيس عائفا فقالوا ان هذا لطير ليدور على ماء وعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا رسولا فرأى الماء فاخبرهم فاقبلوا وأم اسماعيل عند الماء فقالوا لها أتاذنين لنا أن ننزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى صاروا أهل ابيات واول سكان مكة وشب اسماعيل عليه السلام وتعلم العربية (٢) منهم وزوجوه امراة من نسائهم ثم لم تلبث ام اسماعيل أن ماتت (٣) ولها من العمر تسعون سنة ولاسماعيل عشرون سنة فدفنها في الحجر واسمها هاجر وقيل آجر بالهمزة والمد القبطية وقيل الجرهمية وكانت للجبار الذي يسكن عين البحر التي بقرب بعلبك فوهبها لسارة امرأة ابراهيم فوهبتها لابراهيم صلوات الله عليه .

(فائدة استطرادية)

قال في منهاج التائبين اختلف العلماء في الذبيح هل هو اسماعيل أم اسحاق فقال قوم هو اسحاق عليه السلام واليه ذهب من الصحابة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم ومن التابعين وأتباعهم كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي ورواه عكرمة وابن جبير عن ابن عباس. وقال آخرون هو اسماعيل والى هذا ذهب عبد الله بن عمر وابو الطفيل عامر بن مائلة وسعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي ورواه عطاء بن أبي رباح وابو الجوزاء ويوسف بن ماهك عن ابن عباس وزعمت اليهود أنه اسحاق وكذبت . واحتج القائلون بأنه اسحاق من القرآن بأن الله تعالى اخبر عن

الحافظ في المواهب وذكر سعد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن ابيه قال كان الخليل ابراهيم عليه السلام يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق شفقا بها وقلة صبر عنها انتهى .

(١) قوله من جرهم قبيلة من اليمن يقال لهم جرهم وليست من عاد كما يقال .

(٢) ولسان ابراهيم كان عبرانيا .

(٣) وقبرها في الحجر .

خليله عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام بامرأته سارة وابن اخيه لوط عليه السلام وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين انه دعا إذ ذاك فقال رب هب لي من الصالحين وكان ذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل ان تصير له ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابته ودعوته وتبشيره اياه بغلام حليم ثم من رؤيا ابراهيم ان يذبح ذلك الغلام الذي بشر به حين بلغ معه السعي وليس في القرآن انه بشر بولد إلا باسحاق واما حجة القائلين بأنه اسماعيل من القرآن فهو ما رواه محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول ان الذي امر الخليل عليه السلام بذبحه هو اسماعيل لأن الله تعالى قال حين فرغ من قصة المذبوح وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب ابن وابن ابن ولم يكن يأمره بذبح اسحاق وله فيه من الله الموعود فلما لم يذكر الله تعالى اسحاق إلا بعد انقضاء الذبح ثم بشره بولد اسحاق علم أن الذبيح اسماعيل . أقول فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة إذ كنت معه بالشام فقال لي عمر واني لأراه كما قلت ثم ارسل عمر الى رجل كان يهوديا بالشام وقد اسلم وحسن إسلامه فسأله عن ذلك وأنا عنده فقال الذبيح اسماعيل وان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدون العرب على ذلك لكون اسماعيل أباهم ويقولون انه اسحق لأنه أبوهم انتهى قول صاحب المنهاج (أقول) احتجاج القرظي رحمه الله بهذه الآيات المذكورة في كون الذبيح اسماعيل عليه السلام لا يتم إلا بأن تكون آية الذبح متقدمة تلاوة ونزولا اما لو تقدمت تلاوة وتأخرت عن آية البشري في النزول احتملت ان يكون اسحاق هو الذبيح ايضا وسقط الاستدلال بها . واما قول القرظي ولم يكن يأمره الى آخره الذي فسر به الآية الأخرى من سورة هود لا ينافي كون الذبيح اسحاق لأنه لما سبق في علم الله سبحانه انه لا يذبح . ثم امر خليله بذلك علم ان الأمر للأمتحان كما هو شأن الله تعالى في انبيائه واحبائه ، فلما مضى الخليل صلوات الله عليه لما امر به منشرح الخاطر راضيا بما قضاه الله تعالى شكر الله له ذلك وسلم ابنه له من الذبح ببركة التسليم وفدي بالذبح العظيم وصحت البشرى وتم الموعد في هذه الآية التي لم يتقدم قبلها قصة ذبح انتهى * عدنا الى المقصود . ولم تزل زمزم كذلك الى ان دفنتها جرهم حين ظعنوا من مكة بين صنمي قريش اساف بكسر الهمزة ونائلة . وقيل بل دفنتها السيول . فاستمرت مدفونة الى ان نبه عبد المطلب وأمر بحفرها . وله منقبتان عظيمتان اهلاك أصحاب الفيل كما تقدم . وحفر بئر زمزم . ذكر ابن اسحاق وغيره

ان عبد المطلب بينما هو نائم (١) اذ اتاه آت فقال له احفر طيبة فقال له وما طيبة فذهب عنه ثم جاءه مرة اخرى فقال له احفر المضنونة فقال له وما المضنونة فذهب عنه ثم جاءه مرة ثالثة فقال له (٢) احفر زمزم فقال له عبد المطلب وما زمزم ؟ قال لا تنزف أبدا ولا تزم تسقي الحجيج الاعظم، وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل ، وفي رواية احفر زمزم انك ان حفرتها لم تندم ، وهي تراث من أبيك الأعظم لاتنزف أبدا ولا تزم الى آخر ماتقدم ، فلما بين له شأنها غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث وليس معه يومئذ غيره فحفرها (٣) فلما بدا له أعلى البئر كبر(٤) فحسدته بطون قريش وهموا أن يمنعوه وقالوا له اشركنا معك (٥) فقال لهم ما انا بفاعل شيء خصصت به دونكم فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه فقالوا كاهنة بني سعد ، فخرجوا اليها فعطشوا في الطريق حتى ايقنوا بالهلاك ، فقال عبد المطلب والله ان القاءنا بأيدينا هكذا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء فارتحلوا بنا ، وقام عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبد المطلب وكبر اصحابه وشربوا جميعا ، وقالوا قد قضى لك علينا الذي سقاك فوالله لانخاصمك فيها ابدا ، فرجعوا وخلوا بينه وبين زمزم ، وكفاه الله شرهم فنذر عند ذلك لئن رزق عشرة من الذكور يمنعونه ليتقرب الى الله بذبح احدهم فلما تم له عشرة من الذكور اعلمهم بنذره ، فقالوا له اوف بنذرك واقض فينا امرك فأسهم بينهم فخرج السهم على عبد الله ابي النبي صلى الله عليه وسلم ، فأراد ان يذبحه فمنعته قريش وأخواله من بني مخزوم لئلا يكون ذلك فيهم سنة ، فتحاكموا الى كاهن كان بالمدينة ، وقيل كاهنة، فأفتاهم بأن يسهم على عبد الله وعلى عشرة من الابل ، وكانت عندهم اذ ذاك دية الرجل ففعل عبد المطلب ذلك ، فخرج السهم على عبد الله ايضا، فقال له الكاهن زد عشرا اخرى فان ربك لم يرض فزاد فخرج السهم على عبد الله فأمره الكاهن بزيادة عشرة اخرى فزاد ، وفي كل ذلك يخرج السهم على عبد الله حتى بلغ العدد مائة من الابل فخرج السهم حينئذ على الابل، فقال له الكاهن اعد القرعة ، فأعادها فخرج على الابل ، ثم اعادها ثالثا ، فخرج على الابل فقال له الكاهن قد رضي ربك فانحرها فداء عن ابنك ،

(١) أي في الحجر .

(٢) يعني حتى اذا عاد فنام في مضجعه ذلك اتى اليه فقال الخ .

(٣) يعني ثلاثة ايام .

(٤) أي قال الله اكبر هذا طي اسماعيل .

(٥) أي فان لنا فيها حقا انها لبئر اسماعيل .

ففعل فاستمرت الدية في قريش مائة من الابل من يومئذ ، ثم جاء الشرع فقررها دية لكل واحد من المسلمين . واستمرت زمزم (1) لا يصد عنها احد ولا يمنع الى يومنا هذا كما ترى . ويروى أن عبد المطلب لما حفر زمزم وجد غزالين من ذهب يقال ان جرهما دفنتهما حين خرجوا من مكـة . ووجد اسيافا وسلاحا فارادت قريش أن يشاركوه فيها فامتنع وضرب بالقداح. فخرج الغزلان للكعبة والسلاح لعبد المطلب . ولم يخرج لقريش شيء بل تخلف قدحاهما فضرب الأسياف التي خرجت له مع احدى الغزالين على باب الكعبة . وجعل الغزال الأخرى في الجب الذي في بطن الكعبة . فكان ذلك اول حلية للكعبة اخرجه الازرقي .

واما فضل ماء زمزم وبركته . فروي عن جابر رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه كلها بالغة ما بلغت أخرجه الواحدي في تفسيره وغيره . وروى الطبراني وغيره انه صلى الله عليـه وسلم جاء الى زمزم فنزعوا لـه دلوا فشرب ثم مج في الدلو ثم صبه في زمزم ثم قال او لا ان تغلبوا عليها لنزعت معكم . وفي رواية أنه غسل وجهه وتمضمض منه ثم أعاده فيها . وروي ان الذي نزع له الدلو هو العباس بن عبد المطلب ، وروى الواقدي انه نزعه لنفسه ، وهو ضعيف جدا ، وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ماء زمزم لـما شرب له ، وقال العلامة بركة المتأخرين شيخ الاسلام السيوطي هذا الحديث اخرجه ابـن ماجه بسند جيد واخرجه الخطيب في التاريخ بسند صححـه الدمياطي والمنذري وضعفه النووي وحسنه ابن حجر لوروده من طرق عن جابـر وورد من حديث ابن عباس وابن عمرو مرفوعا واخرج الديلمي ماء زمـزم شفاء من كل داء ، وسنده ضعيف جدا انتهى . وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم اخرجه الطبراني في معجمه بسند رجاله ثقات وصححه ابن حبان، وعنه أيضاً انه صلى الله عليه وسلم قال ان التضلع من ماء زمزم علامة ما بيننا وبين المنافقين ، وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد أن يتحف الرجل بتحفة سقاه من ماء زمزم ، وعنه ايضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لـما شرب له ان شربته تستشفي به شفاك الله ، وان شربته لقطع ظمئك قطعه هي هزمة جبريل وسقيا الله اسماعيل،

---

(1) فائدة اسم زمزم مؤنث لا ينصرف والمانع له من الصرف العلمية والتأنيث المعنوي كذا في سر الأسنى .

ويروى ان في بعض كتب الله المنزلة زمزم لاتنزف ولا تذم لا يعمد اليها امرؤ فيتضلع منها رياً ابتغاء بركتها الا أخرجت منه مثل ماشرب مـن الداء . وأحدثت له شفاء ، وما امتلأ جوف عبد من زمزم الا ملأه الله علمـا وبرا . وعن وهب بن منبه أنه قال : والذي نفسي بيده ان زمزم لفـي كتاب الله عز وجل مضنونـة وانهـا لفي كتـاب الله برة وأنهـا لفي كتـاب الله شراب الأبرار . وانها لفي كتاب الله طعام طعم(١) . وشفاء سقم ، وعن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال خير واديين في النـاس وادي مكـة وواد بالهند الذي هبط به آدم عليه السلام ومنه يؤتى بهذا الطيب الذي يتطيب به الناس وشر واديين في الناس (٢) واد الأحقاف . وواد بحضرموت يقال له برهوت (٣) وخير بئر في الناس (٤) زمزم . وشر بئر في النـاس برهوت ، واليها تجتمع ارواح الكفار كما سيأتي (٥) وعن أبي عبـاس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم قال الحمى مـن فيح جهنم فابردوها بماء زمزم رواه احمد وابن ابي شيبة وابن حبان ، ورواه البخاري في صحيحه على الشك فقال فابردوها بالماء أو بماء زمزم ، وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال خمس من العبادة : النظر الى المصحف ، والنظر الى الكعبة ، والنظر الى الوالدين ، والنظر في زمزم وهي تحط الخطايا ،والنظر في وجه العالم رواه الدارقطني .

فصل في فضائل ماء زمزم

اعلم ان لماء زمزم فضائل كثيرة وعجائب شهيرة . فمن ذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال كان أهل مكة لا يسابقهم احد الا سبقوه ولا يصارعهم احد الا صرعوه حتى رغبوا عن ماء زمزم اخرجه ابو ذر ، ومنهـا ما اخرجه الأزرقي عن عكرمة بن خالد قال بينما أنا ليلة في جوف الليـل عند زمزم جالس اذا نفر يطوفون عليهم ثياب لم أر بياضها لشيء قط ،

(١) قال في التحفة أي فيها قوة غذاء الايام الكثيرة لكن مع الصدق كما وقع لابي ذر رضي الله عنه بل نما لحمه وزاد سمنه انتهى سر الاسنى .

(٢) في الدنيـا .

(٣) قال الطبري وبرهوت بفتح الباء الموحدة والراء المهملة بئـر عميقـة بحضرموت لا يستطاع النزول الى قعرها ويقال برهوت بضم الباء والراء ساكنة فيهما وذكرها الازرقي باللام والمشهور بالراء وقيل ان بئر برهوت عين من عيون جهنم وان جهنم في الأرض تسكن عليها الحبشة انتهى .

(٤) في الدنيـا .

(٥) ماؤها بالنهار أسود منتن كأنه القيح .

فلما فرغوا صلوا قريباً مني فالتفت بعضهم لاصحابه فقال أذهبوا بنا نشرب من شراب الابرار ، فقاموا ودخلوا زمزم فقلت لو دخلت على القوم فسألتهم ، فدخلت فاذا ليس فيها احد من البشر ومنها ما اخرجه أيضاً ان ابا ذر الصحابي رضي الله عنه قال لما قدمت مكة مكثت أربعة عشر يوماً بلياليها وما لي طعام ولا شراب الا زمزم حتى تكسرت عكن بطني . وما اجد على كبدي سخفة الجوع يعني رقته وهزاله ، وقيل هي الخفة التي تعتري الانسان اذا جاع ، ومنها ما اخرجه أيضا عن بعض الموالي انه قال كنت مع اهلي بالبادية فابتعت بمكة ، ثم أعتقت فمكثت ثلاثة ايام لا اجد شيئا آكله فانطلقت الى زمزم فبركت على ركبتي مخافة أن استقي وانا قائم فيرفعني الدلو من الجهد فجعلت انزع قليلا قليلا حتى اخرجت الدلو ، فشربت فاذا انا بصريف اللبن فقلت لعلي ناعس ، فضربت الماء على وجهي وانطلقت وانا اجد قوة اللبن وشبعت ، ومعنى صريف اللبن ساعة يصرف عن الضرع ، ومنها ما أخرجه ايضاً عن بعض الرعاة من العباد انه كان اذا حصل له ظمأ وشرب من زمزم وجد الماء لبناً ، واذا اراد ان يتوضأ وجده ماء ، ومنها ماذكره الفاسي عن الفاكهي أن رجلا شرب سويقاً وكان في السويق ابرة فنزلت في حلق الرجل واعترضت ، وصار لايقدر يطبق فمه فأتاه آت فقال له اذهب الى ماء زمزم فاشرب منه واسأل الله الشفاء فدخل الى زمزم فشرب منه شيئاً وما أساغه الا بعد جهد ومشقة من ألم تلك الابرة ثم خرج وهو على تلك الحال ، فانتهى الى اسطوانة من أساطين المسجد واستند اليها فغلبته عيناه فنام ثم انتبه من نومه ولم يجد من ذلك الألم شيئاً ، ومنها ان الشيخ العلامة المفتي أبا بكر عمر الشهير بالشنيني بشين معجمة ونون ثم مثناة من تحت ونون وياء النسبة احد بني العلماء المعتبرين ببلاد اليمن حصل له استسقاء عظيم واشتد به فذهب الى طبيب فلما رآه اعرض عنه وقال لبعض اصحابه هذا ما يمكث ثلاثة ايام فانكسر خاطره لذلك والقى الله بباله ان يشرب من ماء زمزم بنية الشفاء عملا بالحديث فقصد زمزم وشرب منه حتى تضلع فأحس بانقطاع شيء في جوفه فبادر حتى وصل الى رباط السدرة الذي هو الآن مدرسة السلطان قايتباي رحمه الله فأسهل اسهالا كثيرا ثم عاد الى زمزم وشرب منها ثانياً حتى امتلأ رياً ثم اسهل بليغاً فشفاه الله من ذلك الاستسقاء فبينما هو في بعض الايام برباط ربيع يغسل ثوبه واذا بالطبيب الذي اعرض عن ملاطفته قد رآه فقال له انت صاحب تلك العلة ؟ قال نعم فقال له بم تداويت فقال بماء زمزم فقال الطبيب لطف بك . ومنها ان احمد بن عبد الله المعروف بالشريفي الفراش بالحرم الشريف المكي حصل له عمي فشرب من ماء زمزم بنية التداوي فشفي

من ذلك العمى ، ومنها ان رجلا آخر عمي فشرب من ماء زمزم وصب في عينية منه بنية الشفاء فشفي في اسرع وقت ، وهذا من العجب فان الأطباء ينهون عن إدخال الماء في العين ويجعلونه من أسباب العمى . ومنها ما ذكر الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ ان الخطيب البغدادي لما حج شرب من ماء زمزم ثلاث مرات وسأل الله ثلاث حاجات : الأولى أن يحدث بتاريخ بغداد بها ، الثانية ان يملي الحديث بجامع المنصور ، الثالثة ان يدفن عند بشر الحافي . فقضي الله له ذلك . ومنها أن الحاكم أبا عبد الله شربه لحسن التصنيف وغيره فكان احسن اهل عصره تصنيفاً . ومنها ما ذكره العلامة التاج السبكي في طبقاته في ترجمة محمد بن اسحق بن خزيمة انه قيل له من اين أوتيت هذا العلم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماء زمزم لما شرب له واني لما شربته سألت الله علما نافعا ومنها ما ذكره العلامة الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عن نفسه فقال وأنا شربته مرة وسألت الله وانا في بداية طلب الحديث أن يرزقني الله حالة الذهبي في حفظ الحديث ثم حججت بعد مدة تقرب من عشرين سنة وانا اجد من نفسي المزيد على تلك المرتبة فسألت(١) رتبة أعلى منها فأرجو الله ان انال ذلك ومنها ما نقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال شربت من ماء زمزم لثلاث : شربته للعلم(٢) وشربته للرمي فكنت اصيب عشرة عشرة ومن عشرة تسعة وشربته للجنة وارجوها(٣) ومنها ما اخرجه ابو الفرج في مثير الغرام عن الشيخ ابي عبد الله الهروي انه قال لبعض اصحابه دخلت المسجد في السحر فجلست الى زمزم واذا بشيخ قد دخل الى زمزم وثوبه مسدول على وجهه فأتى البئر فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها فاذا سويق لوز لم أذق قط اطيب منه ثم التفت فاذا الشيخ قد ذهب ثم عدت في الليلة الثانية عند السحر فجلست الى زمزم فاذا الشيخ قد دخل الى زمزم فنزع الدلو فشرب فشربت فضلته فاذا ماء مضروب بعسل لم اذق قط اطيب منه ثم ذهب الشيخ فعدت في الليلة الثالثة عند السحر فجلست عند زمزم فاذا الشيخ قد اتي زمزم فنزع الدلو فشرب فأخذت فضلته فشربتها فاذا سكر مضروب بلبن لم اذق قط اطيب منه فأخذت ملحفته فلففتها على يدي وقلت يا شيخ بحق هذه البنية عليك من انت قال تكتم على حتى أموت قلت نعم قال انا سفيان ابن سعيد الثوري . ومنها ما اخرجه ابو الفرج ايضاً عن الحميدي انه قال كنا عند سفيان بن عيينة

(١) أي الله .

(٢) وقال فها انا بحمد الله كما ترون .

(٣) كذا في جزء الحافظ وغيره .

فحدثنا بحديث ماء زمزم لما شرب له فقام رجل من المجلس ثم عاد فقال يا أبا محمد أليس الحديث الذي حدثتنا به عن زمزم صحيحا فقال سفيان نعم قال فاني قد شربت الآن دلواً من زمزم على انك تحدثني بمائة حديث فقال سفيان اقعد فحدثه مائة حديث فهذه الأخبار مما تؤيد صحة حديث ماء زمزم لما شرب له مع أنه صحيح الاسناد كما سبق ولم ينصف ابن الجوزي في ذكره هذا الحديث في كتاب الموضوعات لكونه اما صحيحاً أو حسناً . ومنها كما نقله القاضي جمال بن عبد الله الشافعي الظهيري في مؤلفه الجواهر المكنونة في فضائل المضنونة عن علماء الشافعية وغيرهم أن الدعاء يستجاب(١) عند زمزم وفضائل ماء زمزم كثيرة وفي هذا القدر كفاية . وأما افضليته فنقل الجد تغمده الله برحمته عن شيخ الاسلام سراج الدين البلقيني أنه قال ماء زمزم افضل من ماء الكوثر لان به غسل صدر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه انتهى . قال الجد رحمه الله وفيما استدل به وقفة فقد يقال قوله ولم يكن يغسل إلا بأفضل المياه مسلم ولكن بافضل مياه الدنيا إذ ماء الكوثر من متعلقات دار البقاء فلا يستعمل في دار الفناء ولا يشكل بكون الطشت الذي غسل فيه صدره صلى الله عليه وسلم من الجنة لأن استعمال هذا ليس فيه اذهاب عين بخلاف ذاك والله أعلم انتهى . وقد سئل شيخ الاسلام جلال الدين السيوطي تعاهده الله بالرحمه عن ذلك بما صورته :

يا غرة في جبهة الدهر افتنا	لا زلت تفتي كل من جاء يسأل
في زمزم أو ماء كوثر حشرنا	من منهما ياذا المعالي افضل
جوزيت بالاحسان عنا كلنا	وبجنة المأوى جزاؤك اكمل

فأجاب بما صورته

لله حمدي والصلاة على النبي	محمد من للبرية يفضل
ما جاءنا خبر بذلك ثابت	فالوقف عن خوض بذلك أجمل
هذا جواب ابن السيوطي راجيا	من ربه التثبيت لما يسأل

وقد ذكر العلماء رحمهم الله أن لماء زمزم وبئره خواص مباركة (ومنها)

---

(١) وروى المراكشي في روضه عن ابي عمرو التميمي قال لما حججت وأردت أن أشرب من ماء زمزم فكرت لاي شيء اشربه فتحيرت ثم تذكرت أن أشرب لاجابة الدعاء فما سألت الله تعالى في تلك المواقف شيئا الا اعطانيه حتى دخول الجنة فأنا ارجوها وأنتظر وكان من سؤالي أنه أن لا يحوجني الى الاسلاف من فضلة أحد ففضلت لي فضلة كثيرة من الزاد. وتقدم أيضا أن أحد الابدال مقيم بزمزم يؤمن لمن شرب منها ودعا عندها .

انه يبرد الحمى وقد تقدم في الحديث (ومنها) انه يذهب الصداع (ومنها) ان جميع المياه العذبة التي في الارض ترفع وتغور قبل يوم القيامة إلا زمزم قالهما الضحاك(١) (ومنها) أنه يفضل مياه الأرض كلها طبا وشرعاً ذكر عن الامام بدر الدين بن الصاحب المصري انه قال : وازنت ماء زمزم بماء عين مكة فوجدت زمزم اثقل من العين بنحو الربع ثم اعتبرته بميزان الطب فوجدته يفضل مياه الأرض كلها (ومنها) أنه يحلو ليلة النصف من شعبان . ويطيب ويقال يقول أهل مكة ان عين السلوان تتصل بزمزم في تلك الليلة (ومنها) أنه يكثر في ليلة نصف شعبان في كل عام بحيث يفيض الماء من البئر على ما نقل لكن لا يشاهد ذلك إلا العارفون وممن شاهده كذلك الشيخ الصالح أبو الحسن المعروف بكرباج وكان ذلك في عام ستوسبعمائة (ومنها) أن الاطلاع في بئر زمزم يجلو البصر ويحط الخطايا (ومنها) كما اخرجه الفاسي على الفاكهي ان شيخا من اهل مكة أسر في بلاد الرومفقال له الملك من اي بلد انت قال من مكة قال له هل تعرف بمكة هزمة جبريل قال نعم ، قال فهل تعرف برة قال نعم ، قال فهل لها اسم غير هذا قالنعم هي اليوم تعرف بزمزم قال انا نجد في كتبنا انه لا يحثو رجل على راسه من مائها ثلاث حثيات فتصيبه ذلة أبدا (٢) (ومنها) انه لا يجتمع هو ونار جهنم في جوف عبد ابدا كما نقله المحب الطبري (ومنها) انه يقوي القلب ويسكن الروع ولهذا قال الحافظ زين الدين العراقي ان الحكمة في غسل صدر النبي عليه السلام بماء زمزم ليقوي به على رؤية ملكوت السموات والأرض والجنة والنار (٣) (ومنها) اجتماع أرواح المؤمنين في بئرها كما نقله في منهاج التائبين قال روي عن مجاهد بن يحيى البلخي انه قال كان

---

(١) وزاد صاحب مثير شوق الأنام بقوله : ان الله يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة غير زمزم الى أن قال وتلقي الارض مافي بطنها من ذهب وفضة ويجيء الرجل بالجراب فيه الذهب والفضة فيقول من يقبل مني فيقال له لو أتيتني به أمس قبلته رواه الازرقي انتهى سر الاسنى .

(٢) قال العلامة ابن الضياء في تفسيره في سورة ابراهيم انه من حثا على رأسه ثلاث حثيات من زمزم لم تصبه مذلة أبدا انتهى . قلت وينبغي فعل ذلك اتباعا لفعله عليه السلام فقد صح أنه بعد طوافه الركن أتى زمزم وشرب ثم صب دلوا على رأسه الشريف فصح فيه ما نقل فيه وأكدته السنة الشريفة .

تنبيه من الخواص أيضا ما نبه عليه الشيخ دومي المغربي المالكي في نصائحه نفع الله به أنه قال اذا خيف ضرر ماء يقول عليه يا ماء ماء زمزم يقرئك السلام فانه يأمن ضرر ذلك الماء سر الأسنى .

(٣) (مطلب حكاية عجيبة) .

عندنا بمكة رجل من اهل خراسان وكان كثير الطواف بالليل ويعتكف على قراءةالقرآنبالنهار وذلكمنذ ستين سنةوكانالناسيودعونهودائعهم فجاءرجل من الصالحين وكان بينه وبين الخراساني صداقة فأودعه عشرة آلاف دينار ثم سافر ، فلما قدم من سفره وجد الخراساني قد مات فسأل اهلهواولاده عن ماله ، فقالوا مالنا بـه علم لاندري مانقول فقص امره على فقهاء مكة يومئذ ، واخبرهم بما قال له اهلـه واولاده ، فقالوا له نحن نرجو انيكون الخراساني من اهل الجنة ، فاذا مضى ثلث الليل او نصفه ائت زمزم فاطلع فيها وناد يافلان بن فلان انا صاحب الوديعة ، ففعل ذلك ثلاث ليال فلم يجبه احد فأتى الفقهاء ، فأخبرهم بذلك فقالوا انا لله وانا اليـه راجعون نخشى ان يكون صاحبك من اهل النار اذهب الى اليمن فان بها بئراً اسمها برهوت يجتمع فيها أرواح المعذبين ، وهي على فم جهنم فاطلع فيها اذا مضى ثلث الليل أو نصفه ، وناد يافلان بن فلان انا صاحب الوديعة قال فمضيت الى تلك البئر فاذا انا بشخصين قد جاءا فنزل فيها وهما يبكيان، فقال احدهما للآخر من انت قال انا روح رجل ظالـم كنت اضمن المكوس وآكل الحرام ، فرماني ملك الموت الى هذه البئر اعذب فيها ، وقال الآخر: انا روح عبد الملك بن مروان كنت عاصياً ظالما وانا اعذب في هذه البئر ثم سمعت لهما صراخاً ، فقامت كل شعرة في بدني من الفزع ، ثم تطلعت في البئر وناديت يافلان فاجابني مـن تحت العقوبـة والضرب فقلت ويحك ياأخي ماالذي انزلك ههنا وبأي ذنب جئت الى منازل الأشقياء ، وقد كنت صاحب خير ، قال بسبب اختي كانت صعلوكـة ، وهـي بأرضْ العجم فاشتغلت عنها بالمجاورة بمكة والعبادة وما كنت افتقدها بشيء ولا اسأل عنها ، فلما مت حاسبني الله عز وجل عنها ، وقال نسيتها تعرى ، وانت تكتسي وتجوع وانت شبعان مكتفي وعزتي وجلالي اني لا ارحم قاطع الرحم اذهبوا به الى بئر برهوت فأنـا معذب مع قطاع الرحم في هذه البئـر فعساك ياأخي تذهب اليها وتشرف على حالها وتطلب لي منها أن تجعلني في حل ، فليس لي ذنب عند الله سوى هذا قال فقلت له أين مالي الذي أودعته عندك . فقال هو على حاله واني لم اثق عليه أولادي ولا غيرهم ، فدفنته في بيتي تحت العتبة في الموضع الفلاني فاذهب الى أولادي وقـل لهـم يدخلوك داري ، فاحفر فانك ستجد مالك ، قال فمضيت الى الموضعالذي قال لي عنه ، فحفرته فوجدت ذهبي على حاله كمـا ربطتـه ، فأخذته ومضيت الى بلاد العجم ، فسألت عن اخته ، واجتمعت بها وحدثتها حديثه فبكت وجعلته في حل ثم شكت الي القلة والضرورة فوهبتهـا شيئا من الدنيا ، وانصرفت راجعا الى مكة شرفها الله تعالى ، فلما كان نصف الليل جئت الى زمزم ، وناديت يافلان فقال لبيك جزاك الله عني خيرا .

(فصل فيما لزمزم من الأسماء)

نقل الفاسي عن الفاكهي رحمهما الله تعالى عن أشياخه من اهل مكة ان لزمزم عدة اسماء ، وهي زمزم وهزمة جبريل وسقيا الله اسماعيل وبركة ، وسيدة ، ونافعة ، ومضنونة اي ضن بها لبني اسماعيل لانها اول ما اخرجت له عليه السلام اخرجه الأزرقي عن كعب وعونة وبشرى وصافية وبرة وعصمة وسالمة وميمونة ومباركة وكافية وعافية ومغذية بضم الميم والغين المعجمة من الغذا وطاهرة وحرمية بالحاء المهملة لكونها والله اعلم بالحرم ، ومروية بضم الميم وتخفيف التحتية ومؤنسة وطعام طعم وشفاء سقم ، وذكر الفاكهي عن عثمان بن ساج أن من اسماء زمزم سابق وذكر الفاسي رحمه الله أن لها اسماء اخر من ذلك ظبية بالظاء المعجمة المشالة وبعدها باء موحدة ساكنة ثم مثناة من تحت مفتوحة سميت بها تشبيهاً بالظبية التي هي الخريطة . قال القاضي جمال الدين عبد الله بن ظهيرة تغمده الله برحمته لجمعها ماء فيها ومن ذلك تكتم بتاءين مثناتين من فوق بينهما كاف ثم ميم في الآخر وهو فعل مضارع بفتح التاء الأولى وسكون الكاف وضم التاء الثانية ، وشباعة العيال وشراب الأبرار وقرية النمل وهزمه اسماعيل وحفيرة العباس وعزا هذا الأخير الى معجم البلدان لياقوت ، ونقرة الغراب هذا ما ذكره . ثم قال وقد ذكرنا معاني بعض هذه الأسماء في أصل هذا الكتاب يريد ذلك أصل كتابه شفاء الغرام ولم يوجد ولا عثر عليه أحد مطلقا . وأخرج الأزرقي رحمه الله أن معنى تسميتهابنقرة الغراب هو أن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم ونبه على ذلك وقيل له عند نقرة الغراب الأعصم كما تقدم جاء الى المسجد ليتعرف موضع الحفر بما رأى من العلامات فبينما هو على ذلك إذ نحرت بقرة عند الحزورة فانفلتت من الذابح تجري حتى غلبها الموت في موضع زمزم فجزرت في ذلك الموضع فأقبل غراب يهوي حتى وقع في الفرث فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هناك انتهى . ولم أدر ما قرية النمل التي بحث عنها الغراب ولا وقفت على كلام فيها . والغراب الاعصم هو الذي في جناحه ريشة بيضاء كذا في الصحاح ومن أسماء زمزم على ما نقله السهيلي في روضه همزة جبريل بتقديم الميم على الزاء وقال لأن جبريل همز بعقبه فنبع الماء وزمازم حكاهما عن المطرز وفي بعض نسخ الروض ضبط زمزم بالشكل فجعل على الزاء الاولى ضمة وعلى الميم شدة وفتحة وطيبة بالطاء المهملة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة ثم باء موحدة كما يقتضيه كلام السهيلي ورايت في النسخة التي وقفت عليها من تاريخ الأزرقي كذلك بالطاء المهملة

ويقال للماء زمزم وزمزوم وزمزام . وقد اختلف في سبب تسمية زمزم بزمزم فقيل لكثرة مائها قال ابن هشام والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع وقيل لأنها زمت بالتراب حين نبع الماء لئلا يأخذ يمينا وشمالا ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء كذا نقل عن ابن عباس. وقيل سميت بذلك لزمزمة الماء وهي صوته قاله الحربي وقيل لأن الفرس كانت تحج في الزمن الأول فتزمزم عليها . قال المسعودي والزمزمة صوت تخرجه الفرس من خياشمها عند شرب الماء . وروي أن عمر رضي الله عنه كتب الى عماله بأن ينهوا الفرس عن الزمزمة وانشد المسعودي البيت :

زمزمت الفرس على زمزم وذاك في سالفها الاقدام

وقيل ان زمزم غير مشتقة . والله تعالى أعلم .

(فصل في آداب الشرب من زمزم)

وما ينبغي ان يقال عند ذلك

قال العلماء رحمهم الله من أراد أن يشرب من ماء زمزم فينبغي له ان يأخذ السقاء بيده اليمنى(١) ويستقبل الكعبة الشريفة ويقول اللهم انه بلغني عن نبيك صلى الله عليه وسلم أنه قال ماء زمزم لما شرب له اللهم اني أشربه لكذا ويذكر مايريد(٢) ثم يشرب(٣) ويتنفس(٤) ثلاثا ويسمي الله في ابتداء كل مرة ويحمده عند فراغها لما روي ان محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر قال كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فجاءه رجل فقال له من اين جئت قال من زمزم قال فشربت كما ينبغي قال وكيف ذلك قال إذا شربت منها استقبل الكعبة واذكر اسم الله عز وجل ثم تنفس ثلاثا وتضلع منها فاذا فرغت فاحمد الله تعالى فان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من زمزم . رواه البيهقي من

(١) أي ان أمكن من غير تأذ ولا ايذاء .

(٢) من دين أو دنيا أو همًا واهمها رضا الله تعالى ومغفرته وحسن الخاتمة قال القاضي فخر الدين بن ظهيرة في منسكه ثم يقول فافعل ذلك تفضلا وكذا قاله شيخ الاسلام في غرره .

(٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشربوا واحدا كشرب البعير ولكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا اذا أنتم شربتم واحمدوا اذا أنتم رفعتم.

(٤) بأن يبين الاناء عن فيه فيتنفس ثم يعود .

طرف وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان إذا شرب من ماء زمزم قال اللهم اني أسألك علما نافعا ورزقا واسعـــا وشفاء من كل داء(١) قال العلماء ولا يقتصر على هذا الدعاء بل يدعو بما احب من أمور الدنيا والآخرة ويجتنب الدعاء بما فيه مأثمة(٢) وعن سويد بن سعيد قال رايت عبد الله بن المبارك بمكة أتى زمزم واستقى منها ثم استقبل الكعبة فقال اللهـم ان ابن ابي الموالي حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم قال ماء زمزم لما شرب له وأنا أشربه لعطش يوم القيامة ثم شرب .

(فائدة) أخرج الأزرقي رحمه الله أن في بئر زمزم ثلاث عيون عين حذاء الركن الأسود وعين حذاء أبي قبيس والصفا(٣) وعين حذاء المروة ونقل الفاكهي عن العباس بن المطلب عن كعب الاحبار أن العين التي تجري من جهة الحجر الأسود هي أغزر(٤) العيون الثلاثة قال الجد رحمه الله انها من عيون الجنة والله أعلم(٥) .

(فروع) الأول يجوز الوضوء من ماء زمزم والغسل به عند الحاجة اليه كما صرح به أئمتنا من غير كراهة وكذلك مذهب السادة الشافعية والمالكية والحنابلة . وفي شرح المهذب للنووي أن الجواز مذهب الجمهور الثاني في حكم الاستنجاء به اما عندنا فلم أقف (٦) على نقل في ذلك والمنقول عـن الماوردي والنووي من الشافعية أن ماء زمزم وان كان له حرمة فليست هي

---

(١) قال الخطيب في المغنى والكمال الدميري قال الحاكم هو صحيح الاسناد ثم قـال رحمه الله : وينبغي أن يزاد على ذلك وفقنا خاتما وذرية طيبة .

(٢) لانه يكون في شربه له بذلك اعانة على معصية .

(٣) قال جعفر رضي الله عنه كانت زمزم أطيب المياه وأعذبها والدها نبعت على المياه فانبط الله فيها عينا من الصفا فافسدتها نقله المراكشي في الروض الجامع وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان اذا شرب من زمزم يقول اللهم اني اشربه لظمأ يوم القيامة .

(٤) وفي نسخة أعز .

(٥) وروى ابن أبي شيبة عن ابن عدي قال ضع دلوك من قبل العين التي بالبيت فانها من عيون الجنة وروى القرطبي في تفسيره عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ان في زمزم عينا من الجنة من قبل الركن الاسود وفي منسك ابن أمير الحاج قال : قال ابن شعبـان العين التي تلي الركن الأسود من زمزم من عيون الجنة .

(٦) قوله لم أقف الخ قال الملا رحمه الله في المتفرقات من الأوسط ويجوز الاغتسـال والتوضؤ بماء زمزم على وجه التبرك ولا يستعمل الا على طاهر ويكره الاستنجاء ويستحب حمله الى البلاد انتهى .

بحيث تمنع استعماله في الاستنجاء والمنقول عن الروياني الكراهة في ذلك قال ابن درياس من الشافعية ان ماء زمزم وغيره في ذلك سواء على المذهب ثم نقل في شرحه على المهذب عن الصيمري انه قال ان غيره من الماء اولى منه في الاستنجاء وجزم المحب الطبري رحمه الله بتحريم إزالة النجاسة به وان حصل به التطهير . قال أكثرهم وينبغي توقي إزالة النجاسة به لا سيما مع وجود غيره وخصوصاً في الاستنجاء فقد قيل ان بعض الناس استنجى به فحدث له الباسور . وقال ابن شعبان من المالكية لا يغسل بماء زمزم ميت ولا نجاسة واخرج إلفاكهي ان أهل مكة كانوا يغسلون موتاهم بماء زمزم إذا فرغوا من غسل الميت وتنظيفه تبركا به وان أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما غسلت ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بماء زمزم الثالث يجوز نقل ماء زمزم الى البلدان للتبرك به باتفاق المذاهب الأربعة بل ذلك مستحب عند الشافعية والمالكيةوكذلكيجوز عندنا اخراج اليسير من حجارة الحرم وترابه للتبرك ولم يجوزه الشافعي رحمه الله ، والفرق بين ذلك وماء زمزم عنده ان الماء إذا زال حدث غيره بخلاف حجارة الحرم والدليل على جواز اخراج ماء زمزم الى الحل ان عائشة رضي الله عنها حملت من ماء زمزم في قوارير وقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حمله في الأداوي والقرب اخرجه الترمذي في جامعه . وعن ابن عباس ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استهدى سهيل بن عمرو من ماء زمزم فبعث له براويتين أخرجه الطبراني بسند رجاله ثقات . وروي ان كعب الأحبار حمل من ماء زمزم اثني عشر راوية الى الشام وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يصبه على المرضى ويسقيهم منه وانه صلى الله عليه وسلم حنك به الحسن والحسين رضي الله عنهما مع تمر العجزة(١) .

(١) وعن ناناة مولى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال جاء كعب الأحبار باداوة من ماء الى زمزم ونحن ننزع عليها فنحيناه عنها فقال العباس دعوه يفرغها فيها فاستسقى منها اداوة وقال انهما ليتعارفان يعني ايليا وزمزم اخرجه الأزرقي (فائدة) ايلياء بكسر همزة اوله ومد وفي آخره همزة مفتوحة عين ببيت المقدس يقال لها عين السلوان وتقدم أن من شرب منها ومن العيون الثلاثة حرم الله جسده على النار وعن خالد بن معدان أنه قال ماء زمزم وعين سلوان التي ببيت المقدس عينان من عيون الجنة كذا في باعث النفوس للفراوي سر الاحسن .

استطراد لطيف

في ذكر ما ورد في فضل السبطين وانهما سيدا شباب اهل الجنة

وفضل الشيخين وانهما سيدا كهول اهل الجنة

وفي معنى ذلك والمراد بـه

جاء في الحديث عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله قال «الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ، وعن انس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين الا النبيين والمرسلين . رواه الترمذي وحسنه وتوفي ابو بكر وعمر والسبطان رضي الله عنهم وهم شيوخ كلهم . معنى الحديثين ان الحسن والحسين سيدا كل من مات شابا ودخل الجنة وان ابا بكروعمر سيدا كل من مات كهلا ودخل الجنة ، فكل اهل الجنة يكونون في سن ابناء ثلاث وثلاثين ولكن لايلزم كون السيد في سن من يسودهم فقد يكون اكبر منهم سنا وقد يكون اصغر ، ولايجوز أن يقال وقع الخطاب حين ماتاشابين او كهلين فان هذا جهل ظاهر وغلط فاحش لأن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وللحسن والحسين دون ثمان سنين فلا يسميان شابين ولابي بكر فوق الستين سنة ولعمر فوق خمسين فكانا حال الخطاب شيخين فان هذا الخطاب كان بالمدينة ، وانما اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عشر سنين ، ولعل هذا الخطاب كان في آخرها وينقضي سن الكهولة ببلوغ اربعين سنة ويدخل بالأربعين سن الشيخوخة ، والله اعلم قاله النووي في فتاويه ، وقوله فكل اهل الجنة يكونون في سن ابناء ثلاث وثلاثين يؤيده مانقله الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله في البدور السافرة ، فقال اخرج الطبراني عن المقداد بن الأسود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس مابين السقط والشيخ الفاني ابناء ثلاث وثلاثين في خلق آدم وحسن يوسف وقلب ايوب مكحلين ذوي افانين . قال القرطبي رحمه الله يكون الآدميات في الجنة على سن واحد ، واما الحور فأصناف مصنفة صغار وكبار ، وعلى ماشتهت انفس اهل الجنة ، واخرج ابن ابي الدنيا عن ابن عباس قال اهل الجنة جرد مرد مكحلون ليس لهم لحي الا ما كان من موسى بن عمران عليه السلام فان لحيته تضرب الى صدره واخرج هنا ، وعن ابي الدرداء انه كان يأخذ لحيته ويقول نزع الله

اللحى متى الراحة منها قيل لـه متى الراحة منها قال اذا أدخلنـا الجنة.
واخرج ابو الشيخ في العظمة وابن عساكر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس احد يدخل الجنه الا جرد مرد الا موسى بن عمران عليه السلام فان لحيته تبلغ سرته . وليس أحد يكنى في الجنة الا آدم فانـه يكنى أبا محمد . واخرج عن كعب رضي الله عنه قال ليس احد في الجنـه له لحيه الا آدم عليه السلام له لحية سوداء الى سرته . وذلك لأنه لم يكن له لحية في الدنيا . وانما كانت اللحى بعد آدم وليس أحد يكنى في الجنة غير آدم يكني فيها ابا محمد . أقول من المعلوم المقرر عند النحاة والاصوليين ان الاستثناء من النفي اثبات . وهو مفيد للحصر . فاذا كان كذلك . فبين الخبرين المذكورين الدالين على اختصاص اللحيه في الجنة بادم وموسى عليهما السلام تعارض ظاهر من غير ترجيح لأنه حيث ثبت الحصر في حق آدم انتفي عن موسى او في حق موسى انتفي عـن آدم . واذا تعـارض الخبران ولم يكن مرجح تساقطا غير أنه يمكن الجمع بما ذكره من الصنف من كون لحية آدم سوداء فيجوز أن يكون لموسى لحية غيـر سوداء بان تكون بيضاء او شمطاء او غير ذلك لان احوال الآخرة لاتكيف ولا تقاس على احوال الدنيا ثم ماذكره من العلة في حق آدم عليه السلام من كونه لم يكن لـه لحية في الدنيا لما ان اللحى لم تظهر الا بعده لايصدق ذلك على موسى عليه السلام . اذ في زمنه كانت اللحى قد ظهرت ، ويشهد لذلك قولـه تعالى : حكاية عن اخيه هارون معه «قال يابن أم لاتأخـذ بلحيتي» فهذا صريح في وجود اللحى زمن موسى فيحتمل أن يكون ذلك كرامة لسيدنـا موسى اختصه الله بها او غير ذلك مما الله اعلم به . فتأمل والله الموفـق
(الرابع) ان قيل الحرمة الثابتة لمـاء زمزم هل هي لعينه ام لاجل البقعة ؟ فالجواب انها لعينه والا يلزم انه لو حفرت بئر اخرى في المسجد ان يثبت لهـا من الفضل ما ثبت لزمزم ولا قائل به كذا في منسك الجد رحمه الله
(الخامس) يستحب عندنا لكل من طاف طوافا بعده سعي ان يأتي زمزم بعد فراغه من ركعتي طوافه فيشرب منها ثم يعود الى الحجر ويقبله ويخرج الى الصفا وكذلك يستحب للحاج اذا فرغ من طواف الصدر وهو طواف الوداع ان يأتي الى زمزم فيشرب منها . ويستعمل آداب الشرب المتقدمة ويصب منه على وجهه ويغتسل منه ان امكن .

ولنختم هذا الباب بذكر ابيات الشيخ العلامة بدر الدين احمد بن محمد المصري في مدح ماء زمزم وهي :

شفيت يا زمزم داء السقيـم	فانت اصفى من تعاطي النديم
وكم رضيع لـك اشواقـه	اليك بعد الشيب مثل الفطيـم

وله ايضا :

يا ماء زمزم الطيبة المخبر يا من عنت غورا على المشري
رضيع أخلاقك لا يشتهي فطامه الا لدى الكوثر

وله ايضا .

بالله قولوا لنيل مصر بأنني عنه في غناء
بزمزم العذب عند بيت مخلق الستر بالوفاء

وله ايضا :

لزمزم نفع في المزاج وقوة تزيد على ماء الشباب لذي فتك
وزمزم فاقت كل ماء بطيبها ولو ان ماء النيل يجري على المسك

وليكن المسك ختام الباب . والى الله المرجع والمآب

الباب العاشر

(في ذكر أمراء مكة)

من لدن عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى تاريخ وقتنا هذا

وهو عام تسعة واربعين وتسعمائة (١)

وهذا المؤلف وان كنت وضعته لبيان فضل مكة فقد يذكر الشيء بالشيء تكثيرا للفائدة وهذا الفرع لم يتصد لجمعه احد كما ينبغي سوى العلامة تقي الدين الفاسي رحمه الله ، فأحببت أن أذكر ماذكره وازيد من حدث بعده من أمراء مكة الى يومنا هذا ليصير هذا المؤلف جامعا مغنيا عن مطالعة غيره من المطولات مع توسط العبارة وعدم الاخلال بأحد ممن عده الفاسي مع زيادة الايضاح ، والله ولي التوفيق والمعونة .

فأول امير ولي مكة عتاب بن اسيد بفتح الهمزة بن ابي العيص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القريشي الأموي ولاه

(١) تاريخ التأليف سنة ٩٤٩ .

سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند مخرجه الى غزوة حنين في العشر الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة وهو ابن احدى وعشرين سنة ، قاله ابن اسحاق وغيره ممن لا يحصى ، وهو في عامة كتب الحديث بل وغيرها وذكر ابن عقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج الى حنين استخلف معاذ بن جبل الانصاري على اهل مكة وأمره أن يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين ، وذكر ابن عبد البر عن الطبري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار الى الطائف استخلف على مكة هبيرة بن سهل الثقفي ، وهو أول من صلى بمكة جماعة بعد الفتح ، وقد جمع الفاسي رحمه الله بين هذه الأخبار بأن عتاب جعل أميرا على مكة ومعاذا اماما وفقيها ، واشترك هبيرة مع معاذ في الامامة ولا يعارض ذلك ماقيل في ترجمة هبيرة من انه اول من صلى بمكة جماعة كما تقدم لامكان أن يكون حان وقت الصلاة وهبيرة حاضر في الناس ومعاذ غائب فبادر هبيرة فصلى بالناس لتحصيل فضيلة أول الوقت ثم حضر معاذ وصلى بمن لم يكن يدرك الصلاة خلف هبيرة ، وهذا اولى من جعل الأخبار متعارضة في ولاية عتاب هذا معنى كلام الفاسي ، وقد اجاد لأن ولاية عتاب مما بلغ حد التواتر ، ولم يزل عتاب اميرا على مكة الى ان مات . وكانت وفاته يوم مات ابو بكر رضي الله عنه ، وقيل بل يوم جاء نعي الصديق الى مكة ، ونقل ابن عبد البر مايقتضي ان الصديق عزل عتاب ، وولى الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القريشي الهاشمي ، وهو ضعيف والمشهور دوام ولاية عتاب على مكة الى ان مات في التاريخ المتقدم آنفاً ثم ولي مكة في خلافة الصديق نيابة عن عتاب لسفر طرأ له المحرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف القريشي .

(ذكر من ولي مكة في خلافة عمر بن الخطاب)
رضي الله عنه

وليها له جماعة اولهم المحرز بن حارثة المذكور وذلك في أول خلافته ثم وليها قنفذ بن عمير بن جدعان التيمي بعد عزل المحرز ثم وليها نافع بن عبد الحارث الخزاعي بعد عزل قنفذ ووليها بعد عزل نافع خالد بن العاص ابن هشام بن المغيرة المخزومي وطارق بن المرتفع بن الحارث بن عبدمناف، وعبد الرحمن بن ابزي مولى خزاعة نيابة عن مولاه نافع بن عبد الحارث لما

خرج لملاقاة عمر رضي الله عنه بعسفان وانكر عمر ذلك على نافع كما قد علمته فيما سبق في الباب الثامن والحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب القريشي الهاشمي . ونقل الذهبي ان الحارث هذا ولى مكة لأبي بكر وهو ضعيف .

(ذكر من ولي مكة في خلافة عثمان رضي الله عنه)

وليها جماعة اولهم علي بن عدي بن ربيعة بن عبد العزى بن عبدشمس ابن عبد مناف القرشي ولاه عليها أول خلافته ثم خالد بن العاص بن هشام ابن المغيرة المخزومي المتقدم . وكذلك ولى عثمان الحارث بن نوفل السابق آنفا . وعبد الله بن خالد بن أسيد بن ابي العيص بن امية بن عبد شمس القرشي ابن اخي عتاب بن اسيد وعبد الله بن عامر الحضرمي وذكر ابن الأثير انه كان على مكة في سنة خمس وثلاثين وفيها قتل عثمان ثم نافع ابن عبد الحارث الخزاعي السابق ذكره .

(ذكر من ولي مكة في خلافة أمير المؤمنين)

علي بن أبي طالب كرم الله وجه

وليها جماعة أولهم ابو قتادة الأنصاري فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه الحارث بن ربعي وقيل النعمان بن ربعي . وقيل غير ذلك ثم قثم بضم القاف وفتح المثلثة ابن عباس بن عبد المطلب بن هاشم القريشي الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم بعد عزل ابي قتادة الأنصاري . ولم يزل واليا عليها الى أن قتل علي رضي الله عنه على الأشهر ثم أخوه معبد بن العباس بن عبد المطلب على ماقيل وقيل ان المحرز بن حارثة ولي مكة لعلي قال الفاسي . وهو تصحيف .

ذكر ولاة مكة في خلافة معاوية بن ابي سفيان

وهم جماعة لانعرف اولهم منهم اخوه عتبة بن ابي سفيان . وخالد بن العاص بن هشام المخزومي المتقدم . ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس القريشي الأموي أبو عبد الملك . وسعيد بن العاص بن

امية بن عبد شمس القريشي الاموي يكنى ابا عثمـان . وقيل ابا عبدالرحمن احـد اشراف مكة واجوادهـا وفصائحها ، وعمرو بن سعيد بن العـاص القريشي الاشدق ، وكذا سعيد المتقدم وعبدالله بن خالد بن اسيد بن ابي العيص القريشي ابن اخي عتاب السابق ، وكانت ولايته سنة اربع واربعين وفيها حج معاوية حجته الاولى .

ذكر ولاة مكة في خلافة يزيـد بن معاوية)

وهم جماعة : عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالاشدق السابق في ولاية معاوية والوليد بن عتبة بن ابي سفيان بن حرب القريشي ابن‌عم يزيد . وعثمان بن محمد بن ابي سفيان بن حرب القريشي ابن عم يزيدايضا الامويون والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي المتقدم ذكروالده خالد وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل العدوي القريشي ابن‌اخي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويحيى بن حكيم بن عمـرو بن صفوان بن امية بن خلف الجمحي وفي ترتيب ولايتهم اختلاف الا عمرو سعيد فانـه اولهم ثم الوليد بعده .

(خلافة عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما)

ثم ولي مكة عبد الله بن الزبير بعد ان لقي في ذلك بلاء شديدا من الحصين بن نمير المقدم على عسكر يزيد وكان وصول الحصين الى مكـة لمحاربة ابن الزبير لما بايعه اهـل الحجاز لاربع بقين من المحرم سنة اربع وستين وتقاتل هو وابن الزبير مدة ثم فرج الله على ابن الزبير بوصول نعي يزيد في ليلة الثلاثاء لثلاث مضين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وستين فولى الحصين راجعاً الى الشام وبويع ابن الزبير حينئذ بالخلافة بالحرمين ثم بويع بها في العراق واليمن وغيرهما من البلاد وساد امره ودامت ولايته على مكة الى ان حاربه الحجاج وقتله وكان من امره ماليس هـذا محل ذكـره .

ذكر ولاة مكة في خلافة عبد الملك بن مروان

وليها له جماعة وهم ابنه مسلمة والحجاج بن يوسف والحارث بن خالد المخزومي السابق ذكره وخالد بن عبد الله القسري وعبد الله بن سفيان المخزومي وعبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن العيص الأموي ونافع بن علقمة الكناني ويحيى بن الحكم بن ابي العاص بن أميه ابن عبد شمس القرشي الأموي وأولهم في الولاية الحجاج والباقون لايعرف ترتيبهم وممن ولي لعبد الملك كما قيل هاشم بن اسمعيل المخزومي وابان ابن عثمان بن عفان ❊ واما ولاة مكه في خلافه الوليد بن عبد الملك فاثنان الامام العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم القريشي الاموي رضي الله عنه وولاه المدينة الشريفة ايضا ثم خالد بن عبد الله القسري ❊ واما ولاتها في خلافة سليمان بن عبد الملك فثلاثة انفار خالد بن عبد الله القسري ثم طلحة بن داود الحضرمي ثم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد بن ابي العيص الأموي ❊ وأما ولاتها في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فخمسة رجال عبد العزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد المذكور ومحمد ابن طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق وعروة بن عياض ابن عدي بن الحبان بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي كذا ترجمة الذهبي وغيره وعبدالله بن قيس بن مخرمة بن عبد المطلب القريشي وعثمان بن عبيدالله بن عبدالله بن سراقة العدوي وذكر ابن جرير ان عبد العزيز بن خالد هو الذي كان واليا على مكة مدة خلافه عمر جميعها وجمع الفاسي رحمه الله فقال ولعل المذكورين من الولاة غير عبد العزيز بن خالد ولوا لعمر في زمن ولايته لمكة عن الوليد بن عبد الملك في المدة التي كان فيها بالمدينة فانها كانت في ولايته ايضا ❊ وأما ولاتها في خلافة يزيد بن عبد الملك فجماعة اولهم عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن اسيد المذكور ثم عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس القريشي الفهري مع ولايته للمدينة ايضا وولايته لمكة في سنة ثلاث ومائة وللمدينة في سنة احدى ومائة ثم عبد الواحد بن عبد الله النصري بالنون من بني نصر بن معاوية بعد عزل عبد الرحمن بن الضحاك في سنة اربع ومائة مع المدينة ايضا ❊

واما ولاتها في خلافة هشام بن عبد الملك فجماعة ايضا اولهم عبد الواحد المذكور ، ومدة ولايته لذلك في خلافة يزيد وهشام سنة وثمانية اشهر على ماذكره ابن الاثير ثم بعده ابراهيم بن هشام ابن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك في سنة ست ومائة ، وولي مع ذلك المدينة ايضا ودامت ولايته على مكة الى سنة ثلاث عشرة . وقيل اربع عشرة ومائة ثم بعد ابراهيم المذكور اخوه محمد بن هشام بن اسماعيل .

ودامت ولايته على ماقيل الى سنة خمس وعشرين ومائة ، وذكر الفاكهي ان ممن ولي لهشام مكة نافع بن علقمة الكناني السابق ذكره في خلافة ابيه عبد الملك . وممن وليها على الشك في خلافة عبد الملك بن مروان او في خلافة احد اولاده الأربعة أو خلافة عمر بن عبد العزيز أبو جراب محمد ابن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصفر الأموي ذكره الفاكهي وذكر ما يقتضي انه كان على مكة زمن عطاء بن أبي رباح * واما ولاتها في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك . فيوسف بن محمد بن يوسف الثقفي مع المدينة والطائف في سنة خمس وعشرين ومائة ، وذلك بعد عزم محمد بن هشام خال الوليد المذكور . ودامت ولايته الى انقضاء دولة الوليد بن يزيد سنة ست وعشرين ومائة * وأما ولاتها في خلافة يزيد بن يزيد بن الوليد ابن عبد الملك . فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان على ما قيل * واما ولاتها في خلافة مروان بن محمد بن مروان الأموي المعروف بالحمار خاتمة خلفاء بني امية . فعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان المذكور آنفا . ودامت ولايته الى ان حج بالناس في سنة ثمان وعشرين ومائة ثم بعده عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وولي معذلك المدينة . واستمر متوليا الى ان حج بالناس في سنة تسع وعشرين ومائة . ثم ولي مكة بعده بالتغلب ابو حمزة الخارجي الاباضي واسمه المختار بن عوف ، وسببه أن عبد الله بن يحيى الأعور الكندي المسمي طالب الحق بعد انملك حضرموت وصنعاء وتغلب عليهما طرد عامل مروان القاسم بن عمر الثقفي عنهما . وبعث ابا حمزة المذكور الى مكة في عشرة آلاف من العسكر . فهرب عبد الواحد المذكور يوم النفر الأول من منى . وقصد المدينة وجهز جيشا من المدينةالى ابي حمزةفخرج ابو حمزةثم قصد المدينة فلقيهجيش عبدالواحد بقديد فكان الظفر لابي حمزة ثم قصد المدينة وقتل بها جماعة ، وبلغ خبره مروان فجهز اليه عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي فياربعة آلاف فارس فالتقي هو وابو حمزة بمكة بالأبطح . فقتل ابو حمزة ، وكان عسكره خمسة عشر الفا وظفر عبد الملك . وذكر ابن الأثير مايقتضي ان عبد الملك سار الى اليمن لقتال طالب الحق المتقدم ذكره . وانه ظفر بطالب الحق وقتله وأرسل برأسه الى مروان . وممن ولي مكة لمروان الوليد بن عروة السعدي ابن اخي عبد الملك المذكور . وانه كان عليها في سنة احدى وثلاثين ومائة . ويقال ان محمد بن عبد الملك بن مروان كان على مكةوالمدينة في سنة ثلاثين ومائة ، وانه حج بالناس فيها ، والله أعلم .

(ذكر ولاة مكة في ايام بني العباس) أما ولاتها في خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أول خلفاء بني العباس وتلقب بالسفاح فداود بن علي بن عبد الله بن العباس عم

السفاح وذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة وولاه مع مكة المدينة واليمن واليمامة ثم بعده زياد بن عبدالله الحارثي خال السفاح معالمدينة واليمامة ايضا ودامت ولايته الى سنة ست وثلاثين ومائة على مايقتضيه كلام ابن الأثير . ثم ولي بعد زياد العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي في سنة ست وثلاثين ومائة . واستمر عليها الى موت السفاح قاله ابن الأثير . وممن ولي مكة للسفاح على ماذكر ابن حزم في الجمهرة عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي. وهذا يخالف ما تقدم عن ابن الأثير من كون العباس كان مستمرا على ولاية مكة الى موت السفاح . والله أعلم بحقائق الأمور * وأما ولاتها في خلافة المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أخي السفاح فجماعة أولهم العباس بن عبد الله بن معبد المذكور آنفا . وذلك سنة سبع بتقديم السين وثلاثين ومائة ثم مات بعد انقضاء الموسم . ثم ولي بعده زياد بن عبيد الله الحارثي المتقدم ودامت ولايته الى سنة احدى واربعين ومائة . وهو الذي تولى عمارة مازاد المنصور في المسجد الحرام . ثم ولي بعد عزل زياد الهيثم بن معاوية العتكي الخراساني في سنة احدى واربعين ومائة . واستمر الى سنة ثلاث وأربعين . ثم ولي بعد عزله السري ابن عبدالله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب واستمر الى سنة خمس واربعين . ثم ولي بعده بالتغلب محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله ابن جعفر بن ابي طالب القريشي الهاشمي الجعفري من قبل ـ بكسر القاف وفتح الموحدة ـ محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب الملقب بالنفس الزكية لأنه لما تغلب على المدينة النبوية . وخرجعلى المنصور في سنة خمس واربعين امر علي مكة محمد بن الحسن بن معاوية المذكور . فسار الى مكة فخرج اليه السري بن عبد الله امير مكة من قبل المنصور . فتحاربا فانهزم السري ودخل محمد مكة . ثم انفذ المنصور جيشا لمحاربة محمد بن عبد الله ، فقتل كذا نقله ابن الأثير . وذكر الزبير بن بكار مايقتضي أن الذي ولاه محمد بن عبد الله على مكة حسن بن معاوية والد محمد المذكور ، والله اعلم بالصواب ، ثم عاد السري على ولاية مكة من قبل المنصور ، واستمر الى سنة ست واربعين ومائة ، ثم ولي بعده عبدالصمد ابن علي بن عبدالله بن العباس العباسي عم المنصور والسفاح ، واستمر الى سنة تسع واربعين بتقديم المثناة الفوقية ، وقيل الى سنة خمسين ،وقيل انه كان على مكة في سنة سبع وخمسين بتقديم السين ثم ولي بعد عبد الصمد محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس العباسي ومكث الى سنة ثمان وخمسين * واما ولاتها في خلافة المهدي

امير المؤمنين محمد بن المنصور العباسي فجماعة اولهم ابراهيم بن يحيى ابن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بوصية من المنصور ثم جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس وكان على ذلك في سنة احدى وستين وثلاث وستين ، ثم عبيد الله بن قثم بضم القاف وفتح المثلثة ابن العباس ابن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان متوليا لذلك في سنة ست وستين . وممن ولي للمهدي ايضا محمد بن ابراهيم الامام العباسي المتقدم ذكره الفاكهي . وممن ولي مكة على الشك في خلافة المهدي وابنه الهادي قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب والد عبيد الله المتقدم والله أعلم بذلك * وأما ولاتها في خلافة الهادي موسى بن المهدي العباسي فعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم وذلك في سنة تسع وستين بتقديم المثناة . ثم وليها بالتغلب في ايام الهادي الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب الحسني لأنه خرج عن طاعة الهادي وفتك بمن في المدينة من جماعة الهادي ونهب بيت المال الذي بالمدينة وبويع على كتاب الله وسنة نبيه وخرج بجماعته الى مكه لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وستين وبلغ الهادي خبره فكتب الى محمد بن سليمان بن علي ابن عبدالله بن عباس وامره بمحاربة الحسين المذكور ، وكان محمد بن سليمان قد توجه في هذه السنة المذكورة للحج في جماعة من اهل بيته وخيل وسلاح فلما دخل من عمرته عسكر بذي طوى وانضم اليه من حج من جماعتهم وقوادهم والتقوا مع الحسين واصحابه وكان القتال يوم التروية فقتل الحسين في ازيد من مائة من اصحابه بفيح ظاهر مكة عند الزاهر ودفن هنالك . قال الفاسي وقبره معروف الى وقتنا هذا في قبة على يمين الداخل إلى مكة ويسار الخارج منها إلى جهة وادي مر وحمل راسه الى الهادي فلم يحمد ذلك . وكان الحسين هذا شجاعا كريما يحكى انه قدم على المهدي فاعطاه اربعين الف دينار ففرقها في الناس ببغداد والكوفة وخرج لايملك ما يلبسه الا فروة ليس تحتها قميص رحمه الله وغفر له . وممن ولي مكة في خلافة الهادي واخيه الرشيد محمد بن عبدالرحمن السفياني كان على امارتها وقضائها واستمر الى أن صرفه المأمون الى قضاء بغداد * واما ولاتها في خلافة هارون الرشيد بن المهدي فجماعة لا يعرف ترتيبهم في الولاية وهم أحمد بن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس وحماد البربري وسليمان بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس والعباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس واخوه علي بن موسى بن عيسى والعباس بن محمد بن ابراهيم الامام وعبد الله بن محمد بن عمران بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التيمي وعبيد الله بن قثم بن العباس المتقدم فيما سبق وعبيد ا* بن محمد بن

ابراهيم الامام والفضل بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ومحمد بن ابراهيم الامام ومحمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو ابن عثمان بن عفان العفاني وموسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي والد العباس وعلي المتقدم ذكرهما * وأما في خلافة الأمين محمد بن هارون الرشيد العباسي فداود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين بتقديم المثناة على السين واستمر الى انقضاء خلافة الأمين في سنة ست وتسعين وهو الذي تولى خلع الأمين بمكة فيها * واما ولاتها في خلافة المأمون امير المؤمنين عبد الله ابن هارون الرشيد فداود المذكور أيضا ولاه المأمون بعد خلع الأمين واستمر الى اواخر سنة تسع وتسعين ومائة بتقديم المثناة الفوقية ثم فارق مكة متخوفاً من الحسين بن الحسين بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بالافطس وسببه أن أبا السرايا السري بن منصور الشيباني داعية ابن طباطبا لما تغلب واستولى على العراق ولي مكة الحسين بن الحسن الأفطس فسار الى أن وصل الى وادي سرف المعروف في وقتنا هذا بالنوارية بتشديد النون على مرحلة لطيفة من مكة الى جهة مرالظهران فتوقف عن الدخول خشية من اميرها داود فلما بلغه خروج داود دخلها ليلة عرفة فطاف وسعى ثم مضى الى عرفة فوقف بها ليلا ثم دفع الى مزدلفة فصلى بالناس الصبح ثم دفع الى منى فلما انقضى الحج عاد الى مكة فلما كان مستهل المحرم سنةن مائتين نزع الحسين المذكور كسوة الكعبة التي كانت عليها من قبل العباسيين ثم كساها كسوتين انفذهما معه ابو السرايا المذكور من قز رقيق احداهما صفراء والأخرى بيضاء ثم عمد الأفطس الى خزانة الكعبة واخذ ما فيها من الأموال فقسمها مع كسوة الكعبة على أصحابه وهرب الناس من مكة لأنه كان يأخذ اموال الناس ويزعم أنها ودائع بني العباس عندهم ولم يزل كذلك على ظلمه الى أن بلغه قتل مرسله أبي السرايا في سنة مائتين ، فلما علم بذلك وراى الناس قدتغيروا عليه لما فعله معهم من القبيح واستباحة الأموال جاء هو واصحابه الى محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الحسيني الملقب بالديباجة لجمال وجهه وسألوه في المبايعة بالخلافة فكره محمد ذلك فاستعان الأفطس عليه بولده علي ولم يزالوا به حتى بايعه بالخلافة وذلك في ربيع الأول سنة مائتين وجمعوا الناس على بيعة محمد بن جعفر طوعا وكرها ولقبوه بأمير المؤمنين وبقي شهورا وليس له من الأمر شيء وانما ذلك لابنه علي وللأفطس وهما على أقبح سيرة مع الناس فلم يكن الا مدة يسيرة إذ جاء عسكر المأمون فيهم

الجلودي وورقاء بن جميل وقد انضم الى محمد بن جعفر غوغاء اهل مكة وسواد البادية فالتقى الفريقان فانهزم محمد وأصحابه وطلب الديباجة من الجلودي الأمان فأجلوه ثلاثا ثم خرج من مكة ودخل الجلودي بعسكره الى مكة في جمادى الآخرة سنة مائتين وتوجه الديباجة الى جهة بلاد جهينة فجمع منها جيشا وقاتل والي المدينة هارون بن المسيب فانهزم الديباجة بعد ان فقئت عينه بنشابة وقتل من عسكره خلق كثير ثم عاد الى مكة وطلب الامان من الجلودي فأمنه فدخل مكة في أواخر الحجة سنة مائتين وصعد المنبر معتذرا بأنه انما وافق على المبايعة لأنه بلغه موت المأمون ثم قدم على المأمون واعتذر واستغفر فقبل عذره واكرمه وعفا عنه فلم يمكث إلا قليلا ثم مات فجأة بجرجان فصلى عليه المأمون ونزل في لحده وقال هذه رحم قطعت من سنين وكان موته في شعبان سنة ثلاث ومائتين وسبب موته على ما قيل انه جامع وافتصد ودخل الحمام في يوم واحد ثم وليها بعد هزيمة الديباجة في خلافة المأمون عيسى بن يزيد الجلودي ووليها له نيابة ابنه محمد ويزيد بن محمد بن حنظلة المخزومي ثم وليها بعد عزل الجلودي هارون بن المسيب ووليها للمأمون ايضا حمدون بن علي ابن عيسى بن ماهان وابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وحج بالناس سنة اثنتين ومائتين كذا نقله الفاسي عن العتيقي وذكر الأزرقي أن حنظلة كان واليا على مكة في سنة اثنتين ومائتين خليفة لحمدون ابن علي وجمع الفاسي بين ذلك بأنه يمكن أن يكون حمدون كان واليا في أول سنة اثنتين ومائتين واستناب حنظلة المذكور وابراهيم كان واليا في آخر مع المدينة وذلك في سنة اربع ومائتين واستمر الى سنة ست وقيل الى هذه السنة وعبيد الله بن الحسين بن عبيد بن العباس بن علي بن أبي طالب سنة تسع بتقديم المثناة الفوقية وصالح بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وذلك في سنة عشر ومائتين واستمر الى ان حج بالناس سنة اثني عشر ومائتين ثم وليها بعده على الأشهر سليمان بن عبدالله بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس مع المدينة وولي أيضاً للمأمون محمد ابن سليمان المتقدم ذكر والده وذلك في سنة ست عشرة ومائتين كما يقتضيه كلام الفاسي وعبيد الله بن عبد الله بن حسن بن جعفر بن حسن ابن حسن بن علي بن أبي طالب وممن ولي مكة للمأمون من غير مباشرة الحسن بن سهل اخو الفضل بن سهل لأن المأمون بعد قتل اخيه الأمين استعمل الحسن هذا على كل ما افتتحه طاهر بن الحسين من العراق والاهواز وفارس والحجاز واليمن وذلك في سنة ثمان وتسعين ومائة .

(واما ولاتها في خلافة المعتصم) فمحمد بن هارون الرشيد فصالح

ابن العباس المتقدم ذكره آنفا وكان في سنة تسع عشر بتقديم المثناة ومائتين ثم وليها محمد بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس الملقب بترنجه وذلك في سنة اثنتين وعشرين ومائتين ويقال ان ولايته دامت الى اثناء خلافة المتوكل وولي للمعتصم ايضا اشناس التركي وهو من كبار قواده وذلك انه لما اراد الحج في سنة ست وعشرين ومائتين فوض اليه المعتصم الولاية على كل بلد يدخلها فلما دخل مكة جعل محمد بن داود المتقدم نائبا عنه على الحج بالناس ودعا لاشناس على منابر الحرمين وغيرهما من البلاد التي دخلها .

(واما ولاتها في خلافة الواثق هرون ابن المعتصم) فعلي بن عيسى بن جعفر بن ابي جعفر المنصور وذلك سنة ثمان وثلاثين واستمر الى ان توفي سنة تسع وثلاثين ثم ولي بعده عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى المتقدم ذكر والده في خلافة المعتصم واستمر الى سنة احدى وقيل اثنتين واربعين ومائتين ثم ولي بعده عبد الصمد بن موسى بن محمد بن ابراهيم الامام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس سنة اثنتين واربعين ، ثم ولي بعده محمد بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الامام المعروف بالزينبي وممن عقد له على مكة ولم يباشر في خلافة المتوكل ابنه المنتصر محمد الذي ولي الخلافة بعد ابيه المتوكل ، وممن ولي على ما قيل في خلافة المتوكل ايتاج بهمزة وبعدها مثناة تحتية ثم مثناة فوقية فألف فجيم الخوزي بضم الخاء المعجمة وكسر الزاء المعجمة مولى المعتصم ، وكان من كبار قواد المتوكل ، والله اعلم بذلك .

(واما ولاتها في خلافة المنتصر محمد بن المتوكل) فمحمد بن سليمان الزينبي المتقدم آنفا .

(واما ولاتها في خلافة المستعين ابي العباس احمد بن المعتصم العباسي) فعبد الصمد بن موسى الامام المتقدم ذكره ، وذلك في سنة تسع واربعين بتقديم المثناة ثم بعده جعفر بن الفضل بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف بشاشات ، وكانت ولايته في سنة خمسين ومائتين ، واستمر الى سنة احدى وخمسين ، ثم وليها بعد شاشات بالتغلب اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب لانه لما تغلب على مكة هرب منه عاملها جعفر شاشات ، وقتل الجند الذي بمكة وجماعة من اهل مكة ونهب منزل شاشات وغيره ، واخذ من الناس نحو مائتي الف دينار ، وعمد الى الكعبة الشريفة فأخذ كسوتها ، واخذ ما في خزائنها من الأموال وماكان

حمل من المال لاصلاح العين ونهب مكة واحرق بعضها ثم خرج منها في شهر ربيع الأول بعد اقامته فيها خمسين يوما ، وقصد المدينة الشريفه فتواري عنه عاملها ، فرجع الى مكة في رجب ، فحصر أهلها حتى ماتوا جوعا وعطشاً وبلغ الخبز ثلاث أواق بدرهم ، ولقي اهل مكة منه بلاءشديدا ثم سار الى جدة فحبس عن الناس الطعام ، واخذ اموال التجار واصحاب المراكب . ثم وافى الموقف والناس بعرفة فأفسد فيها ، وقتل من الحجاج نحو الف ومائة ، ونهب الناس فهرب الحجاج ولم يقف بعرفة أحد لا ليلا ولا نهارا سوى اسماعيل وعسكره ، ثم بعد انفصاله من عرفة رجع الى جدة ثانيا . وافنى اموالها ، وفعل أمورا قبيحة . ليس هذا محل ذكرها هذا كله في خلافة المستعين . وممن عقد له على مكة ولم يباشر في خلافة المستعين اثنان : ابنه العباس ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين .

(واما ولاتها في خلافة المعتز واسمه محمد ، وقيل طلحة ، وقيل الزبير ابن المتوكل العباسي) فعيسى بن محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الحميد بن عبد الله بن عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ، وذكر الفاكهي ما يقتضي أنه ولي مكة مرتين ، ومن ولاتها في خلافة المعتز أو خلافة المهتدي ، او خلافة المعتمد أحمد بن المتوكل على الشك محمد بن احمد بن عيسى بن المنصور العباسي الملقب كعب البقر وولايته لاتخرج عن احد هؤلاء الثلاثة .

(واما ولاتها في خلافة المهتدي ، واسمه محمد بن الواثق العباسي) فعلي بن الحسن الهاشمي ذكره الفاكهي . ولم يزد على اسمه واسم أبيه وذكر أن ولايته في سنة ست وخمسين ومائتين . وأنه أول من فرق بين الرجال والنساء في جاوسهم في المسجد الحرام امر بحبال تربط بين الأساطين التي تقعد عندها النساء تفصل بينهن وبين الرجال .

(واما ولاتها في خلافة المعتمد احمد بن المتوكل العباسي) فجماعة اخوه ابو احمد الموفق ، واسمه طلحة ، وقيل محمد بن المتوكل ، وذلك في سنة سبع وخمسين بتقديم السين على الموحدة ومائتين على ما اقتضاه كلام ابن الأثير وابراهيم بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن سليمان بن علي ابن عبد الله بن عباس العباسي الملقب بزيه بباء موحدة ثم زاء معجمة ثم مثناة تحتية ثم هاء الوقف ، وكانت ولايته في حدود تسع وخمسين بتقديم المثناة الفوقية ومائتين الى احدى وستين ومائتين ، وابو المغيرة محمد بن عيسى بن محمد المخزومي ولد عيسى بن محمد المتقدم ذكره في خلافة المعتز آنفا ، وذلك في سنة ثلاث وستين ومائتين كما تقتضيه عبارة الفاسي

والفاكهي ، وذكر ابن الاثير مايدل انه وليها نائباً لصاحب الزنج في سنة خمس وستين • واستمر الى سنة ثمان وستين ومائتين ، وهارون بن محمد بن اسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس العباسي ، وكانت ولايته في سنة تسع وستين بتقديم المثناة الفوقية ومائتين . كما دل عليه كلام ابن جرير وابن الأثير ، واحمد ابن طولون صاحب مصر ؛ أقول كذا عده الفاسي مع انه لم يباشر ذلك ولولا ماقدمته اول هذا الباب باني لم اخل بأخذ ممن عده الفاسي لما ذكرته ، ولعل سبب ذكر الفاسي لأحمد المذكور — والله أعلم — ما نقله عن ابن جرير ان في عام تسع وستين ومائتين ارسل ابن طولون هذا قائدين من مصر في أربعمائة وتسعين فارسا بتقديم المثناة الفوقية على السين والفي راجل فوافوا مكة لليلتين بقيتا من ذي القعدة واعطوا الجرارين والحناطين بمكة دينارين لكل رجل ولغيرهم سبعة دنانير ، وكان هارون بن محمد المتقدم آنفاً يومئذ اميرا على مكة ، ومعه مائة وعشرون فارسا ومائتا عبد من السودان فوافاه جعفر بن الباعمرون لثلاث خلون من ذي الحجة في نحو مائتي فارس فقوي بهم هارون فالتقوا هم واصحاب ابن طولون فانهزم عسكر ابن طولون ، وقتل منهم بمكة نحو مائتي رجل ، واخذت دوابهم واموالهم ، وامن جعفر الباعمرون المصريين والحناطين والجرارين وسلم الناس ، وأموال التجار ، ولعن احمد بن طولون في المسجد الحرام وبهذا لايثبت لابن طولون ولاية على مكة ، وكان عدم ذكره اولى . والله اعلم انتهى. ومحمد بن أبي الساج واخوه يوسف بن ابي الساج . فأما محمد ففي كلام ابن جرير مايدل على انه لم يباشر ، وانما عقد له على الحرمين وأما ولاية اخيه يوسف فذكر ابن الأثير انها في سنة احدى وسبعين بتقديم السين على الموحدة ومائتين . والفضل بن العباس بن الحسين ابن اسماعيل بن محمد بن العباس . وكان متوليا على مكة في سنة ثلاث وستين ومائتين كذا نقله الفاكهي (اقول) وفيه نظر لانه قد تقدم ان ابا المغيرة بن عيسى كان واليا على مكة في هذه السنة . ويمكن الجمع بأن الفضل لعله كان واليا في اول السنة ثم ولي بعده أبو المغيرة في اثنائها او آخرها والله اعلم بذلك ولم ينبه الفاسي على ذلك . وأبو عيسى محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الوهاب بن عبد الله بن ابي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي ذكر ولايته عن المعتمد بن حزم ولم يذكر لها تاريخا لكنه نقل ان ابا عيسى عزل بأبي المغيرة المخزومي المتقدم فيحتمل أن تكون ولايته تقريباً من ثلاث وستين الى ثمان وستين ومائتين لان ابا المغيرة كان واليا في هذه الحدود على اختلاف الأقوال المتقدمة في

تاريخ ولايته انتهى . ونقل الفاكهي ما يقتضي ان ابا عيسى هذا ولي مكة نيابة عن الفضل بن العباس المذكور آنفا وجمع الفاسي بين ما ذكره ابن حزم والفاكهي فقال : ولا مانع لانه يجوز ان يكون ابو عيسى ولي مكة عن الفضل نيابة وعن المعتمد استقلالا انتهى .

(واما ولاتها في خلافة المعتضد أبي العباس احمد بن ابي احمد الموفق ابن المتوكل العباسي) ثم في خلافة أولاده المكتفي أبي محمد علي والمقتدر أبي الفضل جعفر والقاهر ابي منصور محمد ثم في خلافة الراضي ابي العباس احمد بن المقتدر ثم في خلافة المتقي أبي اسحاق ابراهيم ابن المقتدر ثم في خلافة المستكفي عبد الله بن المكتفي علي بن المعتضد ثم في خلافة المطيع ابي القاسم الفضل بن المقتدر العباسي فجماعة كثيرة لم يعرف منهم ويذكر سوى عج بالعين المهملة والجيم ابن حاج ولم يعلم مبداولايته متى كانت غير ان اسحق الخزاعي ذكر انه كان واليا على مكة في سنة احدى وثمانين ومائتين وذكر ابن الأثير مايدل على أنه كان واليا في عام خمس وتسعين بتقديم المثناة الفوقية ومائتين فيحتمل انه استمر من عام احدى وثمانين الى التاريخ الذي ذكره ابن الاثير او تولي غيره ثم اعيد هو والله اعلم ومؤنس المظفر وذلك في سنة ثلثمائة حسبما ذكره ابن الاثير وكان اميرا على الحرمين والثغور بالعقد لا بالمباشرة وابن ملاحظ لان انابه ابا محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني ترجم ابن ملاحظ بسلطان مكة من غير ذكر تاريخ قال العلامة الفاسي وما عرفت اسم ابن ملاحظ ولا متى كانت ولايته غير اني اظن انه كان عليها بعد سنة ثلثمائة او قبلها بقليل انتهى . وابن محلب وقيل ابن محارب والأول أصوب ولم يعلم اول ولايته غير ان ابن الاثير لما ذكر ما فعله ابو طاهر القرمطي من القبائح بمكة في سنة سبع عشرة بتقديم المهملة على الموحدة وثلاثمائة قال ما صورته فخرج اليه ابن محلب امير مكة في جماعة من الأشراف فقاتلوه فقتلهم ابو طاهر اجمعين انتهى فاستفيد من كلامه أن ابن محلب كان والي مكة في تلك السنة . ومحمد بن طغج بالطاء والعين المهملتين ثم بالجيم المعروف بالاخشيد وابناه ابو القاسم أو نجور بالنون والجيم ومعنى او نجور محمود وابو الحسن علي وكان مبدأ ذلك في سنة أحدى وثلاثين وثلثمائة كما دل عليه كلام المؤرخين بأن الخليفة المتقي العباسي ولى محمد المذكور مصر والشام والحرمين في السنة المذكورة وعقد لولديه ابي القاسم وعلي أبي الحسن من بعد ابيهما على البلد المذكورة على ان يكفلهما خادمه كافور الخصي المعروف بالاخشيدي وهذه الولاية بالعقد عن غير مباشرة ودليله ان الفاسي رحمه الله قال بعد استيفاء كلام المؤرخين في عقد المتقي لمحمد

وولديه ما صورته وما عرفت من كان يباشر لهم ولاية مكة ولا من يباشر ذلك لمؤنس المظفر انتهى والله أعلم وممن ولي مكة القاضي أبو جعفـر محمد بن الحسن بن عبد العزيز العباسي ذكر ذلك بعض مؤرخي مصر وذلك في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة . وقيل انه باشر ذلك لأبي الحسن علي بن الأخشيد، والله أعلم ثم ولي مكة في زمن الاخشيدية بالتغلب على جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني كذا ذكره ابن حزم ثم قال وولده الى اليوم ولاة مكة يعني في زمنه . قال العلامة الفاسي . ولعـل ولايـة جعفر المذكور بعد موت كافور الاخشيدي وقبل اخذ العبيديين مصر مـن الأخشيدية ويصدق على ذلك انها ايام الاخشيدية . ويبعد أن يلي جعفر مكة في أيام كافور لعظم امره . وقد رايت في بعض التواريخ مايدل على انه كان يدعى لكافور على المنابر بمكة . وكان موت كافور في سنة ست وخمسين وثلاثمائة في جمادى الأولى . وقيل في سنة سبع وخمسين فتكون ولاية جعفر في احدى هاتين السنتين . او في سنة ثمان وخمسين . ولا تخرج ولايته عن هذا انتهى . ثم ولي مكة بعد جعفر هذا ابنه عيسى بن جعفر ، ودامت ولايته الى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة . ولم يتعرض الفاسي لموت ابيه جعفر متى كان ليعلم من ذلك مبدأ ولاية عيسى ، وانما افاد ولاية عيسى بعد ابيه لاغير ثم ولي بعد عيسى أخوه ابو الفتوح الحسن بن جعفر الحسني ودامت ولايته الى أن مات في سنة ثلاثين وأربعمائة الا أن الحاكم العبيدي صاحب مصر كان قد ولى مكة لابن عم أبي الفتوح ابي الطيب في المدة التي خرج فيها ابو الفتوح عن طاعة الحاكم ثم اعاده الى مكة بعد ان راجع طاعته وقيل ان اخا لأبي الفتوح كان خرج عليه بمكة في زمن عصيانه ، والله اعلم بحقائق الامور . وكان عصيان ابي الفتوح في سنة احدى واربعمائة وقيل في سنة اثنتين وذكر ابن خلدون ان ابا الفتوح ولي المدينة الشريفة ايضا وازال عنها امرة بني المهنا الحسينيين وذلك في سنة سبعين بتقديم المثناة وثلاثمائة ثم ولي مكة بعد ابي الفتوح ابنه شكر بن ابي الفتوح واستمرت ولايته الى ان مات في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . ونقل ابن خلدون انه ملك المدينة وجمع بين الحرمين . ويقال انه ملك ثلاثا وعشرين سنة ، ومات ولم يعقب ولا ولد لـه قط ، وانما صار امر مكة بعده الى عبد كان لـه كذا ذكره ابن حزم ونقل صاحب المرآة مايقتضي ان شكرا كانت لـه ابنة . والله أعلم ، ثم ولي مكة بعد شكر بنو ابي الطيب الحسينيون ،وهم الذين يقال لهم السليمانيون من جماعة شكر ، ولم يذكر الفاسي عدتهم ، ثم ولي مكة علي بن محمد الصليحي صاحب اليمن ، وذلـك في سـنة خمس وخمسين واربعمائة في شهر ذي الحجة ، واظهر العدل بها واستعمل

الجميل مع اهلها وكثر الأمن وطابت به قلوب الناس . ورخصت الاسعار في ايامه ، وكثرت له الأدعية ، وكسا البيت ثوبا أبيض ورد الى البيت الحلي الذي اخذه بنو أبي الطيب الحسينيون لما ملكوا بعد شكر . واقام بمكة الى يوم عاشوراء . وقيل الى ربيع الأول سنة ست وخمسين ، وعاد الى اليمن ، ثم ولي بعده نائبا أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله ابن ابي هاشم محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب الحسني . وسببه ان الصليحي لما دخل مكة كان الأشراف بنو ابي الطيب قد أبعدوا عن مكة . وجمعوا عليه ، ثم راسلوه بأن يخرج من مكة ويؤمر بها من يختاره منهم . وكان قد وقع في عسكره الوباء فمات منهم سبعمائه رجل . ولم يبق معه الا نفر يسير فاختار محمدا هذا ابن جعفر بن ابي هاشم واقامه نائبا عنه وامره على مكة واستخدم له عساكر واعطاه مالا وسلاحا وخمسين فرسا ثم سار الى اليمن فجاء الاشراف بنو سليمان ومعهم حمزة بن أبي وهاس ، وحاربوا محمد بن جعفر فحاربهم ، ولم يكن له بهم طاقة فخرج هاربا من مكة فتبعوه فكر راجعا وضرب واحدا منهم ضربا قطع بها درعه وفرسه وجسده ووصل الى الأرض فرجعوا عنه وكان تحته فرس يقال لها دنانير لاتكل ولا تمل . ومحمد بن جعفر هذا هو احد امراء مكة المعروفين بالهواشم ، وقيل انه كان صهر شكر بن ابي الفتوح على ابنته والله أعلم بذلك ، ثم عاد محمد بن جعفر الى مكة بعد خروجه ، واستمر متوليا الى ان مات في سنة سبع وثمانين بتقديم السين واربعمائة ، وهو أول من اعاد الخطبة العباسية بمكة بعد أن قطعت نحو مائة سنة ، وقد بالغ ابن الأثير في ذمه . فقال : لما أن ذكر وفاته ماله ما يمدح به انتهى قال الفاسي رحمه الله . ولعل ذلك لنهبه الحاج ، وقتله منهم خلقا كثيرا في سنة ست وثمانين ؛ ولأخذه حلية الكعبة في سنة اثنتين وستين والله اعلم انتهى ، وذكر ابن خلدون أن امرته على مكة كانت ثلاثين سنة وانه ملك المدينة والله اعلم ، ثم ولي مكة بعده ابنه قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم مدة يسيرة ، ثم وليها اصبهيد بن سارتكين بسين مهملة ثم الف ثم راء مهملة ثم مثناة فوقية ثم كاف ثم مثناة تحتية ثم نون ، وكان استيلاؤه عنوة في أوائل سنة سبع وثمانين بتقديم المهملة ، فهرب منها قاسم بن محمد واقام اصبهيد بمكة الى شوال فجمع قاسم عسكرا وكبس اصبهيد بعسفان فانهزم اصبهيد الى الشام ، ودخل قاسم مكة ، ودامت ولايته عليها الى أن مات في سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، وذكر ابن خلدون أن امرته نحو ثلاثين سنة على الاضطراب ، ثم ولي مكة بعده ابنه فليتة وقيل أبو فليتة

واستمرت ولايته حتى مات في سنة سبع وعشرين بتقديم المهملة وخمسمائة ثم ولي مكة بعده ابنه هاشم بن فليته . واستمر متوليا الى ان مات في سنة تسع واربعين بتقديم المثناة الفوقية وخمسمائة وقيل في سنة خمسين وقيل احدى وخمسين . ولم يحتف عليه اثنان مدة ولايته . ثم ولي بعده ابنه قاسم بن هاشم بن فليته . واستمر الى سنة ست وخمسين ثم فارق مكة متخوفا من امير الحاج العراقي . وذلك وقت الموسم لاساءته السيرة في مكة ثم ولي مكة بعده عمه عيسى بن فليتة . ثم عاد قاسم الى مكة واستولى عليها في شهر رمضان سنة سبع وخمسين بتقديم السين على الموحدة واقام بها أياما يسيرة . ثم قتل . واستقر الأمر بعده لعمه عيسى ودامت ولايته الى أن مات في سنة سبعين بتقديم السين وخمسمائة ، ثم ولي بعد عيسى ابنه داود بن عيسى بن فليتة بعهد من أبيه واستمر الى ليلة النصف من رجب احدى وسبعين . ثم وليها اخوه مكثر بن عيسى ،واستمر الى موسم هذه السنة . ثم عزل وجري بينه وبين امير الركب العراقي حرب شديد في ذلك الموسم كان الظفر فيه لطاستكين . ثم ولي مكه في الموسم المذكور الأمير قاسم بن مهنأ الحسني بعد عزل مكثر . واقام متوليا نحو ثلاثة ايام ثم انه رأي من نفسه العجز عن القيام بامرة مكة فاعاد امير الحاج داود بن عيسى المذكور آنفا الى امرة مكة وشرط عليه ان يسقط جميع المكوس ولم تعلم ولايته هذه الى متى استمرت غير انه بعدها كان يتداول هو واخوه مكثر امرة مكة ، ثم انفرد بها مكثر عشر سنين متوالية آخرها سنة سبع بتقديم السين وتسعين بتقديم المثناة الفوقيه وخمسمائة وهو آخر امراء مكة المعروفين بالهواشم غير أن في ولايته او في ولاية اخيه داود على الشك كان ممن ولي مكة سيف الاسلام طفتكين بطاء مهملة ثم غين معجمة ثم مثناة فوقية ابن أيوب أخو السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب . وذلك في سنة احدى وثمانين وخمسمائة لأنه قدم مكة في هذه السنة ، ومنع من الأذان بحي على خير العمل ، وقتل جماعة من العبيد المفسدين . وهرب منه أمير مكة الى قلعته بأبي قبيس وشرط على العبيد ان لايؤذوا الحاج . وضرب طغتكين الدراهم والدنانير بمكة باسم اخيه السلطان صلاح الدين ، ثم ولي مكة بعد مكثر ابو عزيز قتادة بن ادريس ابن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني . وذلك في سنة سبع بتقديم السين وتسعين بتقديم المثناة وخمسمائة وقيل في سنة ثمان وتسعين وقيل في سنة تسع وتسعين وخمسمائة ، ودامت ولايته الى ان مات في سنة سبع عشرة

بتقديم السين . وقيل في سنة ثمان عشرة وستمائة فتكون ولايته عشرين سنة أو ما يقاربها للاختلاف في مبدأ ولايته . وكانت ولايته ممتدة الى ينبع والى حلي ، وكان يحارب صاحب المدينة الشريفة . ويغلب كل منهما الآخر حينا ، وكان ممن ولي مكة بالعقد لا بالمباشره في أيام قتادة اقباش بن عبد الله الناصري فتى الخليفة الناصر لدين الله العباسي لأن مولاه عقد له على الحرمين وامرة الحج لعظم مكانته عنده . ثم ولي مكة بعده ابنه حسن ابن قتادة ، وقتل بعض عسكره اقباش المتقدم آنفا لأنهم اتهموه انه واطأ راجح بن قتادة على أن يوليه عوضاً عن أخيه حسن ، واستمر حسن المذكور الى سنة تسع عشرة بتقديم المثناة . وقيل الى سنة عشرين وستمائه ثم وليها بعده الملك المسعود يوسف الملقب اقسيس بن الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب اليمن لأنه صار الى مكة وتحارب هو وحسن بن قتادة بالمسعي فانهزم حسن وهرب من مكة ونهبها عسكر الملك المسعود الى وقت العصر ، ودامت ولايته عليها الى أن مات في سنه ست وعشرين وستمائة .

وكان ممن ولي مكة نيابة للملك المسعود رجلان : الأول نور الدين عمر ابن علي بن رسول الذي ولي السلطنة ببلاد اليمن بعد ذلك . فقصده حسن ابن قتادة بجيش جاء به من ينبع فتحاربا فانكسر حسن والثاني الأمير حسام الدين ياقوت بن عبد الله المسعودي . وذلك في سنه خمس وعشرين وستمائة ، ثم ولي مكة بعد الملك المسعودي والده الملك الكامل . واستمر الى شهر ربيع الآخر سنة تسع وعشرين بتقديم المثناة الفوقية وستمائه ثم وليها نائبه على اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول بعد ان بويع بالسلطنة في بلاد اليمن . وذلك انه بعث جيشا الى مكة ومعهم راجح بن قتادة الحسني أخو حسن المتقدم فأخرجوا متوليها الأمير طغتكين نائب الملك الكامل ، فهرب الى ينبع فبلغ ذلك الملك الكامل فجهز الى طغتكين جيشا كثيفاً مقدمهم الأمير فخر الدين بن الشيخ على ماقيل فوصل الى طغتكين ودخل الى مكة مع الجيش فأخرجوا منها راجحا ومن معه من اهل اليمن واستولى طغتكين على مكة وقتل خلقا كثيرا من اهل مكة لخذلانهم له في النوبة الاولى وكان استيلاؤه في رمضان سنة تسع وعشرين بتقديم المثناة وستمائة ، ثم وليها مع راجح بن قتادة عسكر صاحب اليمن بغير قتال وذلك في صفر سنة ثلاثين وستمائة (أقول) لم يبين الفاسي من هو صاحب اليمن والذي يظهر انه الرسولي لأن الكلام الآتي يدل على ذلك انتهى ، ثم وليها في آخر سنة ثلاثين عسكر الملك الكامل وكان المقدم عليه اميرا يعرف بالزاهد واقام اميرا بمكة يعرف بابن مجلي بميم ثم جيم

ثم وليها في سنة احدى وثلاثين عسكر الملك المنصور صاحب اليمن مع راجح بن قتادة (أقول) لم يبين الفاسي من هو الملك المنصور وهو عمر الرسولي لانه بعد أن بويع بالسلطنة لقب بالمنصور انتهى ، ثم وليها نيابة عن الملك الكامل اميره المسمي بجفريل بجيم ثم فاء ، ثم راء مهملة ثم مثناء تحتيه ثم لام وذلك أن الملك الكامل كان قد جهز عسكرا كبيرا فيه الف فارس وقيل تسعمائة وقيل خمسمائة وخمسة أمراء مقدمهم جفريل المذكور واستمرت ولاية جفريل على مكة الى سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن في هذه السنة وسار اليها بنفسه ودخلها في رجب بعد أن هرب جفريل ومن معه وكان مع المنصور الف فارس ودامت ولايته الى سنة سبع وثلاثين بتقديم السين ورتب بمكة مائة وخمسين فارسا وجعل عليهم أميرين ابن الوليد وابن التعزي ، ثم وليها الملك الصالح أيوب بن الملك الكامل صاحب مصر ، لانه جهز اليها جيشا ألف فارس معهم الشريف شيحة بشين معجمة مكسورة ثم مثناة تحتية ثم حاء مهملة ثم هاء الونف صاحب المدينة الشريفة ، فاستولوا على مكة بغير قتال . وذلك في سنة سبع وثلاثين ثم وليها عسكر الملك المنصور صاحب اليمن ولما قدم العسكر المذكور هرب الشريف شيحة ومن معه ، ثم وليها ثانيا عسكر الملك الصالح صاحب مصر في سنة ثمان وثلاثين ، وكان ممن وليها للملك الصالح الأمير شهاب الدين أحمد ابن التركماني ، ثم وليها الملك المنصور صاحب اليمن ، وذلك في سنة تسع وثلاثين ، وسار بنفسه ودخل مكة في رمضان بعد ان فارقها عسكر الملك الصالح خوفا منه ، ودامت ولايته الى ان مات وامر على مكة في هذه السنة مملوكه الأمير فخر الدين السلاح ، وابن فيزور ، وجعل الشريف ابا سعد بن علي بن قتادة الحسني بالوادي مساعدا لعسكره بعد ان استدعاه من ينبع واحسن اليه واستمر مملوكه السلاح على نيابة مكة الى سنة ست واربعين وستمائة . ثم ولي فيها ابن المسيب وعزل السلاح . ثم ولي مكة الشريف ابو سعد بن علي بن قتادة بعد أن قبض علي ابن المسيب في ذي القعدة ، وقيل في شوال سنة سبع وأربعين بتقديم السين واستمر على مكة الى أن قتل في اوائل شعبان سنة احدى وخمسين وستمائة ، وقيل في رمضان ، ثم وليها بعد قتله جماز بن حسن بن قتادة وهو احد قتلةابي سعد ، ودامت ولايته الى آخر يوم من ذي الحجة سنة احدىوخمسين ، ثم وليها بعد جماز عمه راجح بن قتادة الذي كان يليها مع عسكر صاحب اليمن واستمر متوليا الى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمائة ثم وليها بعده ابنه غانم بن راجح واستمر الى شوال من السنة المذكورة

ثم وليها عمه ادريس بن قتاده وابو نمي بن ابي سعد بن علي بن قتادة واستمرت ولايتها الى الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين ثم وليها المبارز علي بن الحسن بن برطاس بموحدة ثم راء وطاء مهملتين فالف فسين مهملة من قبل الملك المظفر بن المنصور صاحب اليمن لانه جهز ابن برطاس المذكور الى مكة في عسكر ومائتي فارس فتحارب هو وادريس وابو نمي ومن معهما فكان الظفر لابن برطاس فاستمر على مكة الى يوم السبت لأربع بقين من المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة فوقع الحرب بين ابن برطاس والأمير ابن ادريس وابن نمي في الشهر المذكور وسفكت الدماء بالحجر من المسجد الحرام واسر ابن برطاس ففدي نفسه ثم خرج بمن معه من مكة واستمر الشريفان على مكة ثم انفرد ابو نمي بالولاية في سنة اربع وخمسين لذهاب عمه ادريس الى اخيه راجح بن قتادة ثم عاد ادريس لمشاركة ابي نمي ثم ولي مكة اولاد حسن بن قتادة واقاموا ستة ايام وقبضوا على ادريس ثم جاء ابو نمي واخرجه منها ولم يقتل منهم احدا واستمر ابو نمي وادريس شريكين في الامرة الى سبع وستين بتقديم السين وستمائة ثم انفرد ابو نمي بالامرة مدة يسيرة في هذه السنة ثم عاد شريكا لادريس في سنتهما هذه واستمرت ولايتهما الى ربيع الأول سنة تسع وستين وستمائة بتقديم المثناة الفوقية ثم انفرد فيها ادريس نحو اربعين يوما ثم قتل في السنة المذكورة بخليص فوليها ابو نمي واستمر الى سنة سبعين وستمائة بتقديم السين ثم وليها في هذه السنة في صفر الشريف جماز بن شيحة صاحب المدينة وغانم بن ادريس بن حسن بن قتادة صاحب ينبع شريكين ثم عاد ابو نمي الى ولايتها بعد اربعين يوما من سنة سبعين (اقول) مقتضى هذا الكلام ان ولاية جماز وغانم المذكورين انما هي ايام يسيرة اما عشرة او اقل لأن ابا نمي كان مالكا لمكة جميع شهر محرم سنة سبعين بلا ريب كما تعطيه العبارة وتكون ولاية جماز وغانم على تقدير انها عشرة ايام اول يوم من صفر سنة سبعين والا كانت اقل ويكون عود ابي نمي في الحادي عشر من صفر من السنة لانه بعد اربعين يوما والله الموفق واستمر ابو نمي على مكة في عوده هذا بعد ان اخرج جمازا وغانما الى سنة سبع وثمانين وستمائة بتقديم السين ثم عاد جماز بن شيحة المذكور الى ولاية مكة في أواخر هذه السنة واقام مدة يسيرة ثم عاد ابو نمي واستمر الى قبل وفاته بيومين فعهد الى ابنيه حميضة ورميثة بالامرة بعده وكانت وفاته في يوم الأحد رابع صفر سنة احدى وسبعمائة فكانت امرته على مكة شريكا ومستقلا نحو خمسين سنة واستقلاله بالامرة يزيد على ثلاثين سنة شيئا يسيرا وكان ممن ولي مكة في ولاية ابي نمي وادريس

من قبل السلطان الظاهر بيبرس صاحب مصر امير يقال له شمس الدين مروان وذلك بسؤال ابي نمي وعمه في ذلك ليرجع أمرهما اليـه وكان ذلك في سنة سبع وستين وستمائة وفيها حج السلطان بيبرس ثم عزل مروان عن ذلك في سنة ثمان وستين وستمائة ثم وليها بعد موت أبي نمي ابناه حميضة ورميثة المذكوران وذلك في سنة احدى وسبعمائة في صفر منها واستمرا الى موسمها فقبض عليهما ثم وليها عوضهما اخواهما ابو الغيث وعطيفة وقيل بل محمد بن ادريس بن قتادة عوض عطيفة وكان ذلك بمباشرة أمير الحاج بيبرس الجاشنكير بجيم ثم الف فشين معجمة فنون ثم كاف ومثناة تحتية وراء مهملة الذي ولي السلطنة بعد ذلك بمصر في سنة ثمان وسبعمائة وكان فعله هذا تأديباً لحميضة ورميثة لاساءتهما الى اخويهما ابي الغيث وعطيفة ثم عاد حميضة ورميثة الى امرة مكـة في سنة ثلاث وسبعمائة وقيل في التي بعدها بولاية من الملك الناصر صاحب مصر واستمرا متوليين الى موسم سنة ثلاث عشرة وسبعمائة ثم وليها ابو الغيث بن ابي نمي من قبل الملك الناصر ايضاً فحاربه حميضة فظفر بأبي الغيث فقتله واستمر على مكة الى شعبان سنة خمس عشرة وسبعمائة ثم وليها رميثة في السنة المذكورة من الناصر واستمر الى انقضاء الحج من سنة سبع عشرة أواول ثمان عشرة ثم وليها حميضة واستمر الى اوائل سـنة تسع عشرة ثم وليها عطيفة بن ابي نمي من قبل الملك الناصر ودامت ولايته على مكة الى أوائل سنة احدى وثلاثين وسبعمائة غير أن اخاه رميثة في بعض السنين المذكورة شاركه في الامرة ثم انفرد رميثة بالامرة وذلك في ربيع الآخر او جمادي من سنة احدى وثلاثين واستمر الى سنة اربع وثلاثين ثم شاركه فيها اخوه عطيفة بلا قتال ثم انفرد رميثة ايضا بالامرة في سنة اربع وثلاثين بعد رحيل الحاج واستمر الى موسم سنة خمس وثلاثين ثم عاد عطيفة لمشاركته في هذا التاريخ واستمر الى اثناء سنة ست وثلاثين فحصلت بينهما منافرة فانفرد عطيفة بمكة واقام رميثة بالجديد ثم اصطلحا في سنة سبع وثلاثين بتقديم السين ثم انفرد رميثة في هـذه السنة بالامرة واستمر الى سنة ست واربعين وسبعمائة ثم وليها عجلان بن رميثة بمفرده من قبل الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم من اخيه الكامل شعبان وذلك بعد وصول عجلان الى القاهرة فعاد متوليا في شهر جمادي الآخرة سنة ست واربعين في حياة أبيه ثم مات ابوه في ذي القعدة من هذه السنة واستمر الى سنة ثمان واربعين ثم وليها معه اخوه تقية ودامت ولايتهما الى سنة خمسين وسبعمائة ثم استقل تقية بالامرة في سنة خمسين لغيبة عجلان بمصر ثم وليها عجلان في خامس شوال سنة خمسين واستمر

الى موسم سنة اثنتين وخمسين ثم وليها تقية بمفرده في هذه السنة فلم يمكنه عجلان ثم اتفقا على المشاركة ثم استقل تقية بالامرة في اثناء سنة ثلاث وخمسين بعد أن قبض على اخيه عجلان واستمر الى أن قبض عليه في موسم سنة اربع وخمسين ثم وليها اخوه عجلان بمفرده واستمر الى تاسع عشر المحرم من سنة سبع وخمسين بتقديم السين ثم انفرد تقية بالامرة في ثالث عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثم وليها عجلان بمفرده في موسم هذه السنة ثم اشتركا في الامرة في موسم سنة ثمان وخمسين واستمرا الى أن عزلا في اثناء سنة ستين وسبعمائة ثم وليها اخوهما سند وابن عمهما محمد بن عطيفة بن ابي نمي وكان محمد بمصر فوصل بعسكره الى مكة في جمادى الآخرة سنة ستين واستمر الى سنة احدى وستين وسبعمائة فزالت ولاية محمد بن عطيفة ثم اشترك تقية مع اخيه سند في الامرة الى أن كان شهر شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة ثم ولي مكة في هذه السنة السيد عجلان بن رميثة وكان معتقلا بمصر فاطلق واخوه تقية بسؤال السيد عجلان له في ذلك ثم خرج عجلان من مصروكان تقية مريضا فلما قارب مكة لم يدخلها حتى مات تقية في شهر شوال سنة اثنتين وستين فاشترك معه ابنه احمد بن عجلان حال دخوله وجعل له ربع المتحصل يصرفه في خاصة نفسه وعلى عجلان كفاية العسكر ثم مات سند عقيب ذلك ودامت ولاية عجلان وابنه احمد الى سنة اربع وسبعين ثم انفرد احمد بن عجلان بالامرة بسؤال ابيه عجلان له بشروط شرطها عليه ابوه منها أن لا يقع اسمه في الخطبة والدعاء على زمزم الى غير ذلك فوفي له احمد بذلك واستمر احمد منفردا بالامرة الى سنة ثمانين وسبعمائة ثم وليها معه ابنه محمد بن احمد بسؤال ابيه ولم يظهر لولايته اثر لصغره واستبداد والده بالأمر واستمرا الى أن مات احمد بن عجلان في حادي عشري شعبان سنة ثمان وثمانين ثم استقل محمد بالامرة الى أن فاز بالشهادة في مستهل شهر ذي الحجة من هذه السنة وسببه انه حضر لخدمة المحمل في يوم العرضة على العادة وكان عمه كبيش اشار اليه بعدم الحضور لأنه كان مدبر اموره فلم يسمع منه فقتل وكان امر الله قدرامقدورا ثم وليها بعد قتل محمد عنان بن مغامس بن رميثة ابن ابي نمي واشرك معه في الامرة بني عمه احمد بن تقية وعقيل بن مبارك بن رميثة واخاه علي بن مبارك وكان يدعي لهؤلاء الثلاثة معه على زمزم واستمر عنان وشركاؤه الى شهر شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة فبلغ السلطان ما حصل من الفتن وعدم الامن بسبب تخبيط كبيش على عنان فعزل عنانا في هذا التاريخ ثم وليها بعد عزله علي بن عجلان فلم يمكنه عنان من مكة فاجتمع

آل عجلان ومعهم كبيش وافتتلوا فقتل كبيش وغيره وانهزم علي بن عجلان وتوجه الى مصر ودخل عنان مكة واستولى عليها الى موسم سنة تسع وثمانين ثم عاد علي بن عجلان شريكا لعنان بشرط حضور عنان العرضة لخدمة المحمل فلم يحضره خشية من آل عجلان ثم سافر الى مصر في اثناء سنة تسعين فانفرد علي بن عجلان بالامرة الى اثناء سنة اثنتين وتسعين ثم شاركه عنان بولاية من الملك الظاهر برقوق وكان الشرفاء مع علي والقواد مع عنان فلم يتم أمرهما كما ينبغي واستمرا كذلك الى الرابع والعشرين من صفر سنة اربع وتسعين وسبعمائة ثم انفرد بها علي بن عجلان ثم استدعاه السلطان هو وعنانا للحضور الى مصر فتوجه عنان اولا ثم لحقه علي وترك على مكة عوضه اخاه محمد بن عجلان ثم عاد الى مكة في موسم سنة اربع وتسعين منفردا بولاية مكة واستمر الى ان استشهد في تاسع شوال سنة سبع بتقديم السين وتسعين وكان في غالب ولايته مقلوبا مع الاشراف وافضي الحال الى ان قل الامان بمكة ونواحيها وهربت التجار الى ينبع ولحق اهل مكة بسبب ذلك شدة فلما قتل قام بأمر مكة أخوه محمدواستمر الى الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ثم ولي مكة السيد الشريف حسن بن عجلان وكان قدم مصرسنة سبعوتسعين فاعتقله السلطان فلما قتل أخوه أطلقه وانعم عليه بولاية مكة فقدم مكة في السنة المذكورة وضبط أحوال البلاد وحسم مواد الفساد وأخذ بثار أخيه علي من الأشراف في الحرب الذي كان بالزيارة بوادي مر في يوم الثلاثاء خامس عشري شوال من السنة المتقدمة وكان عدة من قتل من الأشراف وجماعتهم نحو أربعين رجلا ولم يقتل من جماعة السيد حسن الا واحد او اثنان واستمر السيد حسن منفردا بالولاية الى سنة تسع بتقديم المثناة وثمانمائة ثم أشرك معه في الامرة ابنه السيد بركات واستمر الى اثناء سنة احدى عشرة وثمانمائة تم سأل لابنه السيد أحمد بن حسن في أن يكون شريكا لأخيه السيد بركات وتكون الامرة بينهما فأجيب الى ذلك وولي السيد حسن نيابة السلطنة بجميع بلاد الحجاز وصار يدعي له فيالخطبة بمكة وعلى زمزم ودامت ولايتهم الى أثناء صفر سنة ثماني عشرة وثمانمائة ثم ولي ذلك السيد رميثة بن محمد بن عجلان بن رميثة ولم يصل الى مكة الا في مستهل ذي الحجة من السنة المذكورة واستمر متوليا الى ثامن رمضان سنة تسع عشرة ثم عاد السيد حسن بن عجلان لامرة مكة بمفرده دون ولديه فخرج رميثة من مكة بعد وقوع المحاربة بالمعلاة بينه وبين عسكر عمه السيد حسن على كره من السيد حسن وكان الظفر لعسكر السيد حسن واستمر السيد حسن متوليا الى أول سنة أربع وعشرين

وثمانمائة ثم شاركه ابنه السيد بركات بولاية من الملك المظفر احمد بن الملك المؤيد صاحب مصر ودامت ولايتهما الى أوائل سبع بتقديم السين وعشرين وثمانمائة ثم ولي مكة السيد علي بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني بمفرده بولاية من قبل الملك الأشرف برسباي وكان بمصر فقدم مكة صحبة العسكر الأشرفي واستمر متوليا الى أوائل الحجة سنة ثمان وعشرين ثم أعاد الأشرف برسباي السيد حسن الى امرة مكة ورضي عنه وتوجه السيد حسن بعد انقضاء الحج الى مصر فنال من السلطان اكراما كثيرا واقره على امرة مكة واستمر بمصر الى أن مرض بها وتوفي في سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة بعد أن كان تجهز للسفر الى مكة رحمه الله واسكنه فسيح جنانه ثم وليها السيد بركات بن حسن بعد وفاة ابيه وكان السلطان قد استدعاه الى مصر فقدم عليه في ثالث رمضان ففوض اليه امرة مكة عوضاً عن ابيه في السادس والعشرين من رمضان المذكور واستمر اخوه السيد ابراهيم نائباً عنه ولبس خلعة النيابة بمصر ثم توجه السيد بركات الى مكة فوصلها في أوائل العشر الأوسط من ذي القعدة هذا آخر معنى كلام الفاسي في شأن امراء مكة ثم قال رحمه الله ما صورته هذا ما علمناه من خبر ولاة مكة في الاسلام وقد اوعبنا في تحصيل ذلك الاجتهاد وما ذكرناه من ذلك غير واف بكل المراد لأنه خفي علينا جماعة من ولاة مكة وخصوصاً ولاتها من زمن المعتضد الى ابتداء ولاية الأشراف في آخر خلافة المطيع العباسي وخفي علينا كثير من تاريخ ابتداء ولاية كثير منهم وتاريخ انتهائها ومع ذلك فهذا الذي ذكرناه من ولاة مكة ليس له في كتاب نظير والذي لم نذكره من الولاة هو اليسير وسبب الاخلال في ذلك والتقصير انا لم نر مؤلفا في هذا المعني فنستضيء به لعدم العناية بتدوين ذلك انتهى كلامه واستمر السيد بركات بعد موت الفاسي على ولاية مكة الى اثناء سنة خمس وأربعين وثمانمائة ، فعزل عن ذلك ، ثم وليها اخوه السيد علي بن حسن ، وكان بالقاهرة ، فوصل مكة يوم السبت مستهل شعبان ، واستمر متوليا الى رابع شوال سنة ست واربعين ، فقبض عليه وعلى اخيه ابراهيم ثم وليها اخوه أبو القاسم بن حسن ، فقدم من مصر متوليا ، ودخل مكة في يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ست واربعين وثمانيمائة واستمر على ولايته الى اوائل سنة خمسين ، فعزل ثم أعيد السيد بركات بن حسن الى ولاية مكة ، ودامت ولايته الى ان مرض وتوعك بدنه وذلك سنة تسع وخمسين بتقديم المثناة الفوقية وثمانيمائة ، فسأل نائب جدة الأمير جاني بك الطاهري بأن يرسل الى السلطان يسأله في ولاية امرة مكة لولده السيد محمد عوضاً عن ابيه ، فأجاب السلطان الى

ذلك ، فقبل وصول الخبر توفي السيد بركات في عصر يوم الاثنين تاسع عشر شعبان سنة تسع وخمسين بأرض خالد بوادي مر ، وحمل على أعناق الرجال الى مكة ، ودفن بها في صبح يوم الثلاثاء لعشرين من شعبان ، فلما كان عصر اليوم المذكور ، وصل قاصد من الديار المصرية بمرسوم مؤرخ بسادس عشر رجب مضمونه ولاية السيد محمد امرة مكة فدعي له على زمزم بعد المغرب من ليلة الأربعاء حادي عشر شعبان ، ثم وصل السيد محمد الى مكة ليلة الجمعة سابع رمضان ، وقرىء مرسومه في صبحها ، ثم كان رابع شوال من السنة المذكورة وصل الى السيد محمد كتاب من السلطان بالعزاء في والده وتوقيع باستمراره في الامرة مؤرخ بشهر رمضان واستمر السيد محمد رحمه الله على ولاية مكة ، ودانت له البلاد ، واطاعه العباد ، واظهر العدل والاحسان والشفقة والرافة على الرعية والالتفات في أمور المسلمين وعدم الغفلة عن ذلك ، فبسبب ذلك طالت مدته وحمدت سيرته وطابت سريرته ، وكانت مدة ولايته ثلاثا واربعين سنة ونصف سنة الا خمسة أيام او نحوها مع مشاركة ولده السيد بركات على عوائدهم ثم انتقل الى رحمة الله تعالى في الحادي والعشرين من شهر المحرم الحرام سنة ثلاث وتسعمائة بوادي الابهار ، وحمل الى مكة ودفن بها ، ثم وليها بعده ولده السيد بركات من قبل الملك الناصر محمد بن قايتباي في رابع ربيع الآخر من سنة ثلاث ، واستمر على ولايتها الى ان كان موسم سنة ست وتسعمائة ، فوليها اخوه السيد هزاع بن محمد بعد محاربة وقعت بينه وبين اخيه السيد بركات في الموسم المذكور بمحل يقال لـه وادي الجموم بمر الظهران ، فانهزم السيد بركات ، ودخل السيد هزاع مكة وحج بالناس ، ثم خرج منها بعد انقضاء الحج الى ينبع خوفا من اخيه بركات لقلة عسكره ، فعاد السيد بركات الى مكة ، واستمر بها الى جمادى الثانية عام سبع بتقديم السين وتسعمائة ، فوصل السيد هزاع من ينبع بعسكر عظيم وتحارب هو واخوه بركات محاربة ثانية بمحل يقال له طرف البرقا ، فانهزم السيد بركات ثم وليها السيد هزاع ثانيا ، واستمر الى خامس عشر رجب ثم توفي الى رحمة الله تعالـى ، ثم عاد السيد بركات الى مكة ، واستمرت الفتن والشرور بينه وبين اخيه السيد احمد جازان وتحاربا مرارا ، وكان ابتداء ذلك من اواخر ذي الحجة عام سبع وتسعمائة الى ان كان يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شوال عام ثمان وتسعمائة ، فوصل السيد جازان بعسكر كبير من ينبع من بني ابراهيم وغيرهم ، ووقع الحرب بينه وبين اخيه السيد بركات ، فانهزم

السيد بركات ، ثم وليها السيد جازان ودخل مكة في يوم السبت المذكور ، ونهب عسكره مكة وفعلوا افعالا قبيحة ، وانتهكوا حرمة البيت وجرى منهم على مكة واهلها أمور شنيعة ليس هذا محل ذكرها ولا نحن بصددها ، واستمر السيد جازان بمكة الى آخر ذي القعدة من السنة المذكورة ، فبلغه وصول التجريدة من قبل السلطان الغوري ، وباشتها الأمير الكبير المعروف بفيت الزجبي بالجيم ثم الموحدة بسبب مافعله السيد جازان من نهب مكة ، ونهب الحاج الشامي والمصري ، فخرج من مكة هاربا ، فعاد السيد بركات الى مكة وواجه امير التجريدة ، فقبض عليه وتوجه به الى القاهرة في اوائل سنة تسع وتسعمائة ثم عاد السيد جازان الى مكة ، واستمر بها الى يوم الجمعة عاشر رجب سنة تسع فقتله الأتراك الشراكسة بالمطاف ، ثم وليها بعده السيد حميضة بن محمد ، واستمر الى اواخر المحرم اواوائل صفر من سنة عشر وتسعمائة فعزل ثم وليها أخوه السيد قايتبـاي بن محمد باشارة من اخيه السـيد بركات واستمر متوليا موافقا لأخيه السيد بركات مستضيئاً برايه الى ان توفي الى رحمة الله تعالى في يوم الأحد الحادي والعشرين من صفر عام ثمان عشرة وتسعمائة بأرض حسان بوادي مر ، وحمل الى مكة ودفن بها . ثم استولى السيد بركات بعد موته على مكة الى شهر شعبان من هذه السنة ثم أرسل ولده مولانا السيد ابا نمي بن بركات الى الديار المصرية فوصلها وقابل السلطان قانصوه الفوري ، فأكرمه وعظمه وانعم عليه بامرة مكة ثم عاد اليها شريكا لابيه ، وكان وصوله في اواخر ذي القعدة الحرام بين يدي الحاج من السنة المذكورة ، واستمر كذلك الى ان كان عام ثلاث وعشرين فاستولى مولانا الخنكار الأعظم سليم خان بن عثمان على الديار الشامية والمصرية والحرمين الشريفين ، وجهز قاصدا الى مكة للسيد بركات والسيد ابي نمي باستقرارهما على امرة مكة ، فتجهز حينئذ مولانا السيد أبو نمي وسافر الى القاهرة ، وقابل السلطان سليما فأكرمه واحترمه واقره هو ووالده على امرة مكة ، ثم عاد الى مكة ، واستمر شريكا لابيه الى ان اذن الله بوفاة مولانا السـيد بركات في اثناء ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة الحرام عام احد وثلاثين وتسعمائة رحمه الله واسكنه جنته ، ثم وليها بعده ابنـه السـيد ابـو نمي ادام الله ايامه بمفرده ووصلت الأحكام الخنكارية السليمانية بولايته لامرة مكة في اواخر سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ، فاطمأنت به الخواطر ، وقرت النواظر ، واستمر ادامه الله ومتع المسلمين بحياته منفردا بالولاية الـى عام ست وأربعين وتسعمائة ، ثم وليها ابنه مولانا السـيد احمد شريكا لوالده في هذا

العام بعد وصوله الى الديار الرومية ومقابلته لمولانا الخنكار الاعظم والخاقان الأكرم الملك المظفر سليمان خان خلد الله ملكه وادام ايامه فقوبل بالاكرام والرعاية والاحترام وعاد الى مكة في اول ربيع الأول عام سبع واربعين وتسعمائة . واستمر شريكا لوالده مولانا السيد ابي نمي الى عامنا هذا وهو عام خمسين وتسعمائة متع الله بحياتهما وادام ايامهما وخلدهما خلودالدهر وأمدهما بالتأييد والنصر آمين . هذا ما وقفت عليه في ذكر أمراء مكة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم الى يومنا هذا والله تعالى أعلم .

الخاتمة

نسأل الله حسن الخاتمة

(في ذكر الأماكن المعظمة والمشاهد المكرمة)

(التي تقصد زيارتها المشهورة بالفضل بمكة شرفها الله تعالى)

(وحرمها وضواحيها من المواليد والدور والمساجد)

(والجبال والمقابر وما أشبه ذلك)

أما المواليد فمنها وهو أجلها مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبدأ به وهو بمكة في المكان المعروف بسوق الليل مشهور بمولدالنبي صلى الله عليه وسلم ، وكان عقيل بن ابي طالب قد استولى عليه زمن الهجرة ، وفيه وفي غيره اشار صلى الله عليه وسلم بقوله في حجةالوداع وهل ترك لنا عقيل من ظل او منزل ، ولم يزل بيد عقيل وولده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف الثقفي اخي الحجاج ، فادخله في داره التي يقال لها البيضاء ولم يزل كذلك حتى حجت الخيزران ام الخليفتين موسى الهادي العباسي واخيه هارون الرشيد ، فأخرجته وجعلته مسجدا يصلي فيه ، وكون هذا المكان مولده صلى الله عليه وسلم مشهور متوارث يأثره الخلف عن السلف ، وجرت العادة بمكة في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول في كل عام ان قاضي مكة الشافعي يتهيأ لزيارة هذا المحل الشريف بعد صلاة المغرب في جمع عظيم منهم الثلاثة القضاة واكثر الاعيان من الفقهاء والفضلاء ، وذوي البيوت بفوانيس كثيرة ، وشموع عظيمة وزحام عظيم،

ويدعي فيه للسلطان ولأمير مكة ، وللقاضي الشافعي بعد تقدم خطبةمناسبة للمقام ، ثم يعود منه الى المسجد الحرام قبيل العشاء ويجلس خلف مقام الخليل عليه السلام بازاء قبة الفراشين ، ويدعو الداعي لمن ذكر آنفا بحضور القضاة واكثر الفقهاء ، ثم يصلون العشاء وينصرفون ، ولم اقف على اول من سن ذلك ، وسألت مؤرخي العصر فلم اجد عندهم علما بذلك . ومن فضائل هذا المحل المبارك مانقله الأزرقي عمن كان ساكنا به قبل أنتخرجه الخيزران انه قال : والله لم يصبنا فيه منذ سكناه لا جلئحة ولا حاجة حتى خرجنا منه فاشتد علينا الزمان انتهى بمعناه ، وقد ذكر السهيلي انهصلى الله عليه وسلم ولد بالشعب ، وقيل بالدار التي عند الصفا التي كانتلمحمد إبن يوسف أخي الحجاج ، ثم بنتها زبيدة مسجدا لما حجت انتهى ، وهو غريب ، ونقل مغلطاي في سيرته ماذكره السهيلي ، ثم قال ويقال ولد بالردم ، ويقال بعسفان انتهى بمعناه وهو اغرب والمراد بالردم ردم بني جمح لا الذي بأعلى مكة لأن ذلك لم يكن الا في زمن عمر بن الخطابرضي الله عنه ، ويعرف الآن بالمدعي ونسبة الأول لبني جمح هو انهم قتلوا وردم عليهم التراب هنالك ولم اقف على تعين محله بمكة ولا رأيت من ذكره والمعروف المشهور في مولده عليه السلام هو الأول الذي بسوق الليل ولا اختلاف فيه عند اهل مكة .

(ومنها) مولد السيدة فاطمة ابنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وهو في دار امها خديجة رضي الله عنها بمكة فيالزقاق المعروف بزقاق الحجر وسماها الطبري دار خزيمة بمعجمتين قال الازرقي وهذه الدار كان يسكنها رسول الله عليه وسلم مع خديجة وفيها ابتني بها وولدت جميع أولادها وتوفيت بها ولم يزل النبي صلى الله عليه وسلم ساكنا بها حتى هاجر الى المدينة فاستولى عليها عقيل بن ابي طالب ثم اشتراها منه معاوية وهو خليفة فجعلها مسجدا وفتح فيه بابا من دار أبيه ابي سفيان التي قال فيها صلى الله عليه وسلم يوم الفتح من دخل دار أبي سفيان فهو آمن انتهى وتسمى هذه الدار جميعها بمولد فاطمة وموضع مسقط راسها معروف فيها ، قال الفاسي رحمه الله ولا ريب في كون فاطمة رضي الله عنها ولدت في هذه الدار انتهى . وغالب هذه الدار الآن على صفة المسجد وبها قبة يقال لها قبة الوحي(1) والى جنبها موضع

---

(1) قال سعد الدين الاسفرايني وفي هذه القبة حفرة عند الباب يقال كان يجلسالنبي صلى الله عليه وسلم فيها وقت نزول الوحي وجبريل يجلس في محراب القبة .

يزوره الناس يسمى المختبأ زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبي فيه من الحجارة التي يرميه بها المشركون ولا أصل لذلك قال الأزرقي سألت جدي ويوسف بن محمد بن ابراهيم وغيرهما من أهل العلم بمكة عن ذلك فأنكروه انتهى . ودار خديجة هذه أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام قاله المحب الطبري .

(ومنها) مولد سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وهو بالمحل المعروف بشعب علي وهو مقابل لمولد النبي صلى الله عليه وسلم من اعلاه مما يلي الجبل مشهور عند أهل مكة لا اختلاف فيه وعلى بابه حجرمكتوب عليه (هذا مولد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب وفي هذا المحل تربي رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي هذا المحل موضع كالتنور يقال انه مسقط راسه رضي الله عنه . ونقل الجد عن سعد الدين الاسفرايني أن في جدار هذا المحل بالزاوية حجرا يقال انه كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان مولد سيدنا علي رضي الله عنه في جوف الكعبة وضعفه النووي في تهذيب الأسماء واللغات .

(ومنها) فيما قيل مولد سيدنا حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وهو بأسفل مكة على طريق الذاهب الى بركة الماجن بالنون واهل مكة يقولون ماجد بالدال وهو خطأ ، قال الفاسي رحمه الله ولم ار شيئاً يدل بصحة ذلك بل في صحته نظرا لأن هذا الموضع ليس محلا لبني هاشم والله اعلم انتهى .

(ومنها) غار لطيف في اعلى الجبل المجاور لضريح الشيخ عبد الكبير ان قيس الحضرمي المعروف عند اهل مكة بجبل النوبي اسفل مكة ويسمي ثبير الزنج كما سيأتي يقال ان سيدنا عمر بن الخطاب ولد به قال الفاسي ولا اعلم في ذلك شيئاً يستأنس فيه إلا ان جدي لاقي القاضي ابا الفضل النويري كان يزور هذا الموضع في جمع من أصحابه في ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول في كل سنة في الغالب والله أعلم بحقيقة ذلك .

(ومنها) موضع بالدار المعروفة بدار ابي سعيد وتعرف أيضاً بدار الدقوقي بقافين بينهما واو بالقرب من دار العجلة يقال له مولد جعفر الصادق ونقل الفاسي رحمه الله أن على بابه حجرا مكتوبا عليه هذا مولد جعفر الصادق ودخله النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ، ويقال له مولد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه والله اعلم بحقيقة ذلك انتهى .

(ذكر الدور المباركة)

(ومنها) دار ابي بكر الصديق رضي الله عنه وهي بزقاق الحجر معروف عند أهل مكة وعلى بابها حجر مكتوب فيه هذه دار صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ورفيقه في الأسفار أبي بكر الصديق وتسمي أيضا بدكان أبي بكر يقال إنه كان يبيع فيه الخز وأسلم فيه جمع من الصحابة منهم علي وعثمان وطلحة والزبير وفي جدار هذا المكان أثر مرفق النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا يسمي بزقاق المرفق أيضاً ويقابل هذه الدار جدار فيه حجر مبارك بارز عن الحائط قليلا يتبرك الناس بلمسه يقال انه كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم كلما اجتاز عليه قال الفاسي رحمه الله وهذا الحجر ان صح سلامه على النبي صلى الله عليه وسلم فلعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم على ليالي بعثت . وفي الشفاء قيل انه الحجر الأسود واستبعده المحب الطبري (ومنها) دار خديجة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي يقال لها مولد فاطمة وقد نقدم الكلام عليها آنفا وبيان محلها مستوفي وانما ذكرتها هنا ليعلم أنها من جملة الدور المباركة وانما غاب عليها اسم المولد واشتهرت به .

(ومنها) دار الأرقم بن ابي الأرقم المخزومي المعروفة الآن بدار الخيزران المجاورة للصفا والمقصود بالزيارة المسجد الذي فيها لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان مستترا فيه في مبدأ الاسلام وفيه أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب وغيرهما ومنه ظهر الاسلام وبه كان اجتماع الصحابة فله فضل كبير وهذا المسجد بنته الخيزران جارية المهدي العباسي المتقدمة آنفاً (اقول) ولعله لهذا السبب نسبت الدار اليها والله اعلم انتهى .

(ومنها) دار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه التي هي الآن رباط للفقراء بالمسعي المعظم وفي جدارها احد الميلين الأخضرين اللذين يسن الجري بينهما حالة السعي .

(ومنها) الموضع المعروف برباط الموفق واشتهر في هذا الزمان برباط المغاربة لكناهم به وهو أسفل مكة عند سوق باب ابراهيم . قال الفاسي رحمه الله وجدت بخط جد ابي الشريف عبد الله الفاسي انه سمع الشيخ أبا عبد الله بن مطرف نزيل مكة الولي المشهور يقول : ما وضعت يدي في حلقة هذا الرباط الا وقع في نفسي كم ولي لله وضع يده في هذه الحلقة

ثم قال وبلغني ان الشيخ خليلا المالكي كان يقول : ان الدعاء يستجاب فيه او عند بابه وكان يكثر اتيانه للدعاء . والله أعلم انتهى .

(ومنها) الموضع الذي يقال له متعبد الجنيد بلحف الجبل الذي يقال له الاحمر احد أخشبي مكة . قال الفاسي رحمه الله ويقال له الآن قعيقعان وجعل ابي الحارث ايضا انتهى وهو الآن مشهور عند اهل مكة بجبل جزل ونقل الجد انه معبد ابراهيم بن ادهم على ما قيل والله اعلم .

(ذكر المساجد)

وهي كثيرة ذكرها من المتقدمين الازرقي وغيره وتبعه من المتأخرين الطبري والفاسي وغيرهما (منها) ما هو موجود معروف الى يومنا هذا (ومنها) ما هو داثر لا يعرف بمكة وخارجها ذكرها الأزرقي ثم تبعه الطبري والفاسي ولم يبينا امرها فيتوهم انها موجودة (ومنها) ما ذكره الازرقي والفاسي منفردا عن المساجد التي تقصد بالزيارة وقد رايت ان اذكر أولا المساجد المعروفة الى وقتنا هذا المستحب زيارتها ثم اعقبها بالداثرة ثم انبه على ما ذكره منفردا ثم اذكر ما لم يذكره الأزرقي والفاسي فأقول :

اما المساجد المعروفة (فمنها) مسجد بأعلى مكة عند الردم وهو المدعي عرفه الطبري بمسجد الراية ويعرف بذلك الى وقتنا هذا وبجانبه الآن منارة تعرف بمنارة ابي شامة يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه كما نقله الازرقي وذكر ان عبد الله بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بناه .

(ومنها) مسجد بقرب المجزرة الكبيرة عند المدعي على يمين الهابط الى مكة ويسار الصاعد منها يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه المغرب كما هو مكتوب بحجرين هناك .

(ومنها) مسجد بسوق الليل بقرب مولد النبي صلى الله عليه وسلم يقال له المختبا يزوره الناس كثيرا في شهر ربيع الأول كغيره من المحال التي تزار . قال الفاسي ولم ار من ذكره ولا عرفت شيئا من خبره ونقل الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن فهد رحمه الله ان هذا المحل معبد عثمان بن عفان وان النبي صلى الله عليه وسلم كان يختبي فيه من الكفار وعزاه الى كتاب الكوكب المنير لنصر الله .

(ومنها) مسجد على جبل ابي قبيس يقال له مسجد ابراهيم وليس

المراد به الخليل عليه السلام وانما هو ابراهيم القبيسي انسان كان يسأل عنده ذكره الأزرقي .

(ومنها) مسجد بأسفل مكة ينسب لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يقال انه من داره التي هاجر منها الى المدينة ويعرف الآن بدار الهجرة وهو بالقرب من بركة الماجن هذه المساجد التي بمكة .

واما التي في خارجها (فمنها) مسجد يقال له مسجد البيعة ومسجد الجن قال الازرقي ويسميه أهل مكة مسجد الحرس لان صاحب الحرس كان يطوف بمكة حتى إذا انتهى اليه وقف حتى يتوافي عنده حرسه وعرفاؤه فانهم يأتونه من شعب ابن عامر ومن ثنية المدنيين فاذا توافوا رجع منحدرا الى مكة وهو فيما يقال موضع الخط الذي خطه رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليلة اجتمع عليه الجن وبايعوه صلى الله عليه وسلم كما يقال انتهى وشهرته بمسجد الحرس مستمرة الى وقتنا هذا .

(ومنها) مسجد يعرف بمسجد الاجابة على يسار الذاهب إلى منى في شعب بقرب ثنية أذاخر كذا عرفه الفاسي رحمه الله وهو مشهور بذلك إلى وقتنا هذا يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه والله أعلم .

(ذكر المساجد التي في منى وجهتها)

(منها) مسجد يقال له مسجد البيعة وهي التي بايع فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار بحضرة عمه العباس حسبما ذكره أهل السير وهو بقرب العقبة التي هي حد منى من جهة مكة في شعب على يسار الصاعد إلى منى .

(ومنها) بمنى مسجد يقال له مسجد النحر بين الجمرتين الأولى والوسطى على يمين الذاهب إلى عرفة يقال ان النبي عليه السلام صلى فيه الضحى ونحر هديه عنده كذا وجد في حجر مكتوب فيه ذلك .

(ومنها) مسجد يقال له مسجد الكبش على يسار الصاعد إلى عرفة بسفح ثبير وهو مشهور والمراد بالكبش هو الذي فدي به الذبيح اسماعيل او اسحاق على الخلاف في ذلك ونقل الفاسي عن الفاكهي رحمهما الله تعالى ما يقتضي أن الكبش نحر في غير هذا الموضع بين الجمرتين ويؤيده ما اخرجه الطبري عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نحر في منحر الخليل عليه السلام الذي نحر فيه الكبش المفدي بـه ثم بينه الطبري

فقال وذلك في سفح الجبل المقابل له يعني ثبيرا واراد بذلك الموضع الذي عند مسجد النحر المتقدم آنفاً والله اعلم بالحقائق .

(ومنها) مسجد عائشة رضي الله عنها وهو بسفح ثبير أيضا فوق مسجد الكبش المذكور وهو غار لطيف عليه بناء دائر ويسمي معتكف عائشة وبيت أم المؤمنين .

(ومنها) مسجد الخيف المشهور بمنى وهو مسجد عظيم الفضل وقد وردت في فضله أحاديث وآثار فمن ذلك ما اخرجه الطبراني في معجمه الاوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الخيف والمسجد الحرام ومسجدي» واسناده ضعيف كما نص عليه الحفاظ وإنما ذكرته لغرابته ولجواز العمل به في فضائل الأعمال كما ذكره النووي وغيره من علماء الحديث . واخرج أيضاً في معجمه الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «صلى في مسجد الخيف سبعون نبيا منهم موسى» وكذا اخرجه الازرقي ايضا وفي رواية عن مجاهد خمسة وسبعون نبيا وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان النبي عليه السلام قال في مسجد الخيف قبر سبعين نبيا . واما الآثار فروى الشيخ العلامة مجد الدين صاحب القاموس في كتابه الوصل والمنى في بيان فضل منى بسند جيد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه كان يقول لو كنت من اهل مكة لاتيت مسجد منى كل سبت واخرج الازرقي عن ابي هريرة بلفظ لو كنت من اهل مكة لاتيت مسجد الخيف كل سبت وفي آخر عنه أخرجه الجندي لو كنت امرءاً من اهل مكة ما اتى علي سبت حتى آتي مسجد الخيف فأصلي فيه . واما تعيين مصلى النبي صلى الله عليه وسلم من مسجد الخيف فاخرج الازرقي بسنده إلى جده أن الاحجار التي بين يدي المنارة هي موضع مصلاه صلى الله عليه وسلم والمراد بالمنارة هي الصغيرة التي في وسط المسجد اللاصقة لجدار القبة الكبيرة لا المنارة التي على الباب ، والمحراب الذي في القبة هو موضع مصلاه صلى الله عليه وسلم لأنه في موضع الأحجار التي ذكرها الازرقي كذا نقله الجد رحمه الله .

(ومنها) بلحف الجبل المشرف على مسجد الخيف المسمي بالضب بمعجمة وموحدة نقله الصغاني وبالصفايح أيضا بصاد مهملة آخرة تحتية ومهملة وقيل الصابح بمهملتين بينهما الف وموحدة قاله الازرقي مسجد لطيف يماني مسجد الخيف فيه غار به اثر يقال انه اثر راس الرسول صلى

الله عليه وسلم أخرج ابن جبير أن النبي صلى الله عليه وسلم جلس بهذا الغار مستظلا فيه فمس راسه الكريم الحجر فلان حتى أثر فيه تأثيرا بقدر دورة الراس فصار الناس يبادرون بوضع رؤسهم في هذا الموضع تبركا واستجارة لرؤسهم بموضع مسه الراس الكريم ان لاتمسها النار برحمة الله عز وجل انتهى ويعرف بغار المرسلات وهو مشهور به إلى هذا الوقت وفي صحيح البخاري في باب ما يقتله المحرم من الدواب من رواية ابن مسعود انه قال «بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى إذ نزلت عليه والمرسلات عرفا وانه ليتلوها واني لاتلقاها من فيه وان فاه لرطب بها اذ وثبت علينا حية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوها فابتدرناها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم . وقيت شركم كما وقيتم شرها» .

(فائدة) من عجيب الاتفاق ان الشيخ مجد الدين الشيرازي صاحب القاموس دخل الى الغار في جماعة اصحابه وقراوا سورة والمرسلات فخرجت عليهم منه حية ، فابتدروها ليقتلوها فهربت .

(ومنها) مسجد عرفة الذي يصلي فيه الامام ، وهو مشهور لايحتاج الى مزيد بيان ، وعرفه الأزرقي بمسجد ابراهيم الخليل عليه السلام وجزم به الرافعي والنووي ، وخالف ابن جماعة ، وقال ليس لذلك أصل ، وتبعه الأسنوي على ذلك ، قال الفاسي : وفيه نظر لمخالفتهما ما يقتضي كلام الأزرقي وهو عمدة في هذا الشأن انتهى .

(ومنها) مسجد التنعيم التي اعتمرت منه عائشة أم المؤمنين بعدحجها عام حجة الوداع ، واختلف فيه ، فقيل هو المسجد الذي يقال له مسجد الهيلجة بشجرة كانت فيه . قال الفاسي : وهو المتعارف عند اهل مكة وفيه حجارة مكتوب فيها مايؤيد ذلك ، وقيل هو المسجد الذي بقربه بئر وهو بين هذا المسجد وبين المسجد الذي يقال له مسجد بطريق وادي مرو في هذا ايضا حجارة مكتوب فيها مايشهد لذلك ، والخلاف قديم انتهى ،ورجح الطبري انه الذي بقربه البئر .

(فائدتان) الأولى : انما سمي هذا المحل التنعيم لأن على يمينه جبلا يقال له نعيم وعن يساره جبلا يقال له ناعم والوادي الذي بينهما نعمان كذا قيل الثانية : نعمان واد آخر فوق عرفة بقليل مشتمل على اودية كثيرة لأعراب مكة وغيرهم قال البغوي وغيره من المفسرين انه واد مقدس وفيه اخذ الله العهد .

(ومنها) مسجد الجعرانة وهو الذي احرم منه النبي صلى الله عليه

وسلم بعمرة مرجعه من الطائف بعد فتح مكة وموضع احرامه من وراء الوادي حيث الحجارة المنصوبة بالعدوة القصوى اخرجه الأزرقي عن مجاهد رضي الله عنه . وكذا ذكره الواقدي أيضا واختلف في احرامه صلى الله عليه وسلم متى كان والراجح انه ليلة الاربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي القعدة عام الفتح . والجعرانة بكسر الجيم واسكان العين وتخفيف الراء وفتحها . وقيل بكسر الجيم والعين وفتح الراء المشددة نقل حكاهما النووي في تهذيب الأسماء واللغات .

(فوائد) الأولى اخرج الجندي في فضائل مكة بسنده الى يوسف بن ماهك انه قال اعتمر من الجعرانة ثلثمائة نبي وكذا ذكره الفاكهي أيضا . الثانية في جهة الجعرانة ماء شديد العذوبة يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم فحص موضع الماء بيده المباركة وقيل انه غرز فيه رمحه الميمون فنبع الماء من ذلك المحل فشرب منه النبي صلى الله عليه وسلم وسقى الناس اخرجه الفاكهي . الثالثة انما سميت الجعرانة باسم امرأة من قريش يقال لها رابطة براء وطاء مهملتين بينهما مثناة تحتية بنت كعب ولقبها جعرانة وهي امرأة أسد بن عبد العزى وعن ابن عباس رضي الله عنه انما هي التي نزل فيها قوله تعالى «ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة» الآية .

(ومنها) مسجد يقال له مسجد الفتح بالقرب من الجموم من وادي مر وهو مشهور بهذا الاسم الى هذا الزمان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه والله اعلم فهذه المساجد كلها معروفة الآن تتعاهد بالزيارة بعضها في أوقات مخصوصة وبعضها مطلقا . وأما المساجد التي ذكرها الأزرقي ولم تعرف الآن فخمسة مساجد الأول مسجد بأعلى مكة بين شعب ابن عامر المعروف الآن بشعب عامر بدون لفظ ابن وحرف دار رائقة في اسفل . كذا عرفه الأزرقي ثم قال ان عنده قرة مستقلة لرجل كان يسكن ثم في الجاهلية وأن النبي صلى الله عليه وسلم بايع الناس عنده يوم الفتح وهذا المسجد لا يعرف الآن ولا يمكن حمله على مسجد البيعة المعروف بمسجد الحرس المتقدم لأن الأزرقي قد ذكره أيضا مع ذكره لهذا المسجد . الثاني مسجد باجياد يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم اتكأ هناك في موضع منه قال الأزرقي ان أهل العلم ينكرون ذلك وانما يثبتون انه صلى باجياد الصغير ولا نوقف على موضع مصلاه ايضا تحقيقا بل حدسا بغير اصل . الثالث مسجد بأعلى مكة يقابل مسجد الحرس يقال له مسجد الشجرة قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمسجد الحرس فدعا شجرة كانت في هذا المسجد فاقبلت اليه فسألها عن شيء ثم امرها بالرجوع فرجعت الى

موضعها وقد دثر . الرابع مسجد بذي طوي في علو مكة بين الثنيتين التين يدخل منهما الحاج يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم نـزل هناك حين اعتمر وحين حج تحت سمرة كانت ثم ذكره الأزرقي وافادان زبيدة بنته. الخامس مسجد السرر قال الأزرقي وهو الذي تسميه أهل مكة مسجد عبد الصمد بن علي لكونه بناه وسيأتي ذكر وادي السرر ، وهو بمنى في شرقها ذكره صاحب القاموس كما ستقف عليه قريباً ان شاء الله تعالـى غير أن تعيين محله يقيناً لا يوقف عليه الآن بل جهته . السادس : مسجد بعرفة عن يمين الموقف يقال له مسجد ابراهيم . وليس بمسجد عرفة الذي يصلي فيه الامام كذا عرفه الأزرقي . ولم يبين ما المراد بابراهيـم الذي ينسب اليه . فهذه المساجد المذكورة لم تعرف الآن ؟ وأما ماذكر مـن المساجد منفردا . ولم يتعرض لاستحباب زيارتها . فمسجدان : الأول مسجد عرفة المعروف الآن بمسجد نمرة الذي يصلي فيه الامام ذكره الأزرقي وأفرده عن المساجد التي يستحب زيارتها . ولم يصب بل هو أولى ان يعد من جملتها لأن العلة في ذلك انما هو التبرك . وهذا المسجد من البقاع العظيمة التي لايشك فيها وكم صلى فيه من حجاج الصحابة والتابعين والعلماء والأولياء والسادات لان كون هذا المحل مصلى الامام مما يؤثره الخلف عن السلف . واذا كان كذلك فيبعد ان يتركه الاخيار ويصلون في غيره فكان عده من جملة المساجد المستحب زيارتها اولى . ولهذا ذكرته وعددته من جملتها ، الثاني مسجد فوق العمرة المعروفة بالتنعيم الى جهة وادي مر على يمين الذاهب اليه ويعرف بمسجد علي ذكره الفاسي ضمنا عند ذكـره لمسجـد التنعيم . وقد مر كلامه . ولم يبين أمره ولا تعرض لعلي الذي نسب اليه هذا المسجد . ولم اقف على شيء من خبره . وأما مالم يذكر من المساجد فمسجد واحد بمكة امام الصاعد من باب العمرة على يسار الذاهب الى جهة سوق باب ابراهيم فيه محراب لطيف جدا يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه هذا ماوقفت عليه . والله أعلم .

(ذكر الجبال المباركة بمكة وحرمها)

(ومنها ، الجبل المعروف بأبي قبيس احد اخشبي مكـة المشرف على الصفا . وهو مشهور لايحتاج الى بيان . ويروي عن وهب بن منبه رضي الله عنه ان قبر آدم صلوات الله عليه في غار في جبل أبي قبيس يقال له غار الكنز بالنون والزاء المعجمة ، وان نوحا عليه السلام لما جاء الطوفان استخرجه من الغار وجعله في تابوت وحمله في السفينة فلما غيض الماء

أعاده الى الغار . والله أعلم بذلك . وهذا الغار لايعـرف الآن . وقيل ان قبره بمسجد الخيف بعد أن صلى عليه جبريل عند باب الكعبة وقيل ببيت المقدس وقيل ببلاد الهند وصححه الحافظ ابن كثير في تفسيره . ونقل عن الذهبي أن قبر حواء وشيث(١) في جبل أبي قبيس . والله أعلم بالحقائق ومن فضائله انه كان يدعى الامين في الجاهلية لأن الحجر الأسود استودع فيه عام الطوفان فلما بنى الخليل الكعبة ناداه الجبل الركن مني بمكان كذا وكذا فجاء به جبريل فوضعه موضعه (ومنها) انه اول جبل وضع على وجه الأرض حين مادت . روي ذلك عن ابن عباس ومجاهد (ومنها) ان الدعاء يستجاب فيه كما ذكره الفاكهي . واستشهد لذلك بحكايـة الوفد الذين استسقوا فيه . فاجيب لهم وسقوا (ومنها) انشقاق القمر عليه كما ذكره القطب الحلبي وغيره . ونقل عن بعض العلماء أنه أفضل جبال مكة حتى حراء . وعلل بكونه أقرب الجبال الى الكعبة الشريفة . قال الفاسي رحمه الله . وفي النفس شيء من تفضيله على حراء لكونه صلى الله عليه وسلم كان يكثر اتيانه للعبادة . ويقيم به لأجلها شهرا في كل عام . وفيه اكرم بالرسالة . ولم يتفق له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك في جبل سواه وذلك مما يقتضي امتيازه بالفضل والموجب لتفضيل دار خديجة رضي الله عنها على غيرها من دور الصحابة طول سكناه عليه السلام بها . ونزول الوحي عليه فيها لا لأجل القرب من الكعبة اذ كثير من البيوت أقرب اليها منـه كدار العباس بالمسعى . ودار الأرقم بالصفا والله أعلم انتهـى . ثم في تسميته بأبي قبيس أقوال أرجحها أنه سمي باسم رجل من اياد يقال لـه أبو قبيس بني فيه .

(فائدة) نقل القزويني في كتابه عجائب المخلوقات مـن خواص جبل أبي قبيس أن من اكل فيه الرأس المشوي يامن أوجاع الـراس وكثير من الناس يفعله . والله أعلم بحقيقة ذلك .

(ومنها) جبل الخندمة . وهو جبل شامخ مشهور معروف في ظهر أبي قبيس . (ومن فضائله) ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ما مطرت مكة قط الا كان للخندمة عزة . وذلك أن فيه قبر سبعين نبيا أخرجه الفاكهي . والله أعلم بصحته . وفيه يقول القائل في يوم الفتح :

إنك لو شهـدت يوم الخندمة إذ فـر صفوان وفر عكـرمـه

الأبيات المشهورة (ومنها) جبل حراء وهو ممدود فمن ذكره صرفه ومن أنثه منعه من الصرف ويسمى جبل النور بالنون وكأن ذلك لكثرة مجاورة

---

(١) أنزلت عليه خمسون صحيفة وعاش تسعمائة سنة ودفن مع أبويه في غار أبي قبيس.

النبي صلى الله عليه وسلم وتعبده فيه وما خصه الله به فيه من الاكرام بالرسالة ونزول الوحي عليه في الغار الذي بأعلاه كما في صحيح البخاري حتى فجئه الحق . وهو في غار حراء . وهو معروف مشهور يأثره الخلف عن السلف ويقصده الناس بالزيارة . ذكر الازرقي أن النبي صلى الله عليه وسلم اختبأ فيه من المشركين . وكذا ذكره الفاكهي قال أيضا والمعروف أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يختبئ من المشركين الا في غار ثور لكن يتأيد ماذكر بما قاله القاضي عياض والسهيلي في روضه : أن قريشا حين طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ظهر ثبير . فقال له اهبط عني يارسول الله فاني أخاف ان تقتل وانت على ظهري . فيعذبني الله تعالى فناداه حراء الى رسول الله . وجمع القاضي تقي الدين رحمه الله . فقال ان صح اختفاؤه صلى الله عليه وسلم بحراء . فهو غير اختفائه بثور . والله أعلم فيكون في حراء أولا . وفي ثور حين الهجرة . وذكر بعض العلماء أن السر في كونه صلى الله عليه وسلم لازم التعبد فيه دون غيره من الجبال من حيث ان فيه فضلا زائدا منه ان يكون فيه منزويا مجموعا لتعبده . وهو يشاهد بيت ربه . والنظر الى البيت عبادة . فحصل له اجتماع ثلاث عبادات الخلوة . والتعبد . والنظر . ومجموع ذلك أولى من الاقتصارعلى البعض وغيره من الاماكن ليس فيه ذلك المعني . وأيضا ان هذا الجبل كان يختلي فيه أجداده صلى الله عليه وسلم (اقول) وفيما ذكر نظر لان غيره من الجبال يتأتى فيه ماذكر من اجتماع العبادات الثلاث كأبي قبيس مثلا ويزيد بقربه من البيت . فكان أولى ان يتعبد فيه . وان كان المراد البعد من الناس لخلو البال في التعبد . فالجبال البعيدة كثيرة اللهم الا أن يقال ان الغار الذي بحراء مستقبل الكعبة من غير انحراف . وليس غيره كذلك فله وجه . والاحسن أن يقال ان جبل حراء متعبد اجداده فاقتدي بهم في ذلك . والله الموفق .

(ومنها) جبل ثور بالثاء المثلثة باسفل مكة . وسماه البكري أبا ثور والمشهور الاول وبعده عن مكة ميلان . وقيل ثلاثة وارتفاعه نحو ميل وكان اسمه اطحل بالطاء والحاء المهملتين . وانما سمي ثورا لنزول ثور بن عبد مناف فيه . وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر اختفيا في غاره المشهور الذي ذكره الله تعالى بقوله : « ثاني اثنين اذ هما في الغار» الآية وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار امر الله العنكبوت فنسجت على بابه وشجرة فنبتت والحمامتين فعششتا على بابه . ويقال ان هذا الحمام الذي بمكة من نسلهما . ومن فضائل هذا الجبل ما يروى انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم . وقال له إلي يارسول الله فاني قدآويت

قبلك سبعين نبيا . وللغار الذي فيه بابان واسع وضيق . وكثير من الناس يتجنب دخوله من الباب الضيق لما يقال ان من لم يدخل منه وتعوق فليس لأبيه ، وهو باطل لا أصل له . وقد وسع الباب الضيق في حدود عام ثمانيمائة لأن بعض الناس أراد الدخول منه فانحبس . فنحت منه حتى اتسع وتخلص . وكان مكثه صلى الله عليه وسلم في الغار المذكور ثلاثا كما في صحيح البخاري . وهو الراجح . وقيل بضعة عشر يوما . ووفق الجد رحمه الله بينهما فقال ويحتمل أن يكون كلا القولين صحيحا ووجه الجمع انهما مكثا في الغار ثلاثا ويكون معنى الحديث مكثت مع صاحبي مختفيين من المشركين في الغار وفي الطريق بضعة عشر يوما انتهى .

(فائدتان) الاولى : نقل عن البكري انه قال في جبل ثور من كل نبات الحجاز وشجره . وفيه شجر البان . وفيه شجره من حمل منها شيئا لم تلدغه هامة ، الثانية : نقل ايضا في بعض الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما أن قتل قابيل أخاه هابيل كان في ثور أخرجهما الفاسي رحمه الله ، وفي صحيح مسلم أن ثورا اسم جبل اخر صغير في المدينه قريبا من جبل أحد عن يساره . وأنكر ذلك بعض العلماء . والله أعلم .

(ومنها) جبل ثبير بمنى . وهو جبل عظيم الفضل شامخ . روى الازرقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله عز وجل للجبل تشظى . فطارت شظاياه لستة جبال ثلاثة منها وقعت بمكة وهي حراء وثور وثبير وثلاثة وقعت بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى . اقول وكون ثبير بمكة تسامح لكن ماقارب الشيءأعطي حكمة وقد جعله القزويني من جبال مكة أيضا ثم عرفه بانه الذي أهبط عليه الكبش الذي فدى به اسماعيل ، ثم قال والعرب تقول أشرق ثبير كيما نغير وليس كذلك الا ثبير الذي بمنى ، وكذلك الجوهري جعله بمكة وما ذاك الا لقرب منى منها انتهى . ويسمي ثبير الاثبرة والقابل أيضا بالقاف والباء الموحدة . ونقل صاحب القاموس عن النقاش أن الدعاء يستجاب فيه ثم قال ثبير ثبيرة لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد فيه قبل النبوة وامام ظهور الدعوة ولهذا جاورت به أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أيام اقامتها بمكة انتهى .

(ومنها) ثبير اسم لثمانية أماكن سبعة منها جبال بمكة وحرمها وهي ثبير الاثبرة المذكور . وثبير الزنج . وثبير الأعرج . وثبير الأحدب ويقال الأحيدب بالتصغير . وثبير الخضراء . وثبير النصع . وثبير غينا . والثامن

اسم لما في بلاد مزينة أقطعه النبي صلى الله عليه وسلم شريس بمعجمة في أوله ومهملة في آخره ابن ضمرة بضاد معجمة المزني رضي الله عنه وسماه شريحا بحاء مهملة ، ولنشر الى مواضعها تكثيرا للفائدة . فأما ثبير الاثبرة فقد تقدم وعرف بذلك لأنه أعلاها وأطولها ، وقيل انما سمي ثبير باسم رجل من هذيل دفن فيه ، والله أعلم بذلك ، وهو على يسار الذاهب الى عرفة الذي ذكره الفقهاء في المناسك بأن المستحب للحاج اذا طلعت الشمس عليه أن يسير الى عرفة . وأما ثبير غينا بالغين المعجمة المفتوحةبعدها مثناة تحتية ثم نون ثم الف ، وثبير الأعرج فهما بمنى أيضا يصب بينهما واد من منى يقال له افاعية بضم الهمزة بعدها فاء والف وعين مهملة مكسورة ومثناة تحتية مفتوحة مخففة بعدها هاء كذا نقلـه صاحب القاموس عن الزمخشري ، وذكر الأزرقي في ثبير الأعرج أنه المشرف على حق الطارقيين بمثناتين تحتيتين بين المغمس والنخيل . وفي ثبير غينا انه المشرف على بئر ميمون وقلته مشرفة على شعب علي كرم الله وجه ، فخالف في ذلك الزمخشري ، أقول ولعله أراد بالنخيل بساتين ابن عامـر التي كانت في جهة عرنة لأنه كان بها نخيل فيما مضي . وأما ثبير النصع بكسر النـون وسكون الصاد المهملة بعدها عين مهملة . فهو جبل لطيف بمزدلفة على يسار الذاهب الى منى ذكره الأزرقي ، وقال هو الذي كانوا يقولون في الجاهلية اذا أرادوا الدفع من مزدلفة أشرق ثبير كيما نغير ، ولا يدفعون حتى يرون الشمس عليه انتهى ، والمعروف المنقول عن جمع من أهل المناسك انهم ما كانوا يعنون بهذا الكلام الا ثبير الاثبرة الذي بمنى . ووجه الفاسي رحمه الله تعالى ماقاله الازرقي ، وقال لا يبعد ذلك لأن قريشـا ما كانوا يقولون ذلك الا وهم بمزدلفة . وهذا اقرب الى أبصارهم من الذي بمنى انتهى ، وأما ثبير الخضراء بمعجمتين وراء مهملة هو الجبل المشرف على الموضع الذي يقال له الخضيراء بطريق منى نقله الفاسي . والخضيراء واد معروف الى هذا اليوم ، وأما ثبير الزنج فهو جبل النوبي المعروف بأسفل مكة في جهة الشبيكة الذي تقدم أن به مولد سيدنا عمر بن الخطاب على ماقيل ، وانما سمي بذلك لان سودان مكة كانوا يلعبون عنده ، وهم النوبة والسودان الزنوج أيضا فطابقت التسمية على كلا الوجهين ، وأمـا ثبير الأحدب أو الأحيدب فلم اقف على موضعه ولم أر كلاما في تعيين محله ، والله اعلم ، اقول بمنى جبل يدعي الأحيدب الى هذا التاريخ سمعت ذلك من بعض اهل منى ، وهو مقابل مسجد الخيف يقرب من ثبير الاثبرة على يسار الذاهب الى عرفة ، والى جانبه جبل آخر لا يبعد ، والله أعلم أن يكون ثبير غينا وبينهما شعب الظاهر انه افاعية الذي يصب بينهما كما تقدم

ويكون ثبير الأعرج كما ذكره الأزرقي في جهة عرفة بين المغمس والنخيل لأنه أمس بذلك ويبقي ما ذكره الزمخشري مجرد نقل لم يعضده شيءيقويه ويصير على هذا بمنى ثلاثة أثبـرة : ثبير المشهـور وثبير غينا • وثبير الاحيدب الذي بينهما أفاعية انتهى والله الموفق فهذه الأثبـرة التي بمكة وظاهرها والله أعلم .

(ذكر المقابر المباركة التي تزار بمكة وقربها)

(منها) مقبرة المعلاة لمـا قد حوته من سادات الصحابة والتابعين وكبار العلماء والصالحين وان لم يعرف قبر احـد من الصحابـة تحقيقا الآن وافضل شعابها الشعب الذي يقال ان فيه قبر أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ولم يرد ما يعتمد عليه في ذلك لقوله صلى الله عليـه وسلم نعم الشعب ونعم المقبرة اخرجه الأزرقي ثم قال لا يعلم بمكة شعب يستقبل ناحية من الكعبة ليس فيه انحراف إلا شعب المقبرة فانه يستقبل وجـه الكعبة كله انتهى وقد تقدم ذكر شيء مما ورد في فضل هـذه المقبرة في فضائل مكة فلا نطيـل باعادته وممـا ورد في فضلها مـا روي عن بعض الصالحين أنه قال كشف لي أهل المعلاة فقلت لهم اتجدون نفعا بما يهدي اليكم من قراءة ونحوها فقالوا لسنا محتاجين الى ذلك فقلت لهم ما منكم احد واقف الحال فقالوا وهل يقف حال احد في هذا المكان ، ومن ذلك ما رواه ابو سعد بن السمعاني في تاريخـه عن ابـي نصر محمد بن ابراهيم الاصبهاني انه رأى في المنام كأن انسانا مدفونا في المعلاة استخرج ومروا به الى موضع آخر قال فسألت عن حاله فقالوا هذه المقبرة منزهة عن اهل البدعة لاتقبل ارضها مبتدعا ، ونقل عن الشيخ خليل المالكي رحمه الله ان الدعاء يستجاب عند ثلاثة أماكن بالمعلاة عند قبور سماسرة الخير وعند قبر الشولي وعند قبر امام الحرمين عبد المحسن بن أبي عبد الحميد .أقول قبور سماسرة الخير بالقرب من البئر المعروفة بئر أم سليمان التي يقصر منها القصارون الثياب الآن ، وقبر الشولي وامام الحرمين معروفان انتهى ومن مقابر مكة قديما المقبرة العليا فيستحب زيارتها لمـا فيها من الأموات واهل الخير وهي بين المعابدة وثنية اذاخر وكان يدفن فيها في الجاهليـة وصدر الاسلام آل أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس وآل سفيان ابن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم نقله الأزرقي • ثم قال وكان أهل مكة يدفنون موتاهم من جنبتي الوادي يمنيه وشامية ثم حول الناس جميعا قبورهم في الشعب الأيسر لمـا جاء فيه انتهى والمراد

باليمني هو شعب أبي دب المعروف الآن بشعب العقاريب وفيه كان يدفن في الجاهلية وصدر اسلام . وابو دب رجل من بني سواة بن عامر سكنة فسمي به ويقال ان قبر آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم في شعب أبي دب . هذا وانه صلى الله عليه وسلم جاء اليها وزادها وقيل في غير هذا المحل من المعلاة . وقيل بالابواء وهو المشهور . والمراد بالشامي هو شعب الصفي بتشديد التحتية المسمى قديما بصفي الشباب وهو الذي عند اذاخر والحرمانيه في طرف المحصب ويسمى المحصب شعب الصفي وهو خيف بني كنانة وانما سمي شعب الصفي لأن ناسا في الجاهلية كانوا إذا فرغوا من مناسكهم ونزلوا المحصب المذكور وقفوا بفم هـذا الشعب وتفاخروا بالآباء والأيام والوقائع في الجاهليـة . اقـول وليس في هذا مناسبة لوجه التسمية وكانه والله أعلم مأخوذ من الاصطفاء لكونهم اختاروا هذا المكان واصطفوه لمفاخرتهم لكن الأزرقي لم يعرج على هذا وانما اخذته من سياق الكلام . ثم يظهر أن صدور هذا التفاخر انما كان يقع من شبابهم ليظهر وجه التسمية انتهى وفى هذه المقبرة العليا قبر سيدنا عبـد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عند قبور آل عبد الله بن خالد بن أسيد وذلك أنه مات عندهم في دارهم سنة أربع وسبعين ولـه من العمر اربع وثمانون عاما وكان صديقا لعبد الله بن خالد فلما حضرته الوفاة أوصاه بأن لا يصلي عليه الحجاج بن يوسف الثقفي وكان بمكة بعد مقتـل ابن الزبير فلما قضى صلى عليه عبد الله بن خالد ودفنه عند باب داره ليـلا اخرجـه الأزرقي ولهذا والله اعلم خفي قبره . وعرف الأزرقي المقبرة العليا بانها حائط خرمان وهو المسمى في هذا الوقت بالخرمانية عند المحصب . قال الفاسي رحمه الله وما ذكره الأزرقي من كون عبد الله بن عمر دفن بالمقبرة العليـا يدفع ما يقال انه مدفون بالجبل الذي بالمعلاة ولا اعلم في ذلك دليلا وهو بعيد من الصواب والله اعلم * ومن مقابر مكة أيضا قديما مقبرة المهاجرين بالحصحاص وهو ما بين فخ والجبل المسمي بالمقلع وبالبكاء او الزاهر كما هو مقتضى كلام الأزرقي والفاسي وانما سمي بالبكاء لمـا قيل انه بكي على النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر وهو مشهور بالبكاء الى اليوم . أقول فتكون المقبرة المذكورة في المحل المعروف الآن بالمختلع الذي يبيت به أمير الحاج عند قدومه ثم يصبح ويدخل مكة فينبغي لمن اتي ذلك الموضع أن يقرأ ما تيسر ثم يدعو هناك بالدعاء المأثور عند زيارة القبور ويهدي ثواب ذلك اليهم والى سائر أموات المسلمين وكذلك عند المقبرة العليا التي تقدم أن بها قبر سيدنا عبد الله بن عمر لمـا علمته والله الموفق . وسبب تسميتها بمقبرة المهاجرين أن جندع بجيم ونون بن أبي ضمرة بمعجمه ابـن أبـي

العاص اشتكي وهو بمكة فخاف على نفسه فخرج يريد الهجرة الى المدينه فادركه الموت وهو بهذا المحل فدفن فيه فانزل الله « ومن يخرج من بيتـه مهاجرا » الاية فسميت مقبرة المهاجرين به أخرجه الأزرقي . ووقع مثل ذلك لغير جندع أيضا فدفن هنالـك وممن دفن بهـذا المحل جماعة من العلويين قتلوا فيه في حرب وقع بينهم وبين عسكـر موسى الهادي في سنة تسع وتسعين ومائة . وفيه جماعة من الأنصار مدفونون ويسمى هذا المحل أيضا باضاة بني عفار وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل وانا باضاة بني عفار فقال يا محمد ان ربك يامرك أن تقرأ القرآن على حرف فقلت أسأل الله المعافاة فقال فانه يأمرك إن تقراه على حرفين فقلت أسأل الله المعافاة قال فانه يامرك ان تقراه على ثلاثـة أحرف فقلت أسأل الله المعافاة قال فانه يامرك ان تقراه على سبعة أحرف كلها شـاف كاف . واختلف ما المراد بالسبعة الأحرف فقيل سبعة لغات * ومن المقابر أيضا المباركة مقبرة الشبيكة فيستحب زيارتها لمـا حوته من أهل الخير والفقراء لا سيما الفقراء الطرحاء فانهم ما يدفنون غالبا إلا بهـا . ونقل الفاسي رحمة الله عن الفاكهي أن مقبرة المطيبين قديمـا كانت بأعلى مكة ومقبرة الاخلاف بأسفل مكة ثم قال والظاهر ان مقبرة الاخلاف هي هـذه المقبرة يعني بذلك الشبيكة لانه لا يعرف بأسفل مكة مقبرة سواها ودفن الناس بها الى الان مشعر بذلك ثم قال والمطيبون بنو عبد مناف بن قصي وبنو اسد بن عبد العزي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث ابن فهر والاخلاف بنو عبد الدار بن قصي وبنو مخزوم وبنـو سهم وبنو جمح وبنو عدي بن كعب انتهى .

(فائدة) وفي سبب تسميتهم بالمطيبين والاخلاف نقل عن ابن اسحق ان قصيا لمـا هلك قام بنوه بعده بأمر الرياسة واقتسموا مآثره كما تقدم ثم ان بني عبد مناف بن قصي وهم عبد شمس ونوفل وهاشـم والمطلب أجمعوا أن يأخذوا مافي أيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعله الى بني عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا أنهم احق بذلك منهم لشرفهم عليهم فافترقت قريش فرقتين فكانت طائفة منهم مع بني عبد مناف على رأيهم وطائفة مع بني عبد الدار يرون ان لا ينزع منهم ما جعله قصي اليهم ثم أخرج بعض نساء عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فغمس القوم أيديهم فيها وتعاقدوا وتعاهدوا ان لا يتخاذلوا فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا عند الكعبـة أن لا يسلم بعضهم بعضـا فسموا الاخلاف ثم اصطلحوا على أن تكون السقاية والرفادة والقيادة لبني عبـد مناف وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ففعلوا ولم يزالوا على ذلك حتى جاء الله بالاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم ما كان من حلف في الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة . ومن القبور التي ينبغي زيارتها خارج مكة قبر أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم خالة ابن عباس . وهو معروف بطريق وادي مر بمحل يقال لـه سرف بسين مهملة مفتوحة . وراء مهملة مكسورة . وفاء . وبينه وبين مكة ستة اميال وقيل سبعة أميال بتقديم السين . وقيل تسعة بتقدم المثناة وقيل اثنا عشر ميلا كذا ذكره صاحب المطالع . أقول القول الأخير بعيد والنظر يقضي بخلاف ذلـك لمن سلك الطريق الى وادي مر . وأعدل الاقوال السبعة لأن المعاينة تؤيده انتهى . قال الفاسي رحمه الله ولا أعلم في مكة ولا فيما قرب منها قبور أحد ممن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى هذا القبر لأن الخلف بأثره عن السلف . وموضع قبرها هو الذي بنى بها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوجها انتهى .

ومنها قبر سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما . وهو بوادي الطائف فينبغي زيارته لمن قدر على ذلك . قال صاحب المطالع ان الطائف هو وادي وج انتهى . ووج بفتح الواو وتشديد الجيم . وسمي باسم وج ابن عبد الحق من العمالقة . وأما وح بالواو والحاء المهملة فهو ناحية نعمان فوق عرفة . وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان صيدوج وعضاهه حرم محرم الله عـز وجـل . قـال النووي واسناده ضعيف . وذكـر الطبري في تحـريم صيـدوج احتمالين احدهما ان يكون على وجه الحمى له . ثم قال وعليه العمل عندنا . والثاني ان يكون حرمه في وقت ثم نسخ انتهى . وقال النووي في الايضاح ويحرم صيـدوج لكن لاضمان فيـه انتهى . وأما مذهبنا فليس له حـرم . وانمـا سمي الطائف لما روي أن رجلا أصاب دما من قومه . فلحق بثقيف وأقام بها وقال لهم الا أبني لكم حائط يطيف ببلدكم . فبناه فسمي الطائف لذلك . وقيل انما سمي بالطائف لأن جبريل طاف به حول الكعبـة . قال بعض المفسرين في قوله تعالى في سورة نون : «فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون» ان جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها . وطاف بهـا حول البيت . فلذلك سميت الطائف . وقيل انما اقتلعها جبريل عليه السلام من الشام وطاف بها سبعا . [illegible] لدعوة الخليل عليه السلام حيث يقول «وارزق أهله من الثمرات [illegible] . والله أعلم بالصواب . وجـاء في قوله تعالى : «وتلك نعمة تمنها علي» [illegible] مكة والطائف . وقال المفسرون في قوله تعالى «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» انهما مكة والطائف . فقرن تعالى الطائف بمكة . وذلك في غاية الشرف . وفي الرجل

قولان احدهما انه عتبة بن عبد شمس والثاني انه مسعودبن معتب الثقفي.

(غريبة) حكي الميورقي ان ميضأة بكسر الميم وقعت في عين الازرق بالطائف فخرجت من عين الأزرق بالمدينة الشريفة .

(منها) قبر بأعلى الجبل المشرف على الموضع المعروف بالبرقة بوادي مر يزعم سكان وادي مر انه قبر مريم بنت عمران ويقصدونه بالزيارة والنذور ويذبحون عنده ، ولا اعلم لهم في ذلك سلفا ، ولم ار من ذكره ، ولم اقف على شيء من خبرة بعد السؤال والتفحص ، والله اعلم بحقيقة ذلك .

(فوائد)

نختم بها الخاتمة يرجع بعضها الى بعض شيء مما تقدم

(الأولى) قال النووي رحمه الله في عدة من كتبه وغيره ايضا ان الدعاء يستجاب في خمسة عشر موضعا : في الطواف ، وفي الملتزم كما قدمته وتحت الميزاب وداخل الكعبة وخلف المقام وعند زمزم وعلىالصفا وعلى المروة . وفي حال السعي وجميع مني عموما وعند الجمرات الثلاث خصوصاً وفي عرفة وفي مزدلفة فهذه خمسة عشر موضعا بالجمرات الثلاث ، وذكر بعض العلماء من الأماكن المستجابة الدعاء : مسجد الخيف بمنى (ومنها) على ماذكره ابن الجوزي مسجد البيعة وغار المرسلاتومغارة الفتح لأنها من ثبير . اقول مغارة الفتح المذكورة هي في سفح ثبير قريبا من معتكف عائشة انشأها القاضي مجد الدين صاحب القاموس وكان يختلي بها للعبادة انتهى ، وذكر العلامة النقاش في منسكه مواضعيستجاب فيها الدعاء في ثبير الاثبرة ، وفي مسجد الكبش ، وفي مسجد النحر وحال الدخول من باب السلام وفي دار خديجة رضي الله عنها ليلةالجمعة، وفي مولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عند الزوال وفي دار الخبزران عند المختبأ بين العشاءين وفي مسجد الشجرة يوم الأربعاء وتحت السدرة بعرفة وقت الزوال وفي المتكأ غداة الأحد ، أقول هذه الثلاث المحال لانعرف الان والمتكأ المذكور الظاهر انه الذي باجياد وقدتقدم الكلام فيه بانه لايعرف يقينا بل حدسا بغير دليل ولا قرينة انتهى ، وفي جبل ثور عند الظهر . وفي حراء مطلقا انتهى كلامه * الثانية مما يدلعلى فضل منى ايضا مارواه ابن الحاج في منسكه عن ابي سهل بن يونس

الرجل الصالح انه قال رايت كني في سفينة تجري على وجه الارض وقائل يقول فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقفزت من موضعي وقلت يارسول الله استغفر لي فقال لي حججت فقلت نعم فقال لي حلقت راسك بمنى قلت نعم . قال راس حلقت بمنى لايمسه النار أبدا انتهى * الثالثة اختلف في سبب تسميتها بمنى فقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سميت منى لان جبريل عليه السلام لما اراد ان يفارق آدم عليه السلام قال له تمن قال تمنيت الجنة فسميت بذلك لامنية آدم عليه السلام . وقيل سميت بذلك لما يمنى فيها من الدماء اي يراق . وهذا هو المشهور الذي ذكره جمهور اللغويين وغيرهم . وقيل لما تمني ان يقدر . وقيل لاجتماع الناس بها لان العرب تسمي كل موضع يجتمع فيه الناس منى . وقيل لمن الله على الخليل عليه السلام بفداء ابنه فيها . وقيل لمن الله بالمغفرة فيها على عباده . وقيل غير ذلك . ويجوز فيها الصرف وعدمه والتذكير والتانيث قال صاحب القاموس : والاجود صرفه وحزم الجوهري في صحاحه بتذكيره وصرفه وانشدوا على تذكيره :

سقى مني ثم رواه وساكنه　　　ومن ثوى فيه واهي الودق مغتبق

وجاء في تانيثه للعرجي :

ليومنا بمنى اذ نحن ننزلها　　　اسر من يومنا بالعرج أو ملل

الرابعة اخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا كنت بين الاخشبين من منى . ونفح بيده نحو المشرق . فان هناك واديا يقال له وادي السرر لسرحة به سر تحتها سبعون نبيا انتهى ملخصا . والسرحة بالسين والحاء المهملتين الشجرة العظيمة . ووادي السرر بضم السين وفتح الراء . وقيل بفتحهما . وقيل بكسر السين وفتح الراء . ومعنى سر تحتها اي قطع سررهم يعني انهم ولدوا تحتها يصف بركتها ويمنها . والسرر مايقطع من المولود فيبان . والباقي بعد القطع السرة . ولايقال قطعت سرته بل قطع سرره ومن قطع سرره فهو مسرور . قاله صاحب القاموس . قال الفاسي رحمه الله لم يبين الطبري موضع هذا الوادي وما عرفته انا ايضا انتهى . اقول قد بين صاحب القاموس مسافة مابينه وبين مكة اجمالا في كتابه الوصل فقال قال ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري السرر على اربعة اميال من مكة عن يمين الجبل بطريق منى . وكان عبد الصمد بن علي اتخذ عنده مسجدا كان به شجرة ذكر انه سر تحتها سبعون نبيا . وقد قدمت ان هذا المسجد لايعرف . فيكون على مقتضي قول الحسن بن الحسن

محل وادي السرر المذكور تقريبا بين محسر ومنى على يسار الذاهب الى عرفة لأن الفقهاء ذكروا في عدة من المناسك أن بين منى ومكة ثلاثة اميال هذا قول أكثرهم . ويكون من منى الى محسر قدر ميل فهذه أربعة أميال. والسرحة لا وجود لها الآن والله الموفق * الخامسة منى اسم لموضعين احدهما منى المذكور . والثاني اسم جبل من جبال ضرية بالضاد المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والمثناة التحتية المشددة المفتوحة والهاء ذكره صاحب القاموس في الوصل وعزاه الى الاصمعي . السادسة الخيف لغة المكان المرتفع عن مسيل الماء المنحدر عن غلظ الجبل . وقال بعضهم : الخيف هبوط وارتفاع في سفح جبل أو غلظ . ومسجد الخيف بمنى في مكان هذه صفته . وقيل الخيف غرة بيضاء في الجبل الذي خلف أبي قبيس . والخيف أيضا الناحية . وبه سمي خيف منى كأنه ناحيته . وقد تغزل الشعراء في منى وخيفها بأشعار كثيرة رائقة وأناشيد فائقة رأيت أن أذكر منها بعض شيء مما انشرح به الخاطر تكثيرا للفائدة . فمن ذلك قول بعضهم .

تبدى لعيني والحجيج على منى ... غزال رأيناه بمكة محرما
رمى وهو يسعى بالجمار وانما ... رمى جمرة القلب المعذب اذ رمى

ومن ذلك للشيخ عبد الله بن اسعد اليافعي من قصيدة :

بوادي منى نلنا المنى اذ تبسمت ... ليال وأيام ملاح المباسم
سرور بعيد واجتماع أحبة ... وقرب وقربان وعز مواسم

ومن ذلك لبعضهم :

ما بال قلبي لا يقر قراره ... حتى تقضى من منى أوطاره
ما ذاك الا من تلهب شوقه ... يسبيه من وادي منى تذكاره
يا سائق الاظعان ان جزت الحمى ... سلم علي من بالمحصب داره
واشرح لهم ما يلتقي مستاقه ... من فرط شوق أحرقته ناره
يصبو الى ذكر الحطيم وزمزم ... والركن والبيت المكرم جاره

ومن ذلك لمجنون ابن قيس العامري :

ولم أر ليلى غير موقف ساعة ... بخيف منى ترمي جمار المحصب
وتبدي الحصا منها اذا قذفت به ... من البرد أطراف البنان المخضب
فأصبحت من ليلى الغداة كناظر ... مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

ومن ذلك لبعضهم :

ايا حادي الاظعان جزبى على منى — وبرّد لظى احشاي بالجمرات
وقف بي على ذاك المقام فان لي — به أربا اقضيه قبل وفاتي
ومل بي الى البيت العتيق وخلني — لديه وما أبديه من زفراتي

ومن ذلك قول ابن الجوزي

سقا منى وليالي الخيف ماشربت — من المياه وحياها وحياك
الماء عندك مبذول لشاربه — ولا ترويك الا دمعة الباك
ثم انثنينا اذا ما هزنا طرب — على الرحال تعللنا بذكراك

ولغيره :

اخذنا باطراف الأحاديث بيننا — ومسّح بالأركان من هو ماسح
فلما قضينا من منى كل حاجة — وسالت بأعناق المطي الاباطح
بكينا على ماكان منزمن الهوى — ولم يعلم الفادي بمن هو رائح

وفي هذا القدر كفاية . الفائدة السابعة المشهور عند اهل مكة أن الحجون : هو الجبل الذي فيه الثنية التي يدخل منها الحاج الهابطة على المقبرة ، وعرفها الأزرقي بثنية المدنيين ، ويسمونها الحجون الأول بالنسبة الى الخارج منها الى جهة ذي طوي والزاهر ، ويقولون لما بينها وبين الثنية الأخرى الهابطة على المختلع وطريق الوادي ، وتسمى الخضراء بين الحجونين ويمين الخارج منها الى جهة منى كما هو صريح كلام الأزرقي والخزاعي والفاكهي والنووي فأما الأزرقي فقال عند ذكره لما في يماني المعلاة من المواضع والشعاب والجبال ما نصه : الحجون الجبل المشرف جدا على مسجد البيعة الذي يقال له مسجد الحرس ومثله كلام الفاكهي واما كلام الخزاعي فنص كلامه الحجون الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وانت مصعد وقال النووي في شرح مسلم الحجون وهو من حرم مكة الجبل المشرف على مسجد الحرس بأعلى مكة على يمينك وانت مصعد قال السيد الفاسي رحمه الله وقد ذكر المحب الطبري في القرى ما يوافق ما يقوله الناس وكنت قلدته في ذلك فظهر لي أن الازرقي بذلك أدري كيف وقد وافقه الخزاعي والفاكهي وغيرهما وإذا كان كذلك فلعله الجبل الذي يزعم الناس ان فيه قبر عبد الله بن عمر والجبل المقابل الذي بينهما الشعب المعروف عند الناس بشعب العفاريت والله أعلم انتهى . واغرب السهيلي في محل الحجون فقال والحجون على فرسخ وثلث من مكة انتهى . والحجون بفتح الحاء وضم الجيم كذا ضبطه النووي والطبري وصاحب المطالع وضبطه ابن خلكان بضم الحاء والمعروف الفتح .

تمت الفوائد . وبتمامها يتم الكتاب والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . والصلاة والسلام على نبيه سيدنا محمد المبعوث باعظم المعجزات وعلى آله وأصحابه الأماجد السادات .

وليكن هذا آخر ما يسره الله ومن به وهو المنان مما قصدت اثباته حسب الوسع والامكان ومع ذلك فاني عاجز عن بلوغ المراد ملتمس من الله سبحانه الاصابة والسداد وضارع اليه في التوفيق والرشاد أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم وعدتي من فائض فيض فضله العميم ويجمعني ومن يطالعه في جنان النعيم ويختم آخر أعمالي بالخيرات ويرجح ميزاني بالحسنات ويعفو عما اقترفته من الذنوب والسيئات ويرزقني الثبات عند السؤال بعد الممات ، ويفتح علي بالعلم الشريف والعمل به فانه الكنز الموروث عن الأنبياء ونعم الميراث ويجعلني كما وفقني لجمع هذه الفضائل ممن شمله قوله صلى الله عليه وسلم « إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث» والأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى ، واللسان لا يبرز عن الجنان إلا ما حوى والمسؤل ممن وقف على التأليف من الاخوان أن ينظر فيه بعين الرضى والرضوان فما كان من نقص كمله ومن خطأ اصلحه وان يصفح عما يجده في ترتيبه من زلل وما يظهر له فيه من خلل فان القلم قد يهفو والجواد قد يكبو وقد سبق من اقراري بالعجز والضعف ما يقتضي الصفح والعفو والانسان غير معصوم عن الخطأ والنسيان والمؤمن مرآة اخيه . والله تعالى يغفر لمن نظره أو كتبه أو أصلح شيئا منه أو فيه .

ولنختم هذا التأليف بما ورد من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم المأثور الشريف :

اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ورب الشياطين وما اضللن كن لي جارا من شر خلقك كلهم أن يفرط علي أحد منهم وأن يبغي علي ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(تم الكتاب بعون الملك الوهاب)

وكان الفراغ من نسخ هذا الجامع المبارك عصر الاثنين سنة

تسع وتسعين بعد الألف من الهجرة النبويـة

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

وكان الفراغ من نسخ هذا الجامع المبارك عصر الاثنين سنة

فهـــرس

أسماء الرجـال والنساء والأماكن

اعلم انه لما رأينا اهميه هذا الكتاب في بابـه وفضله الذي لا ينكره كل مطلع وتابه الأمر الذي جعلنا من العناية به أن استخرجنا ما فيه من أسماء الرجال والنساء والاماكن ورتبنا ذلك على حروف المعجم ووضعنا أمام كل اسم نمرة الصفحة التي وجد بها وإذا ذكر الاسم كثيرا في جملـه صفحات كالأسماء التي تكررت في أغلب صفحات الكتاب مثل الأزرقي وابن عباس وعائشة ومكة اقتصرنا على تكرير النمرة امامه أربع مرات فقط . وفعلنا ذلك ليسهل على القاريء استخـراج أي اسم اراد . والله الهادي الى سواء السبيل .

اسماء الرجـال

فهـــرست

اســـماء النساء

فـــهرست

(اسماء الاماكن)

(تم الفهرس)

فهرست

الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة